

الجمهوريّة العربيّة السوريّة

كليّة الآداب و العلوم الإنسانيّة

قسم التاريخ

بحث مُعد لنيل درجة الماجستير في تاريخ الشرق القديم

بعنوان

القيم الأخلاقية في مصر الفرعونية

(٣٢٠٠-٣٣٢)ق.م

الأستاذ المشرف:أ. د محمود عبد الحميد أحمد

إعداد الطالب: مأمون محمد الريشاني

بسم الله الرحمن الرحيم

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة
فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا
الألباب .

صدق الله العظيم

المقدمة:

الحضارة بمعناها العام الإنساني، تُشير إلى كل ما اكتسبه الإنسان من تقدم ثقافي ومادي، ويشكل التقدم محور كل حضارة ومدار حركتها نحو الأمام، سواء في مجال معين أو في شتى مجالات . إن أهم ما يُميز الحضارة المصرية القديمة هو أنها حضارة اتسمت بالتقدم العلمي والتقدم المادي، الذي أدى إلى إحداث تغيرات عميقة في المجتمعات الأخرى، خاصة (اليونان والرومان) انعكست نتائجها على جميع المجالات، وخصوصاً المجال الثقافي، ولكن هذا التقدم العلمي والمادي لا يُعطي النتائج المرجوة منه، إلا إذا توخى الإنسان القيم الأخلاقية، لأن العلم يمكن أن يبني هنا ويهدم هناك، وفي الحقيقة إن الذي يقوم بعملية البناء والهدم ليس العلم نفسه بل الإنسان، لذلك كان لابد للإنسان أن يتغذى من مورد روحي وأخلاقي يُوجه أهدافه نحو توظيف منجزات حضارته في إسعاد البشرية، إذاً لا قيمة للعلم دون تطلعات أخلاقية.

لقد ترك لنا المصري القديم تُراثاً جليلاً في مجال القيم الأخلاقية، حرص على حفظها والعمل بها، وتلقينها لأبنائه من بعده، وقد شمل ذلك الحرص والاهتمام كل فئات المجتمع المصري القديم.

أُدركتُ منذ الوهلة الأولى صعوبة اختياري لدراسة القيم الأخلاقية، التي مرت بعدد من التطورات الفكرية المختلفة في حياة الإنسان المصري القديم، لذلك كان لابد من الاطلاع ودراسة كل جوانب حياة المصري القديم ذات الصلة، كما أن قلة المصادر والمراجع كان لها دوراً في صعوبة البحث والكتابة.

عالجتُ البحث، حيث قسمته إلى أربعة فصول، بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة مراعياً الترتيب الزمني والموضوعي لهذه التطورات على النحو التالي:

الفصل الأول:

تحدثتُ في الفصل الأول عن مدلول القيمة الأخلاقية، وعن نشوء المجتمع المصري القديم دينياً ودنيوياً (اجتماعياً) والغاية من ذلك إلقاء الضوء على الظروف التي تشكل فيها المجتمع المصري، وما حملته من معاني سامية كانت فيها البذور الأولى لما عُرف

لاحقاً بالقيم الأخلاقية، كما تم عرض أقدم ظهور للقيمة الأخلاقية ليس في تاريخ مصر فحسب، بل في تاريخ العالم أجمع والمقصود هنا (المسرحية المنفية)[1].

الفصل الثاني:

تحت عنوان أثر الدين في تطور القيم الأخلاقية، كان الحديث في هذا الفصل عن الدور العظيم للملكية الإلهية (الإخلاص للملك) والتي نبعت من صميم الديانة المصرية القديمة، حيث كان لها دوراً كبيراً في تنظيم شؤون الدولة في كل المجالات وقد أقبل عليها الشعب المصري بكل حب واحترام وإخلاص، أدى ذلك إلى ظهور القيم الأخلاقية المتمثلة بالولاء و الطاعة والتعاون. كذلك كان لفكرة البعث والخلود أثراً كبيراً في تطور القيم الأخلاقية حيث تطور مفهوم القيم لدى المصري القديم من القيام بأعمال تُرضي الملك (الإله) الذي سوف يشفع له في عالم السماء إلى القيام بأفعال أخلاقية شخصية ذات قيمة تشفع له أمام إله الموت (أوزير) حيث الدار الآخرة.كما كان لأسطورة الإله أوزير أثراً في تطور القيم، لأنها حملت مجموعة من القيم الأخلاقية المتمثلة بانتصار الحق والإخلاص في الحياة الزوجية وبر الأبناء لآبائهم والوفاء لهم. كما أن للكتابات الدينية أهمية في ذلك، حيث تكشف لنا مختلف نشاطات وجوانب الحياة الإنسانية ومدى ما وصلت إليه القيم الأخلاقية من تطور وارتقاء. و الماعت ذلك الدستور الأخلاقي الذي نظم الحياة المصرية بكل جوانبها حيث لم يُفكر المصري القديم في يوم من الأيام اختراقه أو نسيان مفرداته المتمثلة بالصدق والحق والعدالة.

الفصل الثالث:

في هذا الفصل تم تتبع الدور العظيم الذي قام به أفراد المجتمع المصري بكل طبقاته، في مجال الحظ والحفاظ على القيم الأخلاقية، وتناقُلها عبر الأجيال، تلك القيم التي نمت وترعرعت في أحضان الأسرة المصرية المتمثلة بالسلطة الأبوية، لتشمل بعد ذلك كل فئات المجتمع المصري، والغاية من هذا الفصل توضيح مدى الاهتمام الكبير بالقيم الأخلاقية من قِبل كل أفراد المجتمع المصري من قمة الهرم (الملك) حتى القاعدة (عامة الشعب).

الفصل الرابع:

تم في هذا الفصل توضيح كيف أن القيم الأخلاقية دخلت إلى الحياة السياسية، وكيف عبرت عن نفسها، حيث ظهرت الإرادة الحرة، والذات الإنسانية المطالبة بعودة

[1] تعد المسرحية المنفية أقدم وثيقة تتحدث عن ألفاظ ذات قيمة أخلاقية تعود كما يقول برستد إلى حوالي ٣٤٠٠ق-م(جيمس هنري برستد : فجر الضمير ، ترجمة سليم حسن ، القاهرة ١٩٥٦م، ص٥٢)

العدالة الاجتماعية، وضرورة وجود الحاكم العادل والصالح لاستمرار الحياة الهادئة والآمنة، لقد وصل نُضج القيم الأخلاقية في فكر المصري القديم لدرجة أصبح يعتبره ضرورة لذاته وللمجتمع، وحتى لو كان مطلوباً من الملك نفسه دون خوف أو رادع، كما أن المصري القديم أصبح يشعر أن غياب القيم الأخلاقية يعني انهيار المجتمع بكل جوانب حياته.

أتقدم بخالص شكري وتقديري لكل من شجعني وساعدني في إعداد هذه الرسالة، وعلى وجه الخصوص أُستاذي المشرف وزملائي، آمل أن أكون قد وفقتُ في محاولتي إلى تحقيق الهدف من هذا البحث، و الله ولي التوفيق.

الفصل الأول:

البدايات الأولى للقيم الأخلاقية:

١- مدلول القيمة الأخلاقية

٢- نشوء المجتمع المصري القديم:

أ)دينياً

ب)اجتماعياً (دنيوياً)

٣- أقدم ظهور للقيمة الأخلاقية(المسرحية المنفية)

يعد البحث في مفهوم القيم من أهم مباحث الفكر الإنساني منذ بدايات نضجه، ومن أكثرها إحاطة بميادين الحياة، ومجالاتها المختلفة مثل الاقتصاد والجمال والسياسة والأخلاق والفن وعلوم الاجتماع والإدارة والنفس والدين، أي أنه ليس قاصراً على واحد منها دون غيرها، ومازال مفهوم القيمة ينتشر ويذيع حتى صار يشغل اليوم منزلة الصدارة من حيث الأهمية في فكرنا المعاصر، نظراً لاعتباره نتاجاً للفكر الحديث نسبياً، وعلى المرء ألا يستغرب شيئاً إذا سمع أصداء الحكم القيميّ في كل لحظة من لحظات السلوك الإنساني، فالصدق والمساواة والكرامة والعدالة والعلم والحرية قيم أخلاقية، والمال قيمة اقتصادية، والفنون قيم جمالية، والمحبة قيمة دينية، والحق قيمة عقلية، والغذاء والماء والهواء قيم صحية، والمجد والاستقلال وتقرير المصير قيم سياسية، وتدفع هذه القيم وكثير غيرها الإنسان إلى تغير واقعه وحاله الراهن إعراباً عن ضيقه بها، وتطلعاً إلى الكمال المنشود(). والإنسان وحده الكائن الأخلاقي الذي يميز عن الحيوانات بهذا السلوك السامي الذي يجعل من الأخلاق طبيعة ثانية له، فهو وحده الذي يستطيع أن يضبط نفسه وأن يمسك عن إشباع رغباته، وهنا يعبر كانط(*)عن الفكرة التي تقول:

"أن الأخلاق والقيم الأخلاقية خاصية السلوك الإنساني وحده دون غيره والإنسان هو وحده الكائن الحامل للقيم الأخلاقية"().

١- مدلول القيمة الأخلاقية :

تتميز شخصية الإنسان منذ ظهورها على وجه الأرض بأنها شخصية تقيميه، وموقف التقييم هذا فطرة في الإنسان، فطره الله عليه ومعايرها في رأيه توجه أحكامه على الأشياء وسلوكه نحوها حسبما يرى، ولا يكفي أن تقول عن الإنسان أنه (موجود القيم) أو أنه كائن تقيمي بل يجب أن نضيف إلى ذلك أيضاً أنه (الكائن الأخلاقي) الذي لا يتحدد وجوده إلا من خلال علاقته بالقيم .
يتضح لمن يؤرخ لمواقف التقييم في تاريخ الثقافات على مر العصور في الشرق والغرب من قبل ظهور الأديان، أن القيمة الإنسانية العليا قائمة منذ الأزل وإلى

() صلاح الدين بسيوني: القيم في الإسلام، القاهرة ١٩٩٠م، ص ٥.

(*)فيلسوف ألماني ،له مجموعة مؤلفات في الفلسفة أهمها ،نقد العقل المحض ،الأسس الميتافيزيائية للأخلاق(عادل العوا:المذاهب الفلسفية،دمشق ١٩٨٩م،ص٢٧٨)

()إمام عبد الفتاح إمام،الأخلاق و السياسة،القاهرة،٢٠٠٢م،ص٧٢.

الأبد، وكلها تدعو إلى العدل والمساواة والعفة والصبر والشجاعة والتواضع والتعاطف وكرامة الإنسان وحريته، وإلى الإخاء والتسامح والحق والصدق والمحبة بين جميع البشر على اختلافهم، عقيدةً وموطناً ولوناً وجنساً، فثقافة الفراعنة الأساتذة الأوائل للإنسانية تركز على الإيمان بالبعث والحياة الآخرى، بحيث نلاحظ أن مختلف جوانب حياة الفرد في حياته الأولى تتأثر بفكرة استمرار وجوده، وهذا ما حفز المصريين الأوائل على الاحتفاظ بأجساد موتاهم والنهوض بصناعة التحنيط التي ارتبطت بمفهوم الخلود، وقد ارتبطت الفلسفة بالدين في مصر القديمة ارتباطاً وثيقاً، فمن أكثر الرموز المرسومة على حوائط المقابر إثارةً صورة الميت وهو ينهض على قدميه وذراعيه ممدودتين على هيئة صليب، وكان لفكرة الصليب هذه من دلالة الارتفاع والسمو أكثر مما يتضمن من حزن أو يأس، وكانت تمثل الجنس البشري وهو يصعد إلى الأعلى نحو الحياة، ولا تمثله وهو يهبط إلى الأسفل نحو الموت[1]. وكما ارتبطت الفلسفة بالدين وأنتجت قيم أخلاقية، ارتبطت أيضاً بالمجتمع حيث أدرك المصري القديم بذكائه الخارق أن القيم الأخلاقية أيضاً هي قيم اجتماعية في نفس الوقت، لأن المفهوم الأخلاقي لا يكون له أي معنى إلا بوصفه ترجمة دقيقة لمطالب إنسانية معينة، تفرضها حاجة المجتمعات البشرية إلى الارتقاء بأفرادها إنسانياً، فإن تكون إنساناً هذا يعني أن توظف كل ما لديك من طاقات في سبيل تحقيق حالة إنسانية تشمل كل البشر[2]. فعندما أراد المصري القديم الانتقال من حالة الصيد والالتقاط إلى حالة الزراعة والاستقرار، ألم يجد أنه بحاجة إلى التعاون مع باقي أفراد جماعته، والتنازل عن بعض الحقوق لصالح المجموع العام، إلا يمكن اعتبار ذلك التعاون قيمة اجتماعية، يمكن اعتبارها أولى الترجمات في مجال القيم الأخلاقية لدى شعب كان لا يزال في طور البدايات.

---

(1) مصطفى عبدو: فلسفة الأخلاق،الطبعة الثانية،القاهرة١٩٩٩م،ص١٦

(2) حامد خليل: مشكلات فلسفية،الطبعة الثالثة،دمشق١٩٨٩م ، ص٣٦٥

٢- نشوء المجتمع المصري القديم :

نشأ المجتمع المصري القديم كما نشأت كل المجتمعات الأخرى ضمن نظرية التطور المعروفة في علم الاجتماع (نظرية جوردون تشايلد)[*] حيث الانتقال من عيشة الصيد والالتقاط، إلى حياة الزراعة والاستقرار، ولم يخرج المصري القديم عن هذه القاعدة، فقد كان صياداً ماهراً يعتمد في حياته على الجبال مسكناً آمن له والحيوانات مأكلاً يغذيه، ولكن ومع حلول فترة الجفاف (١٤،٠٠٠ق م)شعر المصري القديم بضرورة البحث عن السبل الكفيلة لبقائه على قيد الحياة، فكان لابد من النزول إلى السهول وحافات الأودية، و القيام بالزراعة لإنتاج غذائه و ساعده في هذا ظروف مصر الطبيعية، و أعني بذلك السهول الرسوبية على جانبي نهر النيل، و المناخ الملائم للزراعة بشكل عام . لقد استعمل المصري القديم كل قدراته وملاحظاته لإنجاح زراعته، حيث لاحظ وجود قوى تسيطر على العالم الذي يعيش فيه، يمكن أن تكون هذه القوى عقبة في طريق هدفه المنشود، لم يستطع المصري القديم معرفة ماهية هذه القوى، لذلك أقدم على عبادتها رهبة منه لتجنب شرها، ورغبة منه ليكسب خيرها، وقد تمثلت هذه القوى الطبيعية بالشمس و القمر و الرياح والأنهار و الأشجار والنباتات والحيوانات، ولكنه وبالرغم من عبادتها لاحظ في بعض الأحيان بأنها تعمل لغير صالحه، فإذا زاد ارتفاع ماء النهر عن الحد المطلوب فإنه يهلك القرى والماشية ويدمر مخزون الحبوب، إذا لا بد من قوة خفية تحرك تلك الظاهرة، أطلق المصري القديم على تلك القوى الخفية اسم (نيتر)NETER والتي يمكن أن نترجمها لكلمة (إله) هكذا تطور تفكير المصري القديم من عبادة القوى المرئية المجردة، إلى عبادة القوى الخفية غير المرئية، حيث آمن المصري القديم بتعدد الآلهة ومن ثم انتقل إلى الإيمان بفكرة الإله الواحد حيث كان الإله رع يمثله الملك آلهاً على الأرض يحكم باسمه، وقد حاز الملك بذلك على كل التقدير والاحترام الذي أفضى إلى حياة سياسية مستقرة، كان من أهم مظاهرها المحافظة على حقوق المجتمع ، فلا يتعدى معتد على ما للآخرين من زروع و أنعام وغيرها، كما أن الحياة السياسية المستقرة قد عززت من أخلاقيات المجتمع

---

[*] يرى جوردن تشايلد أن الزراعة كانت ضرورية اقتضتها تغير الظروف المناخية لشمال أفريقيا بعد انتهاء الفترات المطيرة إذ ترتب على ذلك أن مساحات كبيرة من شمال أفريقيا وأيضاً شبه الجزيرة العربية قد تحولت من مروج خضراء إلى أقاليم صحراوية حل بها الجفاف التدريجي محل المطر وتبعاً لذلك ذوت الحياة النباتية ونفقت الحيوانات إلا في المناطق التي توفر فيها النذر اليسير من الماء حول العيون والآبار وفي بطون الأودية حيث يقترب مستوى الماء الباطن من سطح الأرض والتي اجتذبت الإنسان والحيوان معاً فالزراعة واستئناس الحيوان كانت ممكنة فقط في تلك الواحات القليلة المتناثرة في الصحراء أو في مجاري الأنهار كنهر النيل والفرات ودجلة وكان على الإنسان أن يحافظ على الحيوانات المستأنسة كلما أمكن ذلك إذ أصبحت بمثابة رأس مال ثابت له لأن بعضها ينفع في الزراعة إلى جانب أنها تمثل مورد رزق دائم يمد باللحوم والألبان وبعد أن أصبحت موارد رزق الحيوانات العشبية قليلة نتيجة التغير المناخي إذ انحصرت في الحقول التي يزرعها الإنسان في الواحات وحول مجاري الأنهار حيث أمكن استنبات نباتات معينة لتبقى عماداً للاقتصاد الزراعي هذه هي الصورة التي رسمها جوردن تشايلد لنشأت الزراعة فكأن الظروف حتمت على الجماعات البشرية القليلة المتناثرة في مساحات واسعة أن تعيش في أماكن محدودة ضيقة كوادي النيل ودجلة والفرات وفي أماكن أخرى متفرقة.

المصري المتمثلة بالتعاون و المحبة و التي سوف تكون أساساً لمنظومة القيم الأخلاقية في المجتمع المصري القديم برمته .
يعد الشعب المصري شعب متدين إلى الحد الذي يكاد يفوق به أي شعب أخر في العالم، هذا ما يؤكده المؤرخ اليوناني هيرودت(*)، فقد بنى حكمه من خلال مشاهداته الشخصية(١)، لمدى حرص المصريين على تأدية طقوسهم الدينية، التي أمرت بها عقائدهم الدينية.

Ă دينياً:

تعد الديانة المصرية الأساس الذي بُنيت عليه مظاهر الحضارة المصرية، من دينية وسياسية واجتماعية، ومن يدرس تاريخ مصر من نهاية الألف الرابع قبل الميلاد، يشعر أن واقع مصر غلبت عليه مظاهر حضارية، عززت من أخلاقيات المجتمع المصري، لتخلق أُسس القيم الأخلاقية، لقد كانت عقائدهم الدينية هي الموجه والمرشد لبناء مجتمع أخلاقي متميز. والحق أن نزوع الأسرة المصرية والمجتمع في مجمله إلى التدين والتطبع به، كان له الأثر الأكبر في نضج الفكر الأخلاقي ، فقد تجسد في التدين أهم القيم والمثل العاطفية والسلوكية التي كان ينشدها المصري القديم، والمتمثلة في الطاعة والصبر والتواضع في إتباع كل ما تقرره الآلهة(٢) ، ولكن يجب علينا أن ندرك الحقيقة المتفق عليها وهي أن الدين في طوره الأول لم تكن له علاقة بالأخلاق كما نفهمه الآن ، كما أن المبادئ الأخلاقية الأولى لم تكن سوى عادات شعبية قد لا يكون لها علاقة بالشعور بالآلهة أو الدين، وقد كانت مظاهر الطبيعة العظيمة أول ما أشعر المصري القديم بوجود الآلهة مثله في ذلك مثل الشعوب الأخرى، فكانت الشمس والقمر والرياح والأشجار والينابيع والأحجار وقمم التلال والطيور والحيوانات في نظره مخلوقات مثله، أو مخلوقات حلت فيها قوى غريبة لا سلطان له عليها(٣)، هنا اتجه المصري القديم بتقديم الولاء لمن يوفر له الاستقرار والأمن والتوفيق في أعماله الزراعية من الآلهة، لذلك نلاحظ أن ظاهرتين عظيمتين قد أثرتا تأثيراً كبيراً في سكان وادي النيل(٤)، هما الشمس والنيل، ويعود السبب في ذلك أن المصري القديم تأمل خصوبة الأرض و أدرك بغير شك أن الشمس و النيل مسؤولان أساساً عن هذه الخصوبة والتي تضمن

(*) مؤرخ يوناني زار مصرفي الفترة الواقعة ما بين ٤٤٨-٥٥٢ ق-م،كتب في الجزء الثاني من كتابه المشهور (التاريخ)عن جغرافية مصر و مدنها و منجزات ملوكها (محمود عبد الحميد أحمد:دراسات في تاريخ مصر الفرعونية ،الطبعة السادسة، دمشق ٢٠٠٥م،ص٢٨)

(١) والاس بدج: آلهة المصريين، ترجمة محمد يونس، القاهرة ١٩٩٨.م، ص ٢٣.

(٢) هنري فرنكفورت: ما قبل الفلسفة ، ترجمة جبرا جبرا الطبعة الثانية بيروت ١٩٨٠م.ص.١٠٠.

(٣) برستد : مرجع سابق، ص٣٧.

(٤) برستد : المرجع نفسه ، ص٢٣.

له الاستقرار والأمن والغذاء، ومن هنا كتبت السيادة للآلهة التي ارتبطت بهاتين القوتين الطبيعيتين إله الشمس (رع) وإله الزراعة (أوزير) حيث أصبح هذين الإلهين في أساس الحياة المصرية القديمة.

لقد هيمن على الشعب المصري حقيقة بارزة هي قوة الشمس وجلالها الشامل لكل الكون لما تعطيه من دفء ونور، وقد أصبحت الشمس الرمز الأصلي للإله (رع) وطبقاً لعقيدة الملكية الإلهية التي آمن بها الشعب المصري فإن الملك هو الإله (رع) بصفته الإلهية، قادراً على التعامل مع غيره من إلهة الطبيعة بما يحقق الخير لمجتمعه، لذلك آمن المصري بهذا النظام وتفانى في سبيل إرضائه. ولذا فلقد عدّ الإنسان المصري الملك وحتى نهاية الأسرة الرابعة تقريباً الإله الذي يقتدي به ويطيعه طاعة كاملة(١)، من أجل تحقيق الخير والاستقرار له ولمجتمعه(٢)، ولعل هذا المعتقد الديني هو الذي ساعد الملك مينا ٣٢٠٠ ق.م على توحيد بلاد النيل وإدماج المملكتين العليا والسفلى في دولة مركزية موحدة ومستقرة(٣).

مع نهاية الأسرة الرابعة بدأت تتراجع مكانة الملك الإله، فلم يعد تلك القوة الطبيعية العظيمة ، ويعود السبب في ذلك إلى قوة كهنة الإله (رع) حيث أجبر هؤلاء الكهنة معظم ملوك تلك الأسرة، على ربط أسمائهم باسم الإله (رع) مثل خفرع (٢٦٢٥-٢٦٠٠) ق.م ....إلخ. بل أكثر من ذلك فقد أجبر كهنة (رع) ملوك هذه الأسرة أن يُضيفوا لقباً إلى ألقابهم يدل على أن الإله (رع) أعظم منهم، وهم تابعون له، واللقب هو (سارع) أي ابن الإله رع، وهذه هي المرة الأولى التي يعترف بها الملك المصري أنه تابع لإله أعظم منه، وهذا يدل على ضعف الإيمان بأُلهية الملك(٤)، الذي كان يحقق كل ما يطلبه المجتمع المصري من متطلبات الاستقرار والسعادة، في الوقت الذي اهتزت فيه مكانة الملك الإله في نظر المصري القديم، ظهرت قوة طبيعية أخرى (قوة الحياة النباتية) تمكن فيها المصري القديم من القيام بنوع من المساهمة الفاعلة، وقد ارتبطت هذه القوة ارتباطاً وثيقاً بالنيل الذي يهب الحياة لمصر القديمة، كما ارتبطت هذه القوة الطبيعية باسم الإله (أوزير) (إله الزراعة) حيث أوحت الزراعة للمصري القديم من خلال ملاحظته للدورة الزراعية الدائمة التي يراها في الأرض المثمرة التي تموت ثم تحيى ثانية فكرة تجدد الحياة، والتي أصبحت عقيدة لديه (عقيدة الحياة

(١) EDWARD BLEIBERY, ARTS & HUMANITIES Through the Eras, Ancient Egypt, 2675-332 B.C.E, P, 185.
(٢) محمد علي سعدالله: تطور المثل العليا في مصر القديمة ، الاسكندرية ١٩٨٩م، ص١٩.
(٣) مهدي فضل الله : بداية التفلسف الإنساني ، الطبعة الأولى بيروت ١٩٩٤م، ص٧١.
(٤) محمود عبد الحميد أحمد: تاريخ وحضارة مصر الفرعونية، الجزء الأول+ الثاني، دمشق ٢٠١١، ص ١٤.

بعد الموت)[1] تلك العقيدة التي عززت بشكل لا يتصوره إنسان المظاهر الأخلاقية للشعب المصري، فقد تحول تفكير المصري من القيام بالأعمال التي تُرضي الملك الذي يشفع له في عالم السماء، إلى القيام بأفعال أخلاقية شخصية ذات قيمة تشفع له أمام إله الموت أوزير، الذي يترأس محكمة الأموات التي يحاسب فيها الفرد على أعماله ، هكذا تربى المجتمع المصري على عقيدتين دينيتين، الملكية الإلهية ممثلة بالملك إلهاً أو ابناً للإله، عمل المصري جاهداً من خلال الطقوس والشعائر الجنائزية والقرابين، وبناء الأهرامات على إرضاء الملك الذي يشفع له في عالم السماء عند الإله (رع) وقد سميت هذه العقيدة (دين الحكومة) في حين كانت العقيدة الأوزيرية هي الأقرب إلى قلب المصري القديم، الذي شعر من خلالها بالاستقلال الذاتي وضرورة القيام بجهود فردية ذات صلة بالقيم والأخلاق تكون كفيلة له بحياة خالدة يوم الحساب، لذلك سميت هذه العقيدة (دين الشعب).

قبل أن نختم الحديث عن نشوء المجتمع المصري القديم دينياً، لا بد من ذكر العناصر الدينية المحركة لهذا المجتمع ووظائفها ونقصد هنا :

الملك الإله و المؤسسة الكهنوتية

١)الملك الإله:

تعد مهمة الكاهن الأكبر من أولى وأهم الوظائف المنوطة بالملك، وهناك صوراً منقوشة على جدران المعابد تظهر لنا الملك كاهناً أوحد في الشعائر المقامة أمام الآلهة، وهناك نشيد يخاطب أحد الآلهة جاء فيه:

" لا يعرفك أحد إلا ابنك (الملك) "[*]

كان على الملك التطهر قبل الخدمة ككاهن أعلى للإله، فقد كان يتم التطهر في ملحق خاص في المعبد يسمى (بيت الصباح)لأن التطهر يتم في الفجر، وقد كان الملك

---

[1] برستد: مرجع سابق، ص ١١١.

[*] المقصود هنا أمنحوتب الرابع (اخناتون)، برستد: المرجع نفسه، ص ٣٠٧.

يرش بالماء من البحيرة المقدسة بواسطة كاهنين، يتقمصان إما شخصية(حورس(*) و تحوت)(*) أو(حورس وست(*)) ومراسم التطهر، يصاحبها ترتيل كلمات وصيغ مناسبة لتغمر الملك بالحياة والحظ الطيب وتجدد شبابه، وبعد التطهر بالماء كان الملك يُبخر بالبخور وفي المراسم اللاحقة كان الملك يرتدي الملابس ثم يزود بأدوات الزينة وعلامات السلطة الملكية، عندئذ فإنه يكون مستعداً لدخول المعبد وتقديم الخدمة ككاهن للإله طبقاً للخدمة الدينية اليومية المتعارف عليها()، هذا ولم تكن الوظيفة الدينية للملك قاصرة على رئاسة كهنة الإلهيين(حورس ورع(*)) فحسب ، بل كان عليه تقديم القرابين اليومية من أجل رعيته، كما كان يهب النبلاء وغيرهم من كبار الحكام المنح المختلفة من الأراضي وهم على قيد الحياة، فقد كان يمنحهم الهبات من الأرض بعد مماتهم لضمان استمرار تقديم القرابين لأرواحهم، ولهذا فإن كافة الهبات الجنائزية كانت تعد في الواقع (قرابين ملكية) وتشير إلى ذلك صيغ الدعاء التي كانت تدون على اللوحات الجنائزية في كافة عصور التاريخ المصري القديم فكان الملك بحكم مركزه الكهنوتي عائلاً لرعيته في الحياة ، كما كان سنداً لهم في الممات، وقد لا تكون الهبات الملكية دائماً منحاً من الأراضي بل ربما اشتملت على مواد غذائية تمثل قيمة إيجارات عينية لبعض مزارع الملك، أو قيمة إيجارات عينية للملك حق الحصول عليها، ومع ازدياد المعاملات وتعقدها تبعاً لنمو سلطان المملكة صار من المستحيل أن يتصرف الملك شخصياً في كافة شؤون الدولة ولذلك نرى الملك (سنفرو) عصر الأسرة الرابعة قلد نجله(نفر ماعت) منصبي ((حامل الأختام الملكية وقاضي القضاة وقلد نجله (رع حتب)منصب الكاهن الأكبر للإله رع في هليوبوليس، وقد فعل الملك خوفو ما يشبه ذلك مع ابنه(مري ايب)().

(*)(البعيد)إله قديم للسماء صوره المصريون على هيئة الصقر أو رجل برأس صقر و منذ بداية العصور التاريخية أصبح حورس رمزاً للملك حياً او ميتاً (ياروسلاف تشرني : الديانة المصرية القديمة ، ترجمة أحمد قدري ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٩٦م، ص٢٢٩).

(*) آله الحكمة و المعرفة، يرمز إليه بالطائر أبيس و أحياناً بالقرد،كان مركز عبادته مدينة الأشمونيين (تشرني،المرجع نفسه،ص٢٢٧)

(*) يعد من أقدم آلهة مصر و هو عضو في التاسوع المقدس ،قدسه ملوك الأسرة التاسعة عشرة و العشرين ،وحد الهكسوس بينه و بين إلههم سوتخ.(تشرني:المرجع نفسه،ص٢٣٢)

() تشرني : المرجع نفسه ،ص١٤٠.

(*) أهم الآلهة المصرية و أشهرها،يرأس التاسوع المقدس ،أصبح الإله الرسمي لمصر اعتباراً من الأسرة الرابعة ،و اندمج مع الإله أمون عصر الدولة الحديثة (أمون رع)(تشرني :المرجع نفسه ،ص٢٣١)

() سيروم فلندرز بتري : الحياة الاجتماعية في مصر القديمة ، ترجمة حسن جوهر د.ت ، ص٨٨.

٢)المؤسسة الكهنوتية:

كان منصب الكاهن الأكبر من أهم الوظائف التي تقلدها الملك والتي تتضمن تقديم القرابين و إقامة الطقوس الدينية الخاصة بالإلهة إضافة إلى بناء المعابد ولكن مع كثرة المهام الملقاة على عاتق الملك وتعدد الآلهة و تفرق أماكن عبادتها ،كان لا بد من تعين من ينوب عنه(الكهنة) للقيام بتلك الأعمال و قد تميز نشاطهم المباشر بتخصصهم في رعاية العبادة (عبادة الآلهة) وكل ما يتصل بهذه العبادة من مظاهر خارج المعبد متخذين من القيم الأخلاقية شعاراً لهم، و قد كان الكهنة يقومون بتلك العبادات باسم الملك فقد جاء في أحد فصول الشعائر (أن الآلهة أعدت لي السبيل ،و أن الملك هو الذي يرسلني لاجتلاء طلعة الإله) والملك كما ذكرنا هو الذي كان يعين سائر طوائف الكهنة و خاصة كبار رجال الدين و كبار الكهان في العبادات الكبرى ،أما تعين الكهان من ذوي المناصب الدنيا فقد كان يتركه للوزير.[1]

يُعرف الكاهن المصري بأنه رجل يمتلك طهارة جسدية تسمح له بالاقتراب من المكان الروحي أو مس أي شيء إن كان جسم أو طعام مخصص للإله[2] (القرابين) ولقد نال كهان مصر القديمة حظوة معرفة الأسرار، وأُعطيت لهم سلطة إطلاع المستحقين عليها نظراً لما وصل إليه سلوك هؤلاء الكهنة من مفاهيم أخلاقية وقيماً إنسانية رفيعة :

" إنهم يبلغون بتأملهم ما ينبغي لهم من التقدير و اطمئنان النفس و وهم يصلون بالفكر الأصيل إلى العلم المبين ، ثم بالاثنين معاً إلى ممارسة السلوك الممتاز الذي سنّته أساليب الماضي "[3].

إن الاتصال الدائم بالعلم والوحي المقدسين يصّفي النفس من البخل ، ويكبت فيها جماح الشهوات وينشط حيوية الذهن، يتوخى الكهان البساطة في كل مظاهر الحياة من طعام ولباس ويميلون إلى القناعة وخشونة العيش والعدل والزهد في كل شيء أيديهم دائماً تحت مسوحهم . وعن الخمر يقولون:

"أنها تؤذي الشرايين وتدير الرأس فتفقده القدرة على التصويب "[4]

بقراءة هذه الكلمات تبدو لنا الصورة الجذابة للكاهن المصري.

[1] سيرج سونيرون: كهان مصر القديمة ، ترجمة زينب الكردي ، القاهرة ١٩٧٥م، ص٥١.
[2] كامل سعفان : كنانة الله يا فرعون ،الطبعة الأولى ، دار الندى ، القاهرة ١٩٩٩م، ص١٠٢.
[3] سونيرون:مرجع سابق،ص١٢.
[4] سونيرون: المرجع نفسه، ص١١.

لقد كان أكثرية الكهان في مصر القديمة من المكرسين والمدركين لأهمية واجباتهم الدينية ؛ مهتمين بإنجاز هذه الواجبات في أمانة قصوى وحرارة إيمان بمعارفهم وتطلعاتهم وممارساتهم . وينبغي إلا يخفى علينا أسلوب إختيارهم نظراً لأهمية الأعمال المقدسة التي كانت موكلة لهم.لقد كانت أهمية هذه الأعمال تستوجب تحديد مبادئ وأسس تُتّبع بدقة عند اختيارهم ، لذلك كانت الأسر المصرية العريقة التي تربطها التقاليد بحياة مدنها الدينية تقدم أجيالاً من الكهان الصادقين في إيمانهم والمؤمنين بجلال وظيفتهم ، العارفين أسرار الخدمة الربانية المدركين عظمة وجلالة قدسية معابدهم الخالدة.

لم يكن كهنة مصر القدماء أصحاب رسالات سماوية إلهية (رسل) لمن يتبعونهم من الأتقياء، بل كانوا مجرد منفذين لطقوس دينية يومية مستمرة لأجيال وأجيال ، وكانت هذه الطقوس المقدسة طقوساً دينية يومية تتم بعيداً عن عيون الجماهير في المعابد ،والتي تختلف عن مفهوم المعابد في أيامنا هذه، فمن المدخل إلى قدس الأقداس(*) توجد سلسة من الأبواب تحجب عنه النور بطريقة متصلة فيزداد الظلام من بهو إلى بهو، وتنخفض السقوف حتى الوصول للغرفة التي تحوي التمثال المقدس والذي يُزار عند كل صباح لينال ما يلزم من العناية والرعاية الدينية المطلوبة (١.

نظراً لعمق مدلولات هذه الطقوس كان الكهان منتبهين إلى الأخطار المحدقة بحياتهم المعنوية ، لذلك اعتمدوا كثيراً على تلقين أتباعهم المكرسين أسرار هذه المعابد وما تحمله تلك الأسرار من المعاني العميقة والمدلولات الروحية، ولكي تعطي أعمالهم ثمارها المرجوة؛ اتبع الكهان السلوكية الروحانية المثالية ، ولم يتهاونوا في تأدية وظائفهم المقررة جاعلين نصب أعينهم هدف الانتصار على ما يغري بالإهمال الواجبات الملقاة على عاتقهم(٢.

لم يحاول الكهنة يوماً إضافة كتابات مستحدثة على حجارة الأهرامات ، فهي بالنسبة إليهم قدس الأقداس ، ولكن كان لابد من نقش بعض النصوص المُوجَّهة إلى أجيال الكهنة ، فعمدوا إلى حفظ سجلات الأهرامات كما وضعها بناة الهرم ، ثم

(*)عبارة عن قاعة مستطيلة في نهاية المعبد كان يُحفظ فيها تمثال الإله أو رمزه في ناووسه أو في زورق على قاعدة في وسطه، وكان قدس الأقداس يسمى الأفق رغم وجوده في أغوار المعبد وفي أعماق الظلام (خزعل الماجدي: الدين المصري، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩١، ص ١٥٧).

() سونيرون: مرجع سابق ، ص ٤١.

() سامي جبره:في رحاب المعبود توت،ترجمة عبد العاطي جلال، القاهرة،١٩٧٤،ص١١٥

تحولوا إلى أبواب (معبد ادفو)(*) نقشوا على جوانبه بعض النصوص الموجهة إلى كهان المعبد ، و كانت تلك النقوش ظاهرة بحيث تراها عيون الكهنة و مواكَب القرابين كل يوم .

كانت تلك النقوش تستحثهم على ضرورة الدقة المتناهية في تأدية العبادات ،و تلفتهم إلى مراعاة الدقة في تنفيذ التعليمات المعطاة لهم، التي توصيهم بالطهارة وبالصبر ويرى من يطلع على سجلات مصر القديمة مدى الارتباط العميق بين الحكمة و سلوكية كهان مصر القديمة فقد جاء فيها ما يلي :

"أيها المتنبئون الكهان أمناء سر الإله المطهرون، أنتم يا من تمثلون حضرة الإله ، و يا رعاة الشعائر في المعابد، أنتم يا قضاة الضيعة و نظارها كافة يا من تكونوا في شهركم ولّو وجوهكم و أنظاركم شطر هذه الدار التي وضعكم فيها ذو الجلالة الإلهية، إنه يرى كل ما فيها و إنه ليرضى أن يرى فيها نظاماً بالغ الدقة يحكم جوانبها، احذروا أن تأتوا عملاً معيباً ولا تدخلوا المعبد غير مطهرين ، و لا تقولوا باطلاً في حرمه، و لا تكونوا جشعين، ولا تتفّوهوا بكذب (صدق اللسان) ، و لا تتناولوا أقداح نبيذ، و لا تفرقوا بين الصغير و الكبير، و لا تطفطفوا في الكيل و الميزان، و لا تحطوا من قدر ما تهوه عين (رع) ، و لا تكشفوا عما تقع عليه أبصاركم في المعابد مما ينبغي أن يكون من أسرارها، و لا تمدوا يداً إلى شيء في حرمها، و لا تعرِّضوا أنفسكم لخطر جريمة السرقة من متاعها، صفوّا قلوبكم لأن المرء يعيش على رزق الإله، و إنما يسمى رزقاً كل ما يوضع على موائد القرابين، لا تظاهروا باطلاً عن حق أنتم يا ذو الشأن، لا تفتروا طويلاً دون دعاء تتوجهون به إليه حينما تفرغون من تقديم القرابين إليه، و دون أن تحمدوه في معبده، لا تؤدوا الشعائر كما تهوون، و إلا فما قيمة نظراتكم إلى الكتابات القديمة، إن طقوس المعبد بين أيديكم و إنها لدروس لأولادكم))[1]

(*) يعد من أعظم المعابد من حيث الاحتفاظ بمنظره العام،إذ يعتبر من أكمل المعابد المصرية في العصور المتأخرة من حيث بنائه ونصوصه، و قد استمر بناؤه قرابة قرنين من الزمن (٢٧٣-٥٧ق.م)،(حسن السعدي:حكام الأقاليم في مصر الفرعونية ،القاهرة،١٩٩١م،ص٤١).

() سونيرون:مرجع سابق، ص٢٩.

إن هذه التعابير الدقيقة المستعملة هنا، ما هي إلا حكماً تكاد تكون مطابقة مع تعاليم الحكماء المصريين أمثال بتاح حتب(*) والذي أوصى ابنه محذراً إياه من عواقب الجشع:

"ابتعد عن الجشع إنه مرض مؤلم لا يمكن الشفاء منه إنه يخلط و يفسد بين الآباء و الأمهات و الأخوات و يطرد الزوجة من الزوج "[1] .

وبالعودة للحديث عمّا كتبه الكهنة على باب المعبد في أدفو نلاحظ وثيقة أخيرة سُجلت في مكان أعلى من مكان الوثيقة السابقة، تعد ختاماً لهذه المجموعة من النصوص، و هي لا تتحدث عن الآثام الواجب اجتنابها أو عن اليقظة التي يراقب بها الإله كهانه، بل هي على العكس من ذلك تبرز فيها مكاسب الحياة الروحية و الهناء الجم الذي ينعم به من يخدم الإله بقلب صاف و روح وثابة

"طوبى لمن يحتفي بجلالتك أيها الإله العظيم ولا يتوقف عن خدمة معبدك ، طوبى لمن يقدر قوتك و يجلى عظمتك و يعمر قلبه بك ، طوبى لمن يروح على صراطك و يغدو على مائك و يرعى عزة جلالتك ، طوبى لمن يتعبد بالصلوات المرفوعة للآلهة و يذكر قدرتك ، طوبى لمن يؤم بالخدمة المتصلة و الخدمة في الأعياد في غير جهل، يا من تسلكون سبيل (رع)(*) في معبده و تسهرون في داره عاملين في تدبير أعياده و تقديم قرابينه دون انقطاع . ادخلوا بسلام وانطلقوا سعداء ، ذلك لأن الحياة في يده و السعادة في قبضته و الطيبات من الرزق كافة حيث يكون ، هذه هي صنوف الأطعمة من بقايا مائدته تلك هي الطعوم لكل طاعم من قرابينه ولن ينال من يعيش من رزقه أي أذى ، و لن يهلك من يخدمه لأن رعايته تبلغ السماء ، و أمنه ينتشر على الأرض ، وحمايته أكبر من حماية كل الإلهة"[2] .

أن هذه التعاليم ما هي إلا تبيانٌ لفضائل حياة تنقضي في عبادة متصلة للإله و ما يناله المرء من حسن ثواب .هكذا وبعد ألفي عام تبلغ النصوص البطلمية في معبد

(*) خلف لابنه كتاب في النصائح ،كان وزيراً للملك أسيس ٢٤٥٠ق.م ،(سليم حسن،الأدب المصري القديم، الجزء الأول، الطبعة الأولى القاهرة ، ١٩٤٥م،ص١٨).

[1] سعدالله: مرجع سابق ،ص٨٥.

(*) أهم الآلهة المصرية و أشهرها . أُدمج مع عدة آلهة يأخذ هيئة الإنسان وعُبِد كخالق للعالم ، يسافر في مركبه عبر السماء بالنهار وفي العالم الأخر بالليل مركز عبادته أون (عين الشمس)(تشرني: مرجع سابق،ص٢٣١)

[2] سونيرون:مرجع سابق ص٣٠.

أدفو مستوى الروح القديمة، الذي وجدناه مكتوباً في تعاليم الحكيم المسن ختي الثاني لابنه مري كارع(*) (حوالي ٢٠٥٠ق.م) و التي جاءت مُلخصة لما سبق حيث أوصى الحكيم ابنه قائلاً:

"على المرء أن يعمل ما فيه صلاح روحه

بإقامة الشعائر الدينية ولبس

النعال البيضاء و زيارة المعبد

و الدخول إلى قدس الأقداس

و أكل الخبز في المعبد ومضاعفة القربان

والإكثار من عدد الرغفان

و الزيادة في القربان الدائم لأن ذالك خيرٌ لفاعله

اجعل أثارك فيه حسب ثروتك لأن يوماً

واحداً قد يبقى أثره للمستقبل و

الإله عليم بكل ما يُقدم له من خدمة"(١)

إننا نجد في تعاليم ختي الثاني لابنه مري كارع إضافة لما جاء ذكره بما نقش على معبد أدفو من قبل الكهنة، مما يوضح لنا الحماسة الدينية وغَنى الحياة الروحية التي يحياها فريق مرموق من رجال الكهنوت المصري، الذين يضيئون سبيل حياة خلقية أرفع مستوى وأقوى نشاطاً من الحياة العادية. ففي مصر الوسطى و بالقرب من (ملوى)(*) عاش الحكيم بتوزيريس في أواخر عهد مصر الفرعونية و قبيل وصول الإسكندر الأكبر(٣٥٠-٣٣٢)ق م، كان بتوزيريس شخصية رفيعة المستوى في المدينة يحمل من الألقاب أكثرها تقديراً، كبير الكهان الذي يرى الإله في ناووسه، و ينفذ إلى قدس الأقداس، كما مارس وظائفه الكهنوتية مع كبار الكهان كاهن الأرباب

(*) مكتوبة هذه الوصايا على بردية محفوظة الآن بمتحف لينغراد وهي تحمل بين سطورها أدلة قاطعة تثبت أنها كتبت في العصر التي تنسب إليه أي فترة حكم ملوك أهناسيا بين(٢١٣١-٢٠٨٢ق.م)(أحمد :تاريخ و حضارة مصر الفرعونية،مرجع سابق، ص٩٧).

(١) برستد : مرجع سابق، ص١٧٢.

(*) تقع في مصر الوسطى و مدينة عريقة كانت مكرسة للمعبود (توت)و هي هرموبوليس و تراثها مطمور في أكوام الأطلال(سونيرون: مرجع سابق،ص١٣)

الثمانية (الثامون)(*) ورئيساً لكهان (سخمة)(*) ورئيساً لكهان الطبقة الثالثة و الرابعة و كاتباً ملكياً (وزيراً)و حسيباً على أملاك ومعبد هرموبوليس(*) كافة، و لقد جرت حياته كلها في سبيل التقوى منشغلاً بخدمة الإله صالحاً لمن يحيون حياة الطهر .

في عام ١٩١٩ عُثر على مقبرته التي أُقيمت على غرار معبد، تغشى جدرانه مجموعة من النقوش و النصوص ، جاء في إحدى تلك النقوش:

"إنني ادعى بتوزيريس الثاوي جسده تحت الأرض ، في حين تستقر روحه في رحاب الآلهة ، و أنا حكيم اتحد مع الحكماء "[1].

تكشف نقوش مقبرة بتوزيريس مجموعة من الأفكار و الحكم المستوحاة من الفلسفة و الدين، و التي تقترب في أسلوبها من الكتب و التعاليم المصرية التي تتحدث عن الحكمة مثل تعاليم وحكم بتاح حتب و آني و غيرهم كثيرين، و لو أُعيد جمع نصوص مقبرة بتوزيريس لكان من الممكن أن تزودنا بما يصلح أن نسميه (مجمع الحكم) التي خُصصت للأحياء لتشرح لهم ما في الحياة الدنيا وما في الآخرة من منافع و خيرات يهتدي بها أولئك الذين يخشون ربهم ويهتدون بهديه و يأتمرون بأمره، و لنقرأ الآن ما جاء في هذه النصوص و التي يبلغ عددها أربعة نصوص متوالية كُتبت على النحو التالي:

"أيها الأحياء لو وعيتم ما أقول واتبعتموه فسوف تفيدون منه خيراً

إن سبيل من يخلص نفسه للإله فيه صلاح ؛ طوبى لمن يهديه قلبه

ولسوف أُنبئكم بما وقع لي و أجعلكم تدركون (الحكمة) مما يريد الإله

و سأعمل على إدخالكم مجال الروحانيات الربانية و إذا كنت

قد بلغت هنا مدينة الخلد فقد كان السبيل إلى ذلك إنني

(*) كان آلهة الأشمونيين عبارة عن أربعة ذكور في هيئة الضفادع و أربعة إناث في هيئة الأفاعي و كل منها يمثل مظهر من المظاهر التي كانت تسود العالم في البداية فا لزوج الأول(نون و نونه)و يمثل الفراغ و الزوج الثاني (حوح و حوحه)و يمثل الماء الأزلي و الزوج الثالث(كوك و كوكه)و يمثل الظلمة و الزوج الرابع (نيا و نيات)و يمثل الخفاء(السعدي:مرجع سابق،ص٨٩.

(*) اسمها يعني (القوية)آلهة لها قوة وطبيعة اللبوءة مثُلت غالباً على هيئة امرأة برأس لبوءة ،عُبدت في البدء في منف، حيث كونت من بتاح ونفرتم ثالوثاً و كانت تشفي من الأمراض، و كعين الشمس المدمرة تهاجم القوة الشريرة ،وهي آلهة للحرب المصاحبة للملك في غزواته ،من ألقابها عظيمة السحر ، (تشرني ،مرجع سابق ،ص٢٣٢).

(*) اسمها يعني (القوية)آلهة لها قوة وطبيعة اللبوءة مثُلت غالباً على هيئة امرأة برأس لبوءة ،عُبدت في البدء في منف، حيث كونت من بتاح ونفرتم ثالوثاً و كانت تشفي من الأمراض، و كعين الشمس المدمرة تهاجم القوة الشريرة ،وهي آلهة للحرب المصاحبة للملك في غزواته ،من ألقابها عظيمة السحر ، (تشرني ،مرجع سابق ،ص٢٣٢).

(١) سونيرون:مرجع سابق،ص١٤.

عملت صالحاً في الدنيا و أن قلبي قد هوى إلي سبيل الإله

منذ طفولتي حتى اليوم ؛ و كان توفيق الإله يلازم نفسي

طوال الليل ، كما كنت أعمل طبق أمره من مطلع الفجر ،

و لقد مارست العدل و كرهت الظلم ولم أعاشر من ضلّوا

سبيل الإله و لقد فعلت هذا كله لأني كنت واثقاً

من أنني سوف أصير إلى الإله بعد مماتي و لأني آمنت

بمجيء يوم قضاء العدل وهو يوم الفصل حيث يكون الحساب

أيها الأحياء لسوف أجعلكم تعرفون ما يحب الإله و يريد و

لسوف أهديكم سبيل الحياة الحقة و هي السبيل الصالحة

لمن أطاع الإله ، طوبى لمن يهديه قلبه إليها ، ومن

اطمأن قلبه إلى سبيل الإله اطمأن مكانه في الأرض

و ما أسعد من ملأت خشية الإله قلبه في الدنيا"(١)

حقاً إن الخير يصيب من يسلك سبيل الإله في طاعة وبغير معصية، حيث يقضي حياته كلها في بهجة وسرور وسوف يدخل جنة النعيم الأبدية، إن السبيل إلى ذلك هو بالعمل الصالح و بإقامة العدل على الأرض و نبذ الظلم، لأن الإله يحب العدل و يكره الظلم، فطوبى لمن أطاع الإله فهو يعيش حياته الدنيا سعيداً وحياته في الآخرة حيث النعيم الأبدي خالداً.

قبل أن نختم الحديث عن الحياة الدينية للكهنة يجب أن نذكر فئاتها، يمكن إحصاء سبع فئات كهنوتية متميزة، ثلاث فئات أساسية وأربع فئات متغيرة وغير ثابتة وهي كما يلي:

١) **الكاهن الأكبر(حم نتر)** بمعنى خادم الإله، لقد كان الأعلى مرتبة بين الكهنة والذي يقوم الملك بتعينه، وكانت شخصيته مؤثرة في المجتمع ويرجع أصله إلى

() سونيرون : مرجع سابق، ص١٦.

فترة قديمة جداً، وكانت تطلق عليه ألقاب مختلفة منها الكاهن الأكبر لإله الشمس ولقب الذي يرى سر السماء ولقب رئيس أسرار السماء.

٢)الكهنة المختصون: وهم مجموعة من الكهنة الذين يصنفون في المرتبة العالية و يعملون في وظائف محددة تخص الخدمة والطقوس وأعمال النظافة اليومية و أكساء و تزين التماثيل الإلهية و المحافظة على قاعات المعبد و على المواد المخصصة للاستعمال اليومي كالحلي و الثياب و متطلبات العبادة و يشتملون بصورة عامة على :

_ المطهرون(وعب)

_المرتلون من الموسيقيين و الراقصين(خري حب)

_الكهنة المحتجون:نسبة للريشتين اللتين تزينان غطاء رأسهم، وهم الكهنة القراء و الكتاب الذين كانوا يمارسون عملهم فيما يسمى بحقول العلم المقدس (العلم الإلهي)الذي كان يشمل مختلف الحقول الخاصة بالأدب و الحكمة و الفلك و الكيمياء و الطب في بيت ملحق بالمعبد يسمى(بيت الحياة)و لم يكن هؤلاء من الكهان فقط بل كانوا يشكلون الطبقة المثقفة و المتعلمة.

٣) صغار الكهنة : وهم صغار رجال الدين الذين لهم دور بسيط في العبادات الدينية والنشاطات المقدسة وينقسمون إلى :

أ)الأتقياء: وهم الذين يقومون بأعمال بسيطة مثل حملة القارب المقدس(قارب الإله) و السقاية في المعبد و رش الماء و مراقبة الدهانين و الرسامين و رؤساء الكتاب و العمال اليدويين للملك، أو يكونوا عمالاً يدويين بسطاء مكلفين بأحذية الملك و يتوزعون إلى طبقات في المعابد الكبيرة التي تمتاز بكثرة رجال الدين.

ب)الرعاة: وهم حملة الأشياء المقدسة.

ج)الأحبار : وهم المكلفون بتقديم القرابين و نحرها.

د) مفسرو الأحلام:(العالمون بالغيب) وهم الضالعون في عالم الظواهر الليلية و تعليم هذا العلم .

٤) الكهنة المؤقتين: وهم كهنة الخدمة المؤقتة الذين ظهروا بشكل خاص في عصر الدولة الوسطى، حيث يتناولون العمل الكهنوتي لفترة مؤقتة ثم يعودون إلى حياتهم اليومية المدنية المعتادة.(١)

٥) الكاهنات:لقد تمتعن هؤلاء الكاهنات بمركز اجتماعي، و قد كان بأستطاعت هؤلاء النساء القيام ببعض المناسبات الكهنوتية، و لدينا من أيام الدولة القديمة أمثلة عن خدمة النساء، فمنهن من كنّ كاهنات للإلهة (نيت)(*) و(حتحور)(*) و يبدو أنهن قد قمن بطقوس العبادة مثل الرجال، وقد كنّ من سيدات المجتمع الراقي أو مجرد بنات لكهنة ثم ورثن وظائف آباءهن،(٢) وقد أظهرت الأسرة السابعة عشرة لقباً كهنوتياً جديداً للملكات وهو (زوجة الإله) وهي الزوجة الملكية للإله أمون، والتي يحرم عليها الاتصال بأي رجل اتصالاً جنسياً، و كانت زوجة الإله هذه صاحبة سلطان عظيم ينافس سلطان الفرعون، فقد كانت تمتلك الضِياع الضخمة وتشرف على موظفين يخصونها، وتتخذ مجموعة من الألقاب، وتحيط اسمها بخرطوش وتخلع على نفسها صفات ملكية وتقدم القرابين للآلهة .

٦) الإداريون والمستخدمون: كان هؤلاء خارج سلك الكهنوت، ولكنهم يقومون بالمهام الإدارية والخدمية للمعابد وخصوصاً إذا كانت المعابد واسعة جداً، ومهام أخرى مثل مدراء الأملاك، ورئيس القطعان، والخازن وكانت هناك مجموعة كبيرة من المستخدمين، كالبوابين والعمال والحراس والخبازين والنجارين.

هذه هي الفئات التي تألفت منها طبقة الكهنة التي لم تكن ثابتة كما ذكرنا ففي الدولتين القديمة و الوسطى كان الكهنة يشبهون إلى حد بعيد الموظفين الدنيويين وكانوا يعينون بواسطة الملك، أما في عصر الدولة الحديثة، شكل الكهنة طبقة محددة أصبحت الوظيفة المقدسة فيها وراثية(٣)

قبل أن نختم الحديث عن هذه الطبقة، يجب أن نعلم بأنه لم ينحصر عملها في المجال الديني بل اهتمت هذه الطبقة بتدوين المعلومات التي تخص جغرافيا الكون والأرض وشملت علومهم الفلك والهندسة ونصوص التنجيم، وكذلك فن العمارة وكانت العلوم الطبية من أهم العلوم المقدسة، وقد شملت التحنيط وفنون الجراحة وعلوم الحيوان وظهرت مدونات كثيرة لتفسير الأحلام والسحر والعقاقير والصيدلة والآداب، ويدل هذا على أن المعابد كانت بمثابة الجامعات العلمية والروحية وأن الكهنة كانوا بمثابة الأساتذة العلمانيين والروحانيين لمختلف حقول هذه الجامعات لمصر ولجيرانها وخصوصاً اليونان(٤)

---

(١) الماجدي :مرجع سابق، ص١٤٤.

(*) إلهة رمزها المقدس قوس و سهمان ،صُورت على هيئة امرأة تلبس تاج الدلتا الأحمر ،حامية للملك،مركز عبادتها في مدينة سايس غرب الدلتا(تشرني:مرجع سابق،ص٢٣٧)

(*) من أشهر الآلهة المصرية ،تُمثل على هيئة امرأة تحمل تاجا عبارة عن قرنين بينهما قرص الشمس و أحياناً نراها كلبؤة أو ثعبان ،مركز عبادتها في دندره.(تشرني: المرجع نفسه،ص٢٢٨)

(٢) سونيرون:مرجع سابق ، ص٧٦.

(٣) تشرني: مرجع سابق، ص١٦١.

(٤) الماجدي :مرجع سابق ، ص١٤٦.

ب)-اجتماعياً(دنيوياً):

إن رسم صورة واقعية واضحة ومتكاملة للمجتمع المصري ليس مهمة سهلة، بسبب قلة الوثائق ونقصانها من ناحية، ومن ناحية أخرى يجب تتبع خيوط نشوء هذا المجتمع منذ البدايات الأولى، حيث عاش الإنسان المصري القديم عيشة الصيد والالتقاط ثم انتقل إلى مرحلة الزراعة والاستقرار، وهذا استلزم تعاون ووجود مدبر يشرف على تقسيم الأعمال، ويضمن الأمن والاستقرار، ولعل هذه المراحل المتتابعة والتطورية للحياة البشرية ما أفرز ما يسمى بنظام الطبقات الموجود ليس فقط في المجتمع المصري بل في كل المجتمعات البشرية دون استثناء .

لقد تكون البناء الهرمي للمجتمع المصري القديم مع قيام الدولة المصرية القديمة فكانت طبقة النبلاء تشغل قمة الهرم الاجتماعي، في حين كان الفلاحون والفقراء والحرفيين وصغار الباعة والعبيد يشكلون غالبية السكان في مصر ويشغلون قاعدته العريضة .

١- طبقة النبلاء:

كانت الطبقة الاجتماعية السائدة في مصر القديمة، تتألف من نبلاء المقاطعات والكهنة، وعلى رأسهم جميعاً الملك وحاشيته، كان هؤلاء الأسياد يملكون أراضي واسعة تضم قرى متفرقة في أنحاء البلاد، وقد ورث هؤلاء النبلاء جزءاً كبيراً من ممتلكاتهم من الملك مكافأة لهم على خدماتهم، وكان رجال الدين الأعلون ينتمون إلى الطبقة السائدة هذه، طبقة النبلاء(١).
لقد ضمت طبقة النبلاء عدد لا يستهان به من المناصب والوظائف الحكومية الرفيعة ولكن هناك ثالوث يجب التوقف عنده والحديث عنه بشكل موسع وهذا الثالوث مؤلف من:

الملك **الوزير** **حكام الأقاليم**

أ)الملك: يعد الملك قمة الهرم في المجتمع المصري القديم، يمسك بيده كل السلطات، السلطة السياسية فهو الحاكم ، و السلطة الاجتماعية فهو السلطة الأبوية التي تربى المجتمع المصري منذ القديم عليها والسلطة الدينية فهو الإله والكاهن الأكبر .

١() برهان الدين دلو:حضارة مصر والعراق،الطبعة الأولى،بيروت،١٩٨٩،ص١٠٣.

تمثلت الوظائف السياسية بالتفتيش على الحدود وحمايتها من أي أخطار حيث حرص الملوك منذ عصر الأسرة الأولى (٣٢٠٠-٢٩٨٠)ق.م على تسجيل انتصاراتهم وقضائهم على المتمردين وكان الملك يقود الجيش وإليه تنسب الانتصارات[1]، كما كان يعين كبار الموظفين وخاصة الوزير[2]، أما من الناحية الاجتماعية، فالملك الإله بصفته الراعي الأول للمجتمع فإن من أهم واجباته توفير الأمن والاستقرار والخير والطمأنينة لهذا المجتمع، ويتأتى ذلك من خلال الاهتمام بمشروعات الري وتوفير المياه اللازمة حتى يضمن محصولاً وفيراً لرعيته، وقد اهتم الملوك في سجلاتهم التاريخية (كحجر بالرمو)بتسجيل قياس ارتفاعات النهر وانخفاضاته، حيث ينسب الفضل في ورود المياه ومجيء الفيضان إلى الملك وصفاته الإلهية، حتى في الحالات التي كان يتأخر فيها الفيضان أو تقف المظاهر الطبيعية موقف معاكس لرغبات المجتمع، فإنهم ينسبون ذلك إلى قوة عدوانية من ناحية بعض الآلهة وعلى الملك أن يسترضيها حتى يعود الخير والاستقرار إلى مجتمعهم. كما كان من واجبات الملك أيضاً أن يتفقد المباني ويتابع أعمال الري، ويشرف على معظم الإنشاءات الهامة بنفسه مثل إنشاء القنوات وكذلك كل الأعمال الزراعية كما كان على الملك القيام بالرحلات و إرسال البعثات لإحضار ما يلزم من الأنحاء البعيدة أو القريبة وكان يستخدم وساطته لدى الآلهة لكي تحقق هذه البعثات النجاح كونه إلهاً[3].أما من الناحية الدينية فالملك هو الإله ثم ابناً للإله رع يمسك بيده السلطة الدينية، رغباته لا تناقش وكلامه قانون، ولكن هذا لا يعني أن سلطة الملك لم تكن مقيدة، فقد كشف كثير من المؤرخون أمثال ديودورز و فلندرز بتري حديثاً أن نظرية الحق الإلهي للملك كانت مقيدة تقيداً كبيراً بالنسبة لملوك مصر القديمة، حيث أن الملك لم يكن يستطيع أن يقوم بأي عمل يدين فيه شخصاً أخر لمجرد نزعة شخصية، أو بقصد التشفي والانتقام، أو لأي دافع أخر لا يتفق مع روح العدالة، لقد كان مقيداً وفق ما ينص عليه القانون ولنا في ذلك أمثلة نذكر منها في جانب القضاء كيف كان مستقلاً وكيف كانت المحاكمات تسير بدقة طبقاً للإجراءات القانونية وبدون حضور الملك، ففي محاكمات الأسرة السادسة (٢٤٢٠-٢٢٣٠)ق.م تروي الوثائق أن رجال الحاشية قد دبروا بزعامة زوجة الملك وكانت تدعى أمتس مؤامرة لقتل زوجها بيبي الأول وفشلت المؤامرة وأصدر الملك أمره بتشكيل محكمة لمحاكمتها، وقيل في سبب أقدام الملكة على هذه المؤامرة غيرتها من زواج الملك بأميرتين غيرها.وفي عهد الأسرة العشرين(١١٨٤-١١٨٢)ق.م دبرت أحدى نساء الحريم الملكي وتدعى ((تي))مؤامرة لقتل الملك

---

(1) سعد الله: مرجع سابق، ص٧٠.
(2) مصطفى النشار: الخطاب السياسي في مصر القديمة،الطبعة الأولى،القاهرة١٩٩٨م، ص٢٠.
(3) سعد الله:مرجع سابق،ص٧٠.

رعمسيس الثالث والاستيلاء على الحكم لتمكين ابنها من اعتلاء العرش وقد كُشفت هذه المؤامرة أيضاً وأمر الملك بتشكيل محكمة لمحاكمة زوجته والمتآمرين معها ودون أن يتدخل في أمور المحاكمة[1]

ب)الوزير:

يأتي الوزير على رأس الإدارة المركزية وكان يُعد أقوى رجل في المملكة بعد الملك[2] ونظراً لخطورة هذا المنصب كان ملوك الأسرة الرابعة مثلاً ينسبون منصب الوزير إلى ولي العهد، وإلى هذا الوزير كان يتم تحويل جميع الرسائل والخطابات الرسمية والمكاتبات الملكية الخاصة بتسجيل الأراضي وجمع الوصايا، كما كان الوزير أكثر رجال المملكة المصرية مسؤولية، أنه كان الرئيس المباشر لأعمال موظفي الحكومة المصرية، من إداريين وكتبة وغيره بالإضافة لذلك كان يتولى الإشراف على عدة أمور ثانوية خاصة بالدولة وكان يشترط فيه أن يكون بارعاً في فن العمارة حتى أنه كثيراً ما كان يلقب بـ (رئيس أشغال الملك)[3] ولما كان الوزير إرادة السيد وعيني الملك وأذنيه كان من الضروري له أن يكون أحكم الحكماء ليكون عند ثقة الملك، فمن أعظم مهامه العدل فهو وزير العدل وله الحق بالإشراف على جميع الهيئات الإدارية والمصالح الحكومية[4] بمختلف أنواعها، ومن المرجح أن الرجل العاقل العظيم المسمى ايمحوتب كان يشغل هذا المنصب أيام الملك زوسر، كما كان الفيلسوف والحكيم بتاح حتب الذي يرجع تاريخه إلى عصر الأسرة الثالثة يشغل هذا المنصب ونظراً لشدة احترام المصريين لهذا المركز وتوقيره في نظر الرعية فقد كانت العادة أن يذكر الناس أحياناً بعد اسم صاحبه (دعاء بالصحة والسلامة والعافية) كما جرت العادة أيضاً أن يذكر اسم الوزير بعد اسم الملك وأعضاء الأسرة الحاكمة مباشرة[5]

ج)حكام الأقاليم:

قُسمت مصر لسهولة بسط نفوذ الحكومة عليها إلى أجزاء بلغ عددها في الوجه القبلي حوالي عشرين، والوجه البحري ما يماثل ذلك، أما حكام هذه الأقسام فكانوا يعينون بأمر ملكي، ويلقبون عادة باسم (نواب الملك)ويعهد إليهم بالإدارة والقضاء

---

(1) النشار: مرجع سابق ،ص٢٦.

(2) Breasted, J., A History of Egypt from the earliest Times to the Persian conquest, U.S.A., 1959, P.82.

(3) إمام: مرجع سابق ، ص١٣٧

(4) أحمد: تاريخ و حضارة مصر الفرعونية، مرجع سابق ،ص٢٥.

(5) إمام: مرجع سابق،ص١٣٧

ولما كانوا ينظرون في الشكاوي والمنازعات والخلافات بين الناس، فقد أطلق عليهم أيضاً لقب القضاة[1] فكان حاكم الإقليم يحمل لقب (قاضي وكاهن و ماعت)[2].

كان حكام الأقاليم يندرجون في الطبقة التالية للملك مباشرة، أي طبقة النبلاء والأمراء، ولم تكن هذه الطبقة في بادئ الأمر حكراً على فئة معينة بل كان يحق لأي موظف يتفانى في خدمة الملك أن يرتقي إليها، ولكن منذ عهد الأسرة الخامسة ومع ضعف الملكية الإلهية، بدت أقدام حكام الأقاليم بالرسوخ والحصول على حق توارث الإقليم حتى بدأ شكل هذه الطبقة يزداد طموحاً ووضوحاً في آن واحد، فلقد انحصروا جميعاً في هذه الطبقة التي أصبحت قريبة من الملك أكثر، وساعدهم على ذلك بقاء حق وراثة الإقليم في أسرة كل حاكم إضافة لما ذكرناه سابقاً من ضعف الملكية، وقد ازداد هذا الطموح حتى وصل الأمر في عهد الأسرة السادسة(٢٤٢٠-٢٢٣٠)ق.م إلى اعتبار المصاهرة بين الأسرة الملكية وعائلات حكام الأقاليم أمراً عادياً وذلك عندما تزوج الملك (بيبي الأول)من ابنتي حاكم إقليم أبيدوس الواحدة تلو الأخرى بحيث أصبحت الأولى أماً للملك مري ان رع، والثانية أماً للملك بيبي الثاني، هذا الأمر الذي كان من شأنه أن يُحدث خللاً في التركيب الاجتماعي لطبقات المجتمع وتمايزها ،حتى إذا ما قامت الثورة الاجتماعية وجدت الأرض ممهدة للقضاء على نظام الطبقات المنفصلة وأن تضربها في قوتها التي تستند إليها، وقد نجحت في ذلك إلى حد ما حتى رأينا الملك بعد الثورة إنساناً أكثر منه إلهاً،بعد أن كان إلهاً أكثر منه إنساناً[3].

قبل أن نختم الحديث عن طبقة النبلاء يجب أن نذكر الطائفة الكبيرة من الموظفين الذين كانوا يعملون باسم الملك ويتلقون مسؤولياتهم منه مباشرة مثل المشرف على أملاك القصر والمشرف على جميع أعمال منشآت الملك أو حامل ختم ملك الوجه البحري ، كما كانت وظيفة الكاتب من أعظم الوظائف سميت بصاحبها فحضي بالتبجيل والتقدير والتأليه مثل (إيمحوتب) وتعد وظيفة مدير بيت المال الذي يشبه المدير العام في وزارة المالية في العصور الحديثة من أعظم الوظائف في هذا المجال.

---

(1) إمام : المرجع نفسه،ص١٣٧.

(2) أحمد: تاريخ و حضارة مصر الفرعونية، مرجع سابق، ص٢٧.

(3) السعدي: مرجع سابق ، ص٢٨٣.

٢-عامة الشعب :

شكل هؤلاء النسبة الكبيرة من المجتمع المصري و قد ألقي على عاتقهم مهمة القيام بكل الأعمال الشاقة التي تستلزم جهداً عضلياً متعباً ،نعلم ذلك من خلال التعاليم التي وجهها الحكيم ختي بن دواوف لابنه بيبى(٢٢٣٠-٢١٣١)ق م، حيث يوضح له أهمية تعلم الكتابة و مكانة الكاتب العظيمة ،كما و يبين له مساوئ المهن الأخرى و ما يعاني أصحابها من مخاطر و متاعب الحياة وسأبحث ذلك بالتفصيل في الفصل الثالث.

الفلاح:

لقد كان لطائفة الفلاحين وضع من حيث امتلاك الأرض أو استئجارها يختلف عن وضع طائفة عبيد الأرض، فقد كانوا مزارعين أحراراً من صميم أفراد الشعب لا يكونوا خاضعين إلا لأداء الضرائب أو الإيجارات المقررة أنهم كانوا يملكون الأراضي المجاورة لضفاف النيل، وقد أتاح لهم موقع أرضهم الاستفادة بفترة أطول في الموسم الزراعي وذلك أنه كان في استطاعتهم استغلالها في كل حين(١)، وقد ارتبط الفلاح المصري بالأرض التي اعتبرها المصريون القدماء رمزاً لحياتهم حيث كان الفلاح مسؤول عن تنظيم الأراضي وتمهيدها وفلاحتها وزراعتها وجني المحصول منها، ولم يكن بالضرورة هو المستفيد من هذه الأرضي فقد تكون تابعة للملك وللبلاط الملكي أو لكبار رجال الدولة، كما أن منزله الذي شيده من الطين والقصب لم يكن سوى وسيلة لإبقائه في الأرض التي يعمل بها وبالرغم من واقع الفلاح المصري فأن النقوش أشارت إلى سعادته ومرحه خاصة وأن المعتقدات الدينية السائدة دعته للاعتقاد بأن ما آلت إليه حاله إنما هي إرادة إلهية يجب الخضوع لها(٢).

العامل:

أوضحت الآثار والرسومات والنقوش المصرية إلى وجود مهن عديدة وعاملين في أكثر الميادين الصناعية ومن هؤلاء النجار والنقاش والحلاق والنحات والحائك والحداد، كانت أحوالهم الاجتماعية سيئة بخلاف عمال القصور والبلاط الملكي الذين كانت أوضاعهم أفضل من بقية العمال(٣)، ولعل ما هوّن مشاق هؤلاء العمال

---

(١) بتري: مرجع سابق ، ص٥٠.
(٢) حسان حلاق:ملامح من تاريخ الحضارات،بيروت،١٩٩١، ص.٣٥
(٣) حلاق: المرجع نفسه ،ص٣٧.

الإيمان بالعقيدة الدينية(١)، ويبدو أن أحوالهم تحسنت فيما بعد، فقد شهد عهد أخناتون تطوراً ملموساً في تحسين المستوى الاجتماعي لهؤلاء ولاسيما النقّاشين منهم(٢).

المرأة:

لقد وضعت المرأة المصرية في مركز مرموق بسبب طبيعتها والنظرة إليها في المجتمع المصري(٣).

وقد أوصى أحد شيوخ المصريين فتاه في أواسط القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد وقال له: **"إذا أصبحت كفئاً كون أسرتك وأحبب زوجتك في حدود العرف أو عاملها بما تستحقه"**(٤).

كانت المرأة المصرية تتمتع بحقوق مساوية للرجل، ليس على الورق وإنما في الواقع فعلاً وذلك بعكس ما كان عليه الحال في معظم الدول القديمة مثل اليونان أو الرومان، وتوضح لنا جميع المصادر أن المرأة كانت دائماً مكان احترام وفي بعض الأحيان كان التركيز يتم عند ذكر النسب على الأم أكثر من الأب.

هذه المساواة الاجتماعية بين الرجل والمرأة، يمكن تتبعها حتى عصور ما قبل التاريخ المكتوب، وقد وجد في حفائر الجبّانات أن المرأة كان لها الحق في أن تدفن في مقبرة خاصة بها مثل الرجل مع وجود القرابين المناسبة والتماثيل والشواهد، وقد وجدت مقابر لكثير من السيدات باختلاف الطبقات التي تنتمي إليها، كما أنها تحتوي على تجهيزات مثل التي تحويها مقابر أزواجهن .

لقد عاشت المرأة في المجتمع المصري، أماً وزوجة وملكة ومربية أطفال، وتمتعت بكل حقوقها على أكمل وجه، فكان لها حقاً في الجانب القانوني وبخاصة حق إدارة أعمالها الخاصة الذي تعتبر أحد الأعمدة الأساسية للمساواة، فلقد كان من حقها أن تمتلك وتتصرف في الضياع والخدم والعبيد والمال والأشياء الثمينة بحرية واستقلال تامين، كما كانت تستطيع إبرام العقود بجميع أنواعها وأن تكون شاهدة على عقود الزواج وأن تكتب الوصايا وأن تمنح العبيد حريتهم أو حتى أن تتبنى أي شخص.

وكان للمرأة المصرية الحق بأن تتقدم إلى المحكمة النظامية بشكوى، أو ترفع فيها دعوى، كما لم تكن المرأة بحاجة إلى وصي لتنفيذ أية أفعال قانونية، كما أن كونها متزوجة لم يكن لذلك أية أهمية. لقد تعددت طرق الحصول على الثروة لدى المرأة كان أهمها الوارثة عن طريق الوالدين، أو الهدايا عن طريق الزواج، أو أن تحصل

---

(١) أحمد: : تاريخ و حضارة مصر الفرعونية ، مرجع سابق، ص١٥٨ .
(٢) حلاق: مرجع سابق، ص٣٥.

(٣) حلاق:المرجع نفسه، ص٣٤
(٤) عبد العزيز صالح: الأسرة في المجتمع المصري القديم، القاهرة،١٩٦١، ص٥.

على ممتلكاتها الخاصة بالشراء، وكان يحق للمرأة حرية التصرف في ميراثها وكانت تستطيع أن تحرم أي من أولادها من هذا الميراث.

و في الجانب التعليمي، كانت المرأة في بعض الأحيان متعلمة تستطيع القراءة والكتابة، وهناك نساء تقلدْن مناصب مثل مديرة صالة الأكل، أو رئيسة ورشة صناعة الشعر، أو رئيسة المغنيات، أو مديرة حريم الملك، وباستثناء نساء الطبقات الاجتماعية الدنيا كان يحق للنساء العمل في معابد الآلهة، وابتداء من عصر الدولة الحديثة لم يعد للطبقة الاجتماعية دوراً في ذلك. أما ملابس المرأة فكانت المادة الأساسية الكتان الذي كان خفيفاً يبعث البرودة في الجسم، ويبدو أن الصوف لم يستعمل أبداً ولم يكن للباس أي تميز طبقي حيث سيدات المجتمع والخادمات ونساء الطبقة الدنيا تلبسن نفس الزيّ، كما كانت المرأة المصرية تلبس الصنادل من البوص المجدول أو الجلد والتي تمسك بالإصبع الكبير من الأمام مع وجود حزام رفيع حول الكعب(1). إن ما عرضناه عن مكانة المرأة ولو كان بإيجاز يعطي فكرة واضحة عن المكانة المرموقة التي تمتعت بها المرأة في حضارة تميزت كثيراً في معاملة المرأة عن حضارات لاحقة لم تكن المرأة لتصل إلى مثل هذه المكانة المتميزة.

الجندي:

كان الجيش المصري عماد الحكم الملكي وأداته العسكرية ولذا فقد حرص ملوك مصر على الاعتناء بالجيش لمعرفتهم بأنه حامي عرش الملك والمدافع عن مصر من الأخطار الداخلية والخارجية، ولوحظ بأن بعض الجنود الممتازين تدرجوا في سلك الجندية فأصبحوا ضباطا وتولوا مناصب قيادية كبرى.

أما في ما يخص قومية عناصر هذا الجيش، فإنه لم يكن مصرياً خالصاً بل ألتحق فيه العديد من الأجانب الغرباء عن مصر وبعض المرتزقة لذا فقد كان الملك حريصاً على إعطاء كل مرتزق قطعة من الأرض يعنى بزراعتها واستثمارها تأميناً لحاجاته وحاجات عائلته وقد ذكر هيرودت بأن عدد الجنود بلغ ما يقارب ٣١ ألفاً وقد اقطع كل منهم $3\frac{1}{4}$ هكتار في الدلتا ولابد من الإشارة إلى أن الجنود غير

(1) محمد فياض: المرأة المصرية القديمة،الطبعة الأولى، القاهرة،١٩٩٥، ص٦٦.

المصريين تمصروا بمرور الزمن خاصة بعد أن ورثوا أولادهم الإقطاعيات الزراعية وسلك الجندية(1).

العبيد:

لم يقصد فلندرز بتري باستخدام مصطلح العبيد عندما تحدث عن طبقة الفلاحين بأن هذا المصطلح كان موجود فعلاً كما أصبح موجوداً لاحقاً في أوروبا في العصور الوسطى وهذا المصطلح لا يدل تماماً على الحالة الاجتماعية لهؤلاء الأجراء لأنهم لم يكونوا عبيداً أو رقيقاً، ذلك أن الرق في جميع عصور التاريخ الفرعوني لم يتناول أي طائفة من أهالي البلاد وإنما اقتصر على الأسرى الأجانب فقط والواقع أن مركز هؤلاء الأجراء كان يتغير على مدى العصور بتغير النظم السياسية والاجتماعية السائدة في البلاد ،ففي الدولة القديمة ادعى بعض العلماء بأن عبيد الأرض كانوا يعتبرون ضمن الأملاك الخاصة بصاحب الأرض تنتقل ملكيتهم بانتقال الأرض التي يعملون فيها واستندوا في ذلك على عدة وثائق نذكر منها وثيقة كبار موظفي الدولة في عهد الأسرة الرابعة المدعو (متن)جاء فيها أنه خلف لأولاده ضيعة من الأراضي ومعها الأنفار والمواشي، هناك علماء اعترضوا على ذلك بقولهم أن هذه النصوص لا تفيد حتماً، أن العمال أو الزراعيين يعتبرون من الأرقاء فالعامل أو الزارع وفقاً لهذا الرأي لم تنتقل ملكيته من شخص إلى أخر وكل ما هنالك أن العقد الذي يربط العامل بمالك الأرض يعطي حقاً شخصياً لهذا المالك قبل العامل ، ولهذا المالك إذا شاء أن ينقل حقه الشخصي إلى من يشاء فيكون المالك الجديد قد حل محل المالك الأصلي في هذا الحق، أي أن المسألة مجرد انتقال للذمة لا انتقال للملكية؛ ويؤيد هؤلاء العلماء حجتهم بأن جميع الناس في ذلك العصر كانوا أحراراً، كما ورد في مرسوم آخر للملك (ببيي الأول) بأن العامل كان يعمل بأجر، وهذا كله دليل على أن العامل الزراعي لم يكن مملوكاً لصاحب الأرض ولكن في أواخر عهد الدولة القديمة وفي الدولة الوسطى ازداد نفوذ الأشراف في الأقاليم وهنا فقد كثير من الزراع حريتهم وحرية أبنائهم وأصبح هؤلاء ملازمين للأرض لا ينتقلوا منها ولا يخرجهم المالك منها أبداً.

أما في عهد الدولة الحديثة فقد اضمحل هذا النظام وتحرر العمال الزراعيين من نظام التبعية(2).

---

(1) حلاق:مرجع سابق،ص٣٦

(2) بتري:مرجع سابق،ص٥٠

الرق وأسرى الحرب:

لم يكن عدد هؤلاء العبيد كبيراً بالنسبة إلى عدد سكان مصر، وكان الملك يحتفظ بأكثر هؤلاء العبيد في قصره ليقوموا بتأدية الخدمات للملك و حاشيته(1). هكذا كان استخدام هؤلاء ضيق النطاق في العصور الأولى من تاريخ مصر وهؤلاء الأرقاء غير عبيد الأرض الذين كانوا مرتبطين بالمزارع التي يعملون فيها ولهم هناك مساكنهم الخاصة ولا يجوز التصرف فيهم بالبيع على أن الأمر كان يختلف فيما يتعلق بأسرى الحرب إذا كان نقل ملكيتهم من الأمور المقررة سواء أكان ذلك بأمر الملك أم عن طريق البيع غير أننا لم نعثر إطلاقاً على أي دليل على وجود أرقاء من الزنوج في عهد الأسرة الثانية عشر، أما في عهد تحوتمس الثالث فلم يتعدى مجموع عدد الأسرى الذين وقعوا في قبضته خلال عشرين عاماً من حروبه عشرة ألاف أسير وهو رقم لا يسهم بمقدار يذكر في تعداد سكان مصر، ومع ذلك فقد كان هؤلاء الأسرى من الصناع المهرة والنساء الممتازات(2)، وانتقل عدد منهم من مرتبة العبودية إلى مرتبة الأحرار وكان لهم نفوذ ملحوظ فيما بعد على الطبقات الحاكمة في البلاد وقد مرت حقبة تاريخية دون قيام حروب لم يزد فيه عدد الأرقاء، ومن المرجح أن هؤلاء بمرور السنين اندمجوا في المصريين ولكن فيما بعد ظهر نوع من الاسترقاق بمقتضى عقود معترف بها يفقد خلاله الرجل حريته لقاء دين أو أجرة علاج وكان هذا الرجل يتنازل عن كافة ممتلكاته وأطفاله أيضاً ومن سيولد في المستقبل.

خلاصة القول أن تجارة الرقيق في مصر، لم تبلغ قط ذلك المبلغ الخطير الشائن الذي بلغته عند اليونان والرومان، وذلك لأن نظام العمال الأجراء الذي يبدو أنه كان متبعاً في كافة عصور التاريخ المصري قد جعل أصحاب الضياع الواسعة في غير حاجة إلى الأرقاء، ولقد كان نظام تسخير العمال في مصر قد سار في حدود الاعتدال وخلا في معظم الأحوال من مظاهر الإيذاء والقسوة ولذلك لم يقف حائلاً في سبيل ظهور الكفاءات الممتازة بين العمال المسخرين، كما أنه جنب البلاد الخراب الذي يجره الرق عادة(3).

---

(1) حلاق:مرجع سابق،ص٣٤.

(2) بتري:مرجع سابق،ص٦٨.

(3) بتري:المرجع نفسه،ص٦٨.

٣-أقدم ظهور للقيمة الأخلاقية(المسرحية المنفية):

تعد المسرحية المنفية أقدم وثيقة وصلت إلينا تتحدث عن ألفاظ ذات قيمة أخلاقية تعود كما يقول برستد إلى حوالي ٣٤٠٠ ق.م وهذه الوثيقة منقوشة على حجر أسود محفوظ الآن في المتحف البريطاني وذلك الحجر كان قد استعمله بعض القرويين قاعدة لحجر طاحونة لطحن غلالهم وقد استمروا في إدارة حجر الطاحونة الأعلى حتى كادوا يمسحوا كل مادون على ذلك الحجر من نقوش.

إن ما بقي على الحجر الهام من الفقرات المشوهة له أهمية لا تقدر بثمن ففي أعلى الحجر نقش فيه اسم شباكا(الأسرة الخامسة و العشرين ٧١٩-٧١١)ق م(*) ذلك الفرعون الذي نقل هذه الكتابات التي كانت موجودة على ورق البردي التي أكله الدود حتى أصبح لا يمكن قراءته من البداية حتى النهاية وقد اعتبر الفرعون هذا العمل (إرث الأجداد).

يصف لنا برستد في كتابه فجر الضمير ص٤٩ كيف قضى أيام الصيف الخانقة محاولاً أن يتعرف على ما كتب في هذه الوثيقة المهمة حيث توصل بعد جهد وعناء لمعرفة محتوياتها، حاكماً عليها بأنها عبارة عن تمثيلية اشترك فيها الكهنة.

وهذا يؤكده زيته الذي يقول يجب أن نفهم أن أحد رجال الدين المشهورين أو كاهناً مرتلاً كان يلقي جزءاً كبيراً من الرواية التمثيلية في شكل خطبة مطولة يظهر الآلهة المقصودين خلال إلقائها(١).

يمكن تلخيص هذه المسرحية في أنها محاولة لتفسير أصل جميع الأشياء ويدخل في ذلك نظام العالم الخلقي وأن هذا الأصل يرجع إلى (بتاح)إله منف(٢)، حيث يبدأ النص بابتهال إلى الإله بتاح وكان بتاح وقتها الإله المحلي لمدينة منف، وكان في الأصل واحد من بين العديد من الآلهة يقوم بدور القديس الراعي للصناع، ولكنه اتخذ لنفسه فيما بعد مركزاً مرموقاً، لا شك أنه كان نتيجة اقترانه بالصنع أو الخلق بوجه عام وعندما وحد مينا كلاً من مصر العليا ومصر السفلى يبدو أنه رفع مكانة بتاح إلى منصب كان يحتله حتى ذلك الوقت إله الشمس ذاته وكان السبب أن صارت منف المنطقة الأهم وكتب لها أن تظل لمدة طويلة عاصمة مصر(٣). وهنا المسرحية تبرز لنا إله الشمس رع متحولاً تماماً إلى قاض يحكم في شؤون البشر، تلك الشؤون التي أصبحنا ننظر إليها من الناحية الخلقية، فهو يحكم عالماً يرى من واجبه توجيه حياة البشر فيه طبقاً لقواعد تفصل بين الحق والباطل وأنه من المدهش أن نجد أمثال هذه الأفكار أن تظهر فعلاً في منتصف الألف الرابع قبل الميلاد، كما

(*) حكم مصر في القرن الثامن قبل الميلاد(أ.ف توملين:فلاسفة الشرق،ترجمة عبد الحميد سليم، الطبعة الثانية ،القاهرة،د.ت ص٣٦).

(١) برستد:مرجع سابق، ص٥٢.

(٢) كامل: مرجع سابق ، ص٢٦٢.

(٣) توملين: مرجع سابق ،ص٣٧

تبرز هذه المسرحية المكانة السامية التي احتلها بتاح كما ذكرنا سابقاً فنجد أن (بتاح العظيم هو قلب الآلهة ولسانهم)وهذا التعبير الخارق يصير أكثر وضوحاً لنا عندما نعلم أن القلب معناه(العقل)أو الفهم، أما اللسان فهو رمز النطق والآن نستطيع أن ندرك أحداث المسرحية التي تتحدث عن أصل الأشياء فالقلب واللسان تغلبا على كل عضو في الجسم، وعلما الإنسان أن بتاح كان في كل صدر على هيئة القلب وعلى هيئة اللسان في كل فم، سواء في ذلك جميع الآلهة وجميع الناس وجميع الماشية وجميع الزواحف وسائر الأحياء، وفي الوقت نفسه يفكر بتاح فيما يشاء، ويأمر بكل ما يريد وبالتالي كل ما صدر عن الآلهة الذين كانوا صوراً لبتاح هو ما فكره القلب وأمر به اللسان.

أما إذا انتقلنا إلى جانب أخر تحدثت فيه المسرحية المنفية وهو النظام الدنيوي وما تضمنه من قيم أخلاقية، ففي الواقع أن هذه المرحلة السحيقة من التقدم البشري التي أخذ فيها الإنسان يدرك أن بعض سلوكه ممدوح وبعضه مذموم وأن كل إنسان يعامل بحسب ذلك، فالحياة تمنح للمسالم(الذي يحمل السلام) ويحيق الموت بالمجرم(الذي يحمل الجريمة)على أنه مما يلفت النظر أن هؤلاء المفكرين القدامى لم يستعملوا في هذا المقام الكلمتين (طيب) و(خبيث)، فالمسالم في نظرهم هو الذي يفعل ما هو محبوب، والمجرم هو الذي يفعل ما هو مكروه، وهاتان العبارتان هما حُكمان اجتماعيان يحددان ما هو ممدوح وما هو مذموم، وفي هذين التعبيرين نجد أقدم برهان عرف لمقدرة الإنسان على التمييز بين الخلق الحسن والخلق السيئ وظل استعمالهما مستمراً ولم يحل محلها كلمتا الحق والباطل إلا بعد ذلك بزمن طويل(١). لقد كان هذان التعبيران القاعدة الصلبة التي أنطلق منها المصري القديم في الحكم على السلوك البشري، فالرجل الفاضل يسمى محباً للسلام وبالنص الحرفي (حامل السلام)وهو تعبير أخلاقي بلا شك يعرف الرجل الفاضل بعلاقته بمن حوله، وعلى النقيض منه حامل الجريمة أو المجرم فهو الذي يخطئ في حق من حوله والواقع أنه كان لا بد أنه قد وُجد في ذلك الوقت قانون مسنون يعترف بهذين النوعين من السلوك ويقرر إحاقة الموت بالمسيء ومنح الحياة لغير المسيء(٢).

بلا شك أن ما سبق من تفاصيل أنما تدل على ظهور رقي أخلاقي اجتماعي ظهرت بذوره الأولى ولكنها لم تطبق، لأن سلوك الفرد في هذه الفترة الموغلة في القدم كان مسيراً بمعنى أن الملك الذي كان هو الإله أو ممثل للإله، هو من كان يقرر في مسألة الحق والباطل، ولكن بعد فترة ليست ببعيدة بدأ المصري القديم يتحرر ويوازن ويقرر أي من هذه الأفعال على حق وأيهما على باطل وبالتدرج حل مكان الحق أو أصبح رديف له (الخير) وحل مكان الباطل أو أصبح رديف له (الشر) وبالتدرج أشتق المصري القديم من الخير قيم أخلاقية كثيرة مثل الصدق والمساواة

١() برستد:مرجع سابق، ص٥٧.

٢() برستد:المرجع نفسه،ص٥٩.

والكرامة والعدالة والعلم والحرية استطاع من خلالها بناء أرقى وأقدم حضارة عرفها العالم.

الفصل الثاني:

أثر الدين في تطور القيم الأخلاقية:

١-الملكية الإلهية وفكرة البعث والخلود:

٢-أسطورة الإله أوزير:

٣-الكتابات الدينية: أ- نصوص الأهرام

ب- نصوص التوابيت

ج- كتاب الموتى

٤-الماعت:أ- أثر الماعت في البعد الديني

ب- أثر الماعت في البعد السياسي

ج- أثر الماعت في البعد الاجتماعي

كان الدين في مصر خاصة والشرق القديم عامة، أساس نشوء المجتمعات في حياتها الاجتماعية والاقتصادية، فالدين هو الأوامر والنواهي الإلهية التي تنظم حياة المجتمع، من أطاع الآلهة في أوامرها ونواهيها قد فاز بالتوفيق الدنيوي وفاز بالنعيم الأبدي ومن عصى الآلهة فالميزان ينبذه إلى حيوان يلتهمه ويحرمه من العيش بالنعيم.

١- الملكية الإلهية وفكرة البعث الخلود:

من صميم الديانة المصرية نبعت الملكية الإلهية والتي ساهمت في توحيد بلاد النيل تحت راية ملك إله (حسب العقيدة المصرية القديمة) يمثل رغبة الإله الأكبر (حور) كما كان للملكية الإلهية دوراً بارزاً في تنظيم شؤون الدولة في كافة المجالات السياسية والإدارية وحتى النفسية، لدرجة أن الناس أقبلت على تقبل القوانين والقواعد الموضوعة بكل حب واحترام وإخلاص، بلا جدل أو تشكك وقد أدى ذلك إلى ظهور القيم الأخلاقية التي تمثلت بالولاء والطاعة والإيمان المطلق الذي انغرس في نفس المصري القديم حيث أدى كل ذلك إلى قيام الدولة المصرية التي كانت القيم والأخلاق الفاضلة نبراساً لها، كما كان لفكرة الإيمان بالبعث والخلود الأثر العظيم في تربية النفوس تربية صادقة مخلصة مؤمنة بحيث أصبح المصري القديم يعمل لآخرته أكثر مما يعمل لدنياه (من يعمل مثقال ذرة خيراً يرى ومن يعمل مثقال ذرة شراً يرى). كما طبعت هذه الفكرة سلوك الإنسان بطابع المحاسبة فتهذب طبعه، وحسن سلوكه وصار يؤمن بالحساب في الآخرة. ولكن كيف ومتى نشأت الملكية الإلهية وما هي القيم الأخلاقية التي تمخضت عنها؟

يمكن القول بأن الملكية الإلهية نشأت وتطورت بصورة تدريجية منذ تحقق التعاون بين أفراد القرية المصرية الأولى بحيث أصبحت الحاجة ماسة إلى وجود ملك يحقق مطالب المجتمع وينقذه من كافة المحن الاقتصادية ويحقق له الانتصارات الحربية وغيرها من المظاهر الأساسية التي توفر الاستقرار والخير والأمان[١]. ونظراً لأن الإنسان المصري القديم كان يعتقد أن الكون لا يتجزأ فلقد نما الاعتقاد لديه بوجود ارتباط وثيق بين مليكهم وبين القوى الإلهية الموجودة في عالمه، وأنه أحق إنسان في المجتمع المصري القديم يستطيع القيام بدور الوساطة لديها[٢]، وقد أدرك المصري القديم ذلك الارتباط من خلال ما عكسته الأساطير على أن مصر حكمتها الآلهة منذ العصور الموغلة في القدم وقد أوكلت الإلهة بعد ذلك المهمة للملك ، حيث

---

(١) سعد الله: مرجع سابق، ص٢٠.
(٢) رشيد الناضوري: التطور التاريخي للفكر الديني، بيروت ١٩٦٩، ص٤٦.

نما الاعتقاد لدى المجتمع بأن الدم الملكي يختلف اختلافا جذرياً عن الناس العاديين ، وأن الحق الملكي في الحكم قائم على طبيعته الإلهية المميزة عن البشر والتي كانت تنتقل مع الدم الملكي من ملك لأخر[1]، ومن المؤكد أن هذه القناعة لدى المصري القديم كانت السبب الأساسي في عملية التوحيد التي تمت على يد الملك مينا(٣٢٠٠ق.م) ، حيث الإيمان المطلق بأن هذا الملك هو ممثل الإرادة الإلهية ولا مجال للجدل في ذلك، وقد حاز هذا الملك على الاحترام الشديد والتوقير من جميع أفراد الرعية على اختلاف مراتبهم ودرجاتهم، لقد عدّ المصريون القدماء الملك شخصية مقدسة لا يجب أن يذكروا اسمه صراحة وإذا أرادوا ذكره قالوا (المعبود الطيب) أما الحاجب الملكي فهو يستخدم في كلامه ضمير الغائب كلما استخدم شيئاً خاصاً بجلالة سيده ، فيقول مثلا: (هو)للدلالة على الملك أو لنبسط له الأمر بمعنى سوف نخبر جلالته بالأمر أو يقول: (الإله) أو حور الذي في القصر ، لقد عدّ المصريون القدماء الملك صاحب الحق المطلق في أرض مصر وسكانها أيضاً فهو يملك الأرض ومن عليها بأمر من الإلهة

"بأمر من آتون أعطيت إلى حور (أي الملك) جميع المدن والمقاطعات"[2].

ومن هنا له مطلق الحرية في التصرف فيها سواء بامتلاكها أو منحها لمن يشاء أو السماح للجزء الأكبر من الرعية بالعمل و الإنتاج[3]، لقد أدت هذه السيادة الإلهية للملك إلى نتائج كان لها أثراً كبيراً على حياة المصري القديم من حيث الاستقرار وتوفير كل متطلبات العمل والإنتاج إضافة إلى ظهور قيماً أخلاقية تمثلت بالطاعة والولاء والتعاون والمساواة، لقد تجمعت في شخصية الملك كل خيوط العمل السياسي والديني والأخلاقي، فالملك الحاكم المطلق من الناحية السياسية وهو القدوة لرعاياه في تأدية الطقوس الدينية التي يمارس شعائرها، كما أنه المثال الذي يحتذى

به للعدالة والمساواة والمعاملة الحسنة، ولا شك أن العدالة هي الصفة الأساسية التي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالملكية الإلهية، ولأهمية العدالة في تحقيق سعادة المجتمع المصري كانت إلهة العدالة(الماعت) القوة الإلهية التي تحقق العدل بين الناس، وقد مثلها المصري على شكل إلهة سيدة تحمل شارة على شكل ريشة ، وقد كان من الضروري بوصفها صفة من صفات النظام والاستقرار أن يعاد تأكيدها عندما يتولى الحكم ملك جديد حيث يصور على جدران المعابد وهو يقدم (ماعت) كل يوم للإلهة الآخرين كدليل ملموس على قيامه بوظيفته الإلهية نيابة عنهم، وكما اقترنت الماعت باسم الملك الإله كان لابد من اقتران اسم الملك أيضاً ببعض

---

(1) Frankfort, H., Kingship and the Gods, Chicago, 1948, P. 36.
(2) Pirenne, J., La religion et la Morle dans L'Egypte antique, Suisse,1965. P.15.
(٣) إمام : مرجع سابق ، ص١٣٥.

الألقاب التي توضح حملة للصفة الإلهية وحقه الإلهي في حكم مصر العليا والسفلى وتذكيره لشعبه دائماً بأنه وريث الإلهة والصورة الحية للإله (حور) على الأرض وقد بلغ عدد هذه الألقاب عند نهاية الدولة القديمة خمسة ألقاب رئيسية:

أولها: إنه الإله (حور) وهو اسم يؤكد صلة الفرعون ، بالإله (حور) ويجعله وريثاً له يحكم باسمه ويتجسد فيه شخصياً وأصبح حور قبل كل شيء المثل الأعلى للملك وإذا أرادوا أن يفرقوا بين الملك الإله وبين الإله (حور)، لقب الأول (بحور الذي يسكن القصر).

اللقب الثاني: يرجع إلى عصور ما قبل التاريخ قبل توحيد مصر، من عصر الأسرة الأولى، حيث أعلن الملك أنه (الربتين) لأنه اتحدت فيه شخصياً كل من الإلهة الحامية للوجه القبلي (نخبت) التي كانوا يرمزون إليها (بأنثى النسر) و(واجيت) حامية الوجه البحري التي كانوا يرمزون إليها (بحية) هذا اللقب يؤكد صلة الملك بالإلهة الحامية له ويضعه على قدم المساواة معها بالإضافة إلى تمثيله كل من الجنوب والشمال تحت حمايته.

اللقب الثالث: هو لقب (حورالذهبي) وهذا اللقب تعبيراً عن القوة والمجد والرفاهية والتي يسبغها الملك الإله على شعبه[1]، وكما يرى ولسون فإن الأدلة لا زالت غامضة عن سبب استخدام هذا اللقب[2]

اللقب الرابع: (نيسوت بيتي) النيسوت: رمز انتساب الملك إلى الجنوب وهو نبات خاص بالجنوب، وبيتي: تعني النحلة وهي حشرة ترمز إلى أهل الشمال، كان المصريون يكتبون هذا الشعار أمام اسم تتويج الملك[3].

وآخر الألقاب الخمسة: (سارع)(*) أضافه ملوك الأسرة الرابعة على ألقابهم وهو يرمز أيضاً لشخصيتهم المؤلهة باعتبار أنهم أبناء الإله (رع) ومن ثم بقي هذا اللقب ضمن الألقاب الملكية وتمسك به ملوك الأسرة الخامسة بصفتهم ورثة الإله (رع) على الأرض. ومن الأهمية والمفيد جداً هنا أن نذكر مدى الالتزام العميق من الملوك حيث تمسكوا بالقيم الفاضلة فعلى سبيل المثال فقد تلقب الملك (سنفرو) وهو من الأسرة الرابعة بلقب (نب ماعت) بمعنى رب العدالة وهذا ذو مغزى أخلاقي

---

(1) سعدالله: مرجع سابق، ص٢٨.

(2) WILSON ,J., The Burden of Egypt, Chicago, 1951, P.102

(3) أ.ارمان ا هـ . رانكه: مصر والحياة المصرية في العصور القديمة ، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ، القاهرة ١٩٥٢، ص٤٣.

(*) سارع: سا وتعني ابن ، ورع يعني الإله رع.و قد نشأ هذا اللقب مع بداية الأسرة الرابعة و هذه هي المرة الأولى التي يعترف فيها الملك المصري أنه أقل منزلة من الإله و هو تابع له.(أحمد: : تاريخ و حضارة مصر الفرعونية ،مرجع سابق،ص١٢)

كبير(١)، كما ارتبط ملوك مصر القديمة بثلاث صفات عامة تتصل بالملكية الإلهية اتصالاً وثيقاً وهذه الصفات هي السلطة والإدراك والعدل.(٢)

فكرة البعث والخلود:

لا شك أن الفترة الطويلة التي حكمها الملك بيبي الثاني أخر ملوك الأسرة السادسة والتي بلغت نحو أربع وتسعين عاماً إصابة الملك بالوهن حيث أخذت السلطة المركزية في الضعف التدريجي وازداد بالتالي نفوذ حكام الأقاليم والأمراء كما ظهر نفوذ وجشع الكهنة واستغلالهم للمجتمع ، إن هذه الأحداث المتتالية جعلت المصري القديم يفقد الثقة في الملكية الإلهية وقدرة الملك على حماية شعبه ومحاولة البحث عن مخلص بديل لذلك. وقد ترافق ذلك مع ازدياد مكانة أوزير وعقيدته التي يتساوى فيها الجميع على أساس العمل الصالح(٣)، وقد عبر جيمس هنري برستد في كتابه فجر الضمير أجمل تعبير في وصف ذلك يقول:

" إن القيم بدأت تتحول من الاعتماد على العوامل الظاهرية الخارجية عن شخصية الإنسان إلى الاعتماد على القيم النفسية الباطنية، فلم يعد بناء الأهرامات الضخمة والقبور الباهظة هي الوسيلة المثلى لضمان الخلود، بل لقد أصبح هذا الخلود رهناً بشيء ما وراء ذلك المظهر المادي وبمعنى أصح، أصبح مرهوناً بالفضيلة والعمل الصالح، بذلك بزغ فجر عقيدة خلود الروح لأول مرة على عقول البشر، باعتبار الأبدية أمراً يحصل عليه الإنسان بالروح لا بالجسد"(٤)

ويمكن تلخيص ذلك بجملة غاية في الأهمية وهي:

"إن عدم الإيمان بالحياة الآخرة معناه انهيار الأخلاق في الحياة الدنيا"(٥)

لقد استلزمت هذه الأفكار والمعتقدات من المصري القديم جهوداً جبارة، فقد أدرك المصري ضرورة القيام بالسلوك الحسن لكي يرضي الإلهة ويفوز بالنعيم الأبدي يوم الحساب في محكمة الأموات، كما فرضت هذه المعتقدات على المصري القديم مجموعة من الطقوس منها تزويد الميت بما يحتاجه عند عودة الروح إليه وذلك بوضع المواد الغذائية معه في القبر، إضافة إلى أثاثه الجنزي وكل ما يحتاج، كما

---

(١) سعد الله : مرجع سابق، ص٢٩.
(٢) Gardiner, A., Egyptian Grammar, London, 1927, P.550.
(٣) سعدالله : المرجع نفسه ، ص٩٧.
(٤) برستد : مرجع سابق، ص١٦٣.
(٥) سيد عويس: الخلود في التراث الثقافي ، القاهرة ١٩٩٨م، ص٥٧.

فرض على المصري القديم ضرورة حفظ الجسد سليماً وذلك من خلال عملية التحنيط كي تستطيع الروح التعرف عليه والعودة ثانية إليه(1)، فضلاً عن نحت تمثال للميت ونقش على قبره يوضح كل الأفعال الطيبة التي قام بها في الحياة الدنيا لتكون شاهداً يساعده في الحياة الآخرة أمام محكمة الأموات التي يترأسها الإله (أوزير) ولدينا أمثلة كثيرة لذلك، فهناك نصوص الأهرام التي نُقشت على مقبرة أخر ملوك الأسرة الخامسة(الملك وناس٢٥٦٠-٢٤٢٠ق-م) يتضح فيها مدى اهتمامه بتحقيق العدالة في الحياة الدنيا وحتى وفاته، هذه النصوص تحكي عن تمسكه بالعدالة وهذا يعني استمرار القيم الخلقية في العالم الآخر أيضاً ولذلك حرص الملك (وناس) أن ينقش في نصوص هرمه :

"الملك أوناس خرج في هذا اليوم ليتمكن من إحضار العدالة معه"(2)

لم يقتصر هذا التصور على الملوك فقط بل تعداهم إلى فئات أخرى من المجتمع المصري، وإن بدت ظواهره خفيفة في البداية حيث طالعتنا النصوص منذ الأسرة الخامسة والسادسة لبعض النبلاء ذكروا على جدران مقابرهم تأكيدات على حسن سيرتهم في المجتمع المصري وتوضيح حسن نواياهم، ومثال ذلك ما نقشه النبيل هنكو(*) بمقبرته في مجال سرده للأعمال الطيبة التي قام بها بجهوده الفردية:

" أعطيت خبزاً لكل الجائعين في إقليمي وكسيت

العاري وملأت شواطئ الإقليم بالقطعان الكبيرة والصغيرة"(3)

وفي مجال سرده بتحقق العدالة في إقليمه يضيف:

"أبداً لم أظلم أي شخص في أملاكه الخاصة

الأمر الذي يجعله يشتكي من أجله

تحدثت وقلت الطيب ولا يوجد أحد خائف

ممن هو أقوى منه"(4)

---

(1) يوسف حامد الشين : الفلسفة المثالية ، الطبعة الأولى ، بنغازي ١٩٩٨م، ص٩٦.

(2) سعد الله: مرجع سابق. ص ١١٤.

(*) نقش النبيل هنكو بمقبرته في "دير الجبراوي"والتي نشر نصوصها ديفيز(Breasted, J., H., Ancient Records of Egypt, Vol 1 Chicago, 1905, P 126.)

(3) سعد الله: مرجع سابق ،ص١١٤.

(4) سعد الله: المرجع نفسه، ص ١١٤.

كما يفتخر هذا النبيل برعايته لاقتصاديات إقليمه وتشجيعه لأهالي الأقاليم الأخرى بالانتقال إلى إقليمه لتعمير وزراعة القرى المهجورة عنده بواسطة هذه الأيدي العاملة:

"كنت محسناً للإقليم بقطعان الماشية في الحظائر

وكذا بالطيور وقمت بهذا في كل ناحية و لم أتحدث

كذاباً لأنني كنت محبوباً من والدي مثنى علي من

أمي ممتازاً في تصرفاتي لأخواتي ودوداً إلى أختي"(١)

ولم تقتصر هذه المثل الأخلاقية على ذلك بل أن بعض هؤلاء النبلاء رغبة منهم أن ينعموا بحياة سعيدة في العالم الآخر قد أضافوا على مقابرهم ما يفيد بالمسؤولية الأخلاقية والمحاسبة بواسطة الإله العظيم (الإله أوزير)حيث يقول أحدهم (ببي نخت)(*)

"بأنه لم يضر أحداً من الناس لأنه يرغب أن تكون أعماله حسنة في حضور الإله العظيم"(٢)

وفي نقوش تلك الفترة بدأت واضحة ضرورة التأكيد على القيام بالعمل الصالح الذي سوف يؤدي بصاحبه إلى حياة سعيدة في العالم الأخر، وهذا ما نقشه حرخوف(*) في مقبرته :

"كنت ممتازاً مع والدي، محبوب من أمي

وكل أخوتي، أعطيت الخبز للجائع والملابس

للعاري ونقلت في سفينتي من ليس له قارب"(٣)

وقد أتضح هذا المفهوم أكثر زمن الأسرتين التاسعة والعاشرة(٢٢٣٠-٢٠٥٠)ق-م حيث معظم الناس يريدون لأنفسهم السمعة الطيبة والحياة الهانئة والهادئة في العالم الآخر، وهذا ما تضمنته تعاليم الملك ختي الثاني لابنه مري كارع يقول له محذراً إياه من يوم المحاكمة حيث القضاة يحكمون بالحق:

---

(١) سعد الله: المرجع نفسه ، ص ١١٤.
(*) أحد حكام مقاطعة الفنتين زمن الأسرة السادسة تمتع بمكانة كبيرة زمن الملك بيبي الثاني (سعد الله:مرجع سابق،ص١١٦)
(٢) سعدلله: المرجع نفسه، ص١١٦.
(*) عاش في القرن السادس و العشرين قبل الميلاد ،نحت قبره في الصخور الغربية المطلة على بلدة أسوان الحالية (برستد:مرجع سابق،ص١٤٠)
(٣) سعد الله:مرجع سابق،ص١١٦.

"لا تثق بطول السنين فإنهم ينظرون لأمد الحياة كأنها ساعة"(١)

كما يوضح هذا الحكيم لابنه قيمة العمل المستقيم وثوابه الذي هو أحب للإله من كل القرابين التي يمكن أن تقدم ، يقول لابنه:

"إن فضيلة الرجل المستقيم

أحب من ثور الرجل الظالم "(٢)

ولدينا مثال أخر لأمني حاكم مقاطعة الغزال بمصر الوسطى زمن حكم الملك سنوسرت الأول(١٩٦٢-١٩٢٨)ق-م الذي ترك لنا نقوشاً على قبره يشرح فيها الأعمال الطيبة التي قام بها في الحياة الدنيا طالباً من وراء ذلك الراحة والسعادة الأبدية:

"لم أسيء إلى ابنة مواطن قط

ولم أزجر أرملة

ولم أقسى على مزارع

ولم أبعد راعياً

ولم أحجر على عمال أبداً

مقابل الضرائب المستحقة عليهم

ولم أميز عظيماً على فقير

وتجاوزت عن متأخرات المزارعين"(٣)

إن الهدف من كثرة هذه الأمثلة وتنوعها بتنوع الأشخاص الذين كتبوها إبراز الاهتمام الشديد لدى المصري القديم بكافة طبقاته بتلك القيم، فقد لاحظنا الاهتمام بذلك من الملك الذي كان يعد قمة الهرم في المجتمع إلى حاكم الإقليم الذي كان من طبقة النبلاء إلى الإنسان العادي الذي يمثل عامة الشعب.

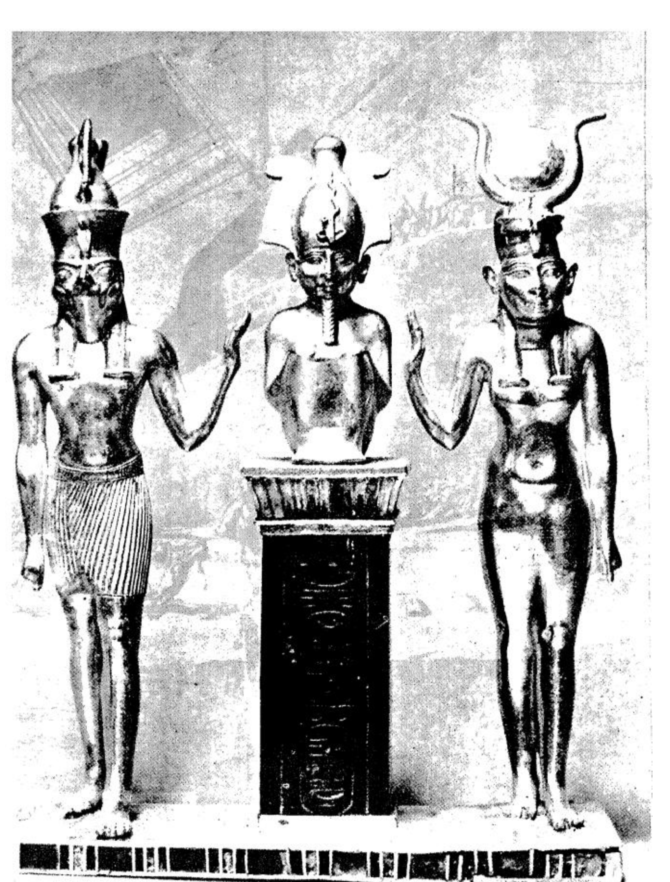
إذا الاهتمام بالقيم الأخلاقية في ظل عقيدة البعث والخلود كان اهتمام على كافة مستويات وطبقات المجتمع المصري القديم وهذا دليل على الأهمية الكبيرة للقيم

---

(١) ارمان: مرجع سابق، ص٢٥٥.
(٢) سيد القمني: رب الثور أوزريس ، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٩٩م.
(٣) عبد العزيز صالح:: الشرق الأدنى القديم ،الجزء الأول القاهرة ١٩٦٧، ص١٦٩.

الأخلاقية النبيلة والاهتمام الكبير من المصري القديم في اكتسابها والعمل بها وتلقينها لأبنائه من بعده.

٢-أسطورة الإله أوزير:(*)



شكل ١

لقد شهد تاريخ مصر الفرعونية مجموعة كبيرة من المعبودات الإلهية ارتفع بعضها إلى أعلى المراتب وبقي بعضها على حاله أو أندمج مع غيره من الآلهة، وقد تناولت الأساطير أعمال هؤلاء الإلهة وغدت قصصاً وروايات لا بل حقيقة مع مرور الزمن، ولعل الأشهر من بين هؤلاء كان إلهين عظيمين هما الإله رع الذي تقلد منصب كبير الآلهة ويأتي بعده الإله أوزير الذي نسجت حوله الأساطير المصرية القديمة، التي لاقت شهرة وانتشاراً وخاصة لما يمثله هذا الإله من أمور تلامس حياة المصري القديم مادياً ومعنوياً، فمن ناحية هو إله الخضرة والنبات ومن ناحية ثانية هو إله العالم السفلي وبالتالي مسؤول عن فكرة الخلود التي لاقت طريقها إلى قلب الإنسان المصري القديم الذي عمل جاهداً في حياته الدنيا للحصول عليها.

لقد جذبت أسطورة الإله أوزير إليها عواطف الإنسان المصري القديم لأنها تحمل مجموعة من القيم الأخلاقية، فهي تمثل انتصار الحق مهما اعترضته العوائق وانتصار الحياة الأسرية ووفاء الزوجة لزوجها وحنوها على أبنائها، أيضاً تمثل بر الوالدين ووفاء الأبناء لهم وغير ذلك من المعاني الطيبة وهذا ما حدا بالعامة للتمسك بتلك القصة والإشادة فيها.

(*) يعد من الآلهة الهامة في مصر ،يمثل على هيئة رجل بدون تحديد لأعضاء جسمه ،أصبح حاكماً لعالم الموتى ،تعد أبيدوس أهم مركز لعبادته.(تشرني:مرجع سابق،ص٢٢٥)

أما إذا أردنا الحديث عن تفاصيل الأسطورة التي تذكر أوزير بأنه كان ملكاً عادلاً محباً للخير(1)، سكن الدلتا وحول جهوده نحو الأرض واهتم تدريجياً بالزراعة وبشؤون الري التي تعطي الحياة لتلك المنطقة الخصبة، ويبدوا أنه اتخذ منزله ب(جدو) عند نقطة على الجانب الشرقي للدلتا في مكان سمي فيما بعد (بر أوزير)(*) [بلدة أبو صير الحالية] وانتشر نفوذه السلمي وامتد للأماكن الأخرى حتى ممتلكات ست الذي اعتبر إله وطني صحراوي يمتد نفوذه من الشمال إلى الجنوب ولكنه إله محارب شرس طالب أوزير بسلطات في الدلتا وغيرها وهنا بدأت المشكلة بقيام ست بقتل أخيه وتشير (نصوص الأهرام)(*)التي تعد من أقدم المصادر القديمة على قتله إلى حادث الاغتيال واغتصاب عرش أوزير بالعبارة الآتية:**"و صرعه أخوه ست على الأرض في نديت".**

ولكن من جهة أخرى نجد أن المسرحية المنفية التي تعد أقدم ما وصل إلينا من المصادر القديمة لدرجة أنها أقدم من عصر الأهرام(*) تقول:

لقد أغرق أوزير في مائه الجديد (الفيضان)بمعنى أنه ذبح وألقي به في الماء(2)، ويُروى أن ست حقد على أخيه وحسده على حب شعبه له فقرر قتله وأخذ سراً مقاس جسم أوزير وصنع طبقاً له تابوتاً جميلاً وأحضره إلى مأدبة أقامها لتنفيذ خطته الشريرة وعندما أعجب الجميع بجمال الصندوق وعد ست مازحاً أن يعطيه هدية لمن يملأه بجسمه فأخذ الجميع يحاولون لكن الصندوق لم يتفق حجمه مع أي منهم حتى دخله أوزير، فأسرع ست بإغلاقه بالمسامير والرصاص المصهور وحمله إلى النيل وألقاه فيه فمات أوزير(3) ، بينما نادى ست بنفسه حاكما على مصر ولكن يؤكد لنا برستد أنه لا توجد لدينا أية وثيقة في المصادر المصرية القديمة عن قصة الصندوق التي رواها بلوتارك(4) ، كما أن هناك عدة روايات حول قصة العثور على جثة أوزير من قبل ايزيس فالأولى تفترض أنها عثرت عليه عند شواطئ نديت(*) والثانية قرب منف أو عين شمس وقد دفنته هناك والثالثة تقول أن الجسد قد حمله تيار النهر إلى منطقة بيبليس في مستنقعات الدلتا أما الرواية الرابعة فحرفت اسم بيبليس إلى بيبلوس (جبيل)(*) وادعت أن الجسد حمله تيار مياه البحر

---

(1) ت. ج. ه. جيمز: كنوز الفراعنة ، ترجمة أحمد زهير أمين، ص١٠٣.

(*) تعني بيت أو معبد الإله أوزير (أحمد: : تاريخ و حضارة مصر الفرعونية ،مرجع سابق، ص٢٦٥).

(*) كُتبت نصوص الأهرام في عهد الملك (وناس) آخر ملوك الأسرة الخامسة (٢٥٦٠-٢٢٤٠)ق.م على جدران حجرة الدفن لهرمه في سقاره، وكان هدفها الرئيس حماية روح الملك المتوفى، لتُباشر سلطاتها في العلم الآخر (أحمد، المرجع نفسه، ص٢٦٤).

(*) هو عصر الدولة القديمة (٢٧٨٠-٢٢٣٠)ق.م وقد سمي بعصر الأهرام بسبب ما أشاده أهل هذا العصر من أهرامات (أحمد: المرجع نفسه، ص٨١).

(2) برستد: مرجع سابق ص١١٥

(3) Bleibery , OP. Cit, P, 217.

(4) القمني: مرجع سابق ، ص١٠٣.

(*) إن موقع نديت المذكورة قد حدد فيما بعد في العرابة المدفونة بمصر.(برستد: مرجع سابق ص١١٥)

(*) هي مدينة جبيل الحالية شمالي بيروت الحالية (أحمد: : تاريخ و حضارة مصر الفرعونية، مرجع سابق ، ص٨١).

المتوسط إلى بيبلوس (جبيل) في فينيقيا حيث أظلته هناك شجرة مباركة واحتوته في جوفها ، وبحثت ايزيس عنه وبلغت جبيل فاهتديت إلى الشجرة وحملت جثته وعادت بها إلى أرض مصر وتسترت عليه وأعادت الحياة إليه بسحرها(١) ولكن ست عثر عليه ثانية فجن جنونه ومزقه إرباً إرباً ونثر أجزاء جسده في مختلف الأقاليم المصرية حتى لا تستطيع إيزيس أن تعثر عليه مرة أخرى(٢)، كأن رمى بفقرياته في أبي صير بالدلتا، وبرأسه في أبيدوس وبعضوه التناسلي في النيل حيث ابتلعته سمكة (القنومة)(*) وهنا عادت ايزيس مرة أخرى تبكي أوزير وهي تجمع اللحم والعظم الممزق(٣) كما استطاعت إعادة الحياة إلى أوزير مدة لحظات كانت كافية لتحمل منه بطفل يكون وريثاً شرعياً لحكمه وهو الإله حور(٤) ولكن الأم ايزيس اضطرت إلى الاختفاء في مستنقعات الدلتا بعيداً عن انتقام ست فترة من الزمن وقد أثار هذا التصرف خيال الشعب المصري الذي أعجب وأغرم بتأمل هذا التصرف الذي ينم عن تضحية وحب لابنها، ولكن عندما بلغ الإله الشاب سن الرجولة وصار قادراً على دفع الأخطار عن نفسه خرج من مكمنه الذي كان في الدلتا وأتى ليتمكن من الانتقام لأبيه وكذلك كان موضوع بر(حور) بوالده محبباً إلى عامة الشعب مبتدئاً بحادث تصدى حور لمحاربة أعداء أبيه والانتقام له من ست وقد أشتد وطيس الموقعة التي نشبت بين حور وست حتى أن ذلك الإله الشاب فقد عينه على يد(ست) عدو أبيه(٥) غير أن الإله تحوت(*) نجح في استعادة عين حور الذي قدمها حور لأبيه من أجل استعادته الحياة ويصف النص ذلك :

"حور طليق من قيده ليعاقب أتباع ست ليقبض

عليهم ويقتلع رؤوسهم وكذلك أرجلهم

وينتزع قلوبهم ويشرب دماءهم......

.....يا أوزير أنهضْ

حور يأتي ويطلبك من الآلهة

حور أحبك وهو يزودك بعينه

---

(١) الماجدي : مرجع سابق ، ص١٢٥.
(٢) عبد الحميد زايد: أبيدوس، القاهرة ١٩٦٣م، ص ٨.
(*) القنومة: لا يزال مسيحيو مصر حتى يومنا هذا يحنطون هذه السمكة ويعلقونها في مداخل دورهم طلباً للإخصاب والإنجاب (القمني ، مرجع سابق ص ١٠٣.)
(٣) القمني : المرجع نفسه ، ص١٠٣.
(٤) أريك هور نونج: وادي الملوك أفق الأبدية ، ترجمة محمد العزب ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٩٦م، ص١٥٥.
(٥) برستد : مرجع سابق ، ص١١٨.
(*) إله الحكمة والمعرفة ،يرمز إليه بالطائر إبيس وأحياناً بالقرد،كان مركز عبادته مدينة الأشمونيين(تشرني،مرجع سابق،ص٢٢٧)

حور فتح لك عينك لترى بها "(١).

إن إهداء حور عينه لأبيه يعتبر براُ بالوالد وهذا ما ضاعف تقديس عين حور التي كانت مقدسة من قبل في التقاليد والشعائر المصرية القديمة صارت رمزاُ لكل تضحية ولذلك صارت كل هبة أو قربة يصح أن تسمى (عين حور)وخاصة إذا قُدمت باسم القربان للمتوفى، وإذا استثنينا (الجعل المقدس)فإن العين المقدسة كانت تعتبر أعظم رمز منتشر نال احتراماً عظيماً في الديانة المصرية القديمة ولذلك نرى عشرات الآلاف من الأعين المصنوعة من الفخار المطلي باللون الأزرق والأخضر وغيرها مما صنع من الأحجار النفيسة الغالية، ما هي في الواقع إلا تذكارات ورموزاً لتلك القصة القديمة التي تحدثنا عن حور وبره بوالده(٢)، بعد ذلك يتوقف القتال ويعرض أنصار حور الأمر على آلهة الدولة الحكماء في (أون) ويحضروا جثمان شهيدهم (أوزير)ليكون دليلاً واضحاً على اعتداء وغدر (ست) وينكر ست أنه بدء بالعدوان والشر مدعياً أن (أوزير) هو الذي تحداه ونزل أرضه، غير أن الآلهة في نهاية الأمر لم تأخذ بما قاله ست واعتبروا أوزير (ماع خرو) أي مبرأ وصادق الصوت، واحتفلت الآلهة في كل مكان من أرض مصر وفي الجهات الأربعة وفي السماء والأرض بانتصار الحق متمثلاً في أوزير وتصف النصوص ذلك :

"...أوزير يشرق، طاهر ، قوي، شو(*) وتفنوت(*) مسرورين، جب(*) ونوت(*) مسرورين.

أوزير و إيزيس(*) مسرورين ، ست ونيت مسرورين

كل الآلهة في السماء مسرورة، كل الآلهة على الأرض مسرورة ، كل آلهة الشرق والغرب مسرورة...."(٣)

يستطيع الدارس استخلاص مجموعة من القيم الأخلاقية التي عبرت عنها الأسطورة فإخلاص الزوجة لزوجها وبر الابن بأبيه والحنان والحب من الأم اتجاه ابنها

---

(١) سعدالله : مرجع سابق ص ١٠٩.

(٢) برستد : مرجع سابق، ص١١٨.

(*) إله الهواء و الحياة ،كان تمثل على هيئة أدمية أو على هيئة أسد.(تشرني:مرجع سابق،ص٢٣٤)

(*) إلهة الرطوبة ،كانت هي و أخيها شو أولى المخلوقات التي خلقها أتوم من ذاته(تشرني:المرجع نفسه،ص٢٢٧)

(*) إله الأرض ،مُثل على هيئة رجل ،كان يُعد قاضياً ،(تشرني :المرجع نفسه،ص٢٢٧)

(*) إلهة السماء ،تمثل على هيئة امرأة منحنية على الأرض ،تُصور داخل التوابيت لتحمي المتوفى بجناحيها(تشرني:المرجع نفسه،ص٢٣٧)

(*) أخت و زوجة الإله أوزير و أم الإله حورس ،تُمثل دائماً كإمرأة تحمل علامة العرش على رأسها و أحياناً تلبس تاج عبارة عن قرنين بينهما قرص الشمس.(تشرني:المرجع نفسه،ص٢٢٥)

(٣) سعدالله: مرجع سابق، ص١١٢.

ونصرة الأبناء لوالديهم كلها أدلة على أهمية السلوك الفاضل داخل الأسرة باعتبارها العامل الأول في ظهور الأفكار الخلقية والتي كان التمسك بها يعد من ميزات المجتمع المصري القديم، كما أن انتصار الحق على الباطل يعد انتصاراً لربة العدالة الإلهة ماعت ابنة الإله رع التي وجدت منذ الأزل والتي سوف نتحدث عنها في موضع لاحق من هذا البحث.

٣-الكتابات الدينية:

تعد الكتابات الدينية من المخلفات الأدبية لمصر القديمة، كما أنها من المصادر الهامة التي تكشف لنا مختلف نشاطات وجوانب حياة الإنسان المصري القديم كما تدلنا على مدى ما وصل إليه تاريخ الإنسان العقلي عبر تاريخ مصر القديم و الطويل من تطور وارتقاء، وقد تتابع ظهور هذه الكتابات الدينية لتغطي تقريباً مراحل التاريخ المصري، لذلك فقد وجد الباحث الضرورة والفائدة في ذكر الكتابات ذات الصلة بموضوع البحث وهي متون الأهرام، نصوص التوابيت، وكتاب الموتى.

أ- متون الأهرام:



شكل 2

تعد هذه المتون أقدم ما حفظ للإنسانية على الإطلاق من نصوص دينية مكتوبة وصلت إلينا وهي نصوص مستفيضة تكشف عن كثير من عقائد المصريين القدماء وأفكارهم الدينية والسياسية والفلسفية[1]. تعود هذه المتون في تاريخها إلى عهد الأسرة الخامسة و تحديداً عهد أخر ملوكها وناس(٢٥٦٠-٢٤٢٠)ق-م.

ويعد العثور عليها بمثابة كنز كبير، لأن كان هناك ظناً سائداً أن كل الأهرام كانت خالية من النقوش، إلى أن دخلوا العمال المصريون الذين كانوا يعملون في الحفائر تحت إشراف (مريت) في سنة ١٨٨٠ ميلادية هرم بيبي الأول(٢٤٠٢)ق.م ومن ثم هرم الملك(مرنرع)(٢٣٧١)ق.م فوجدوا جدران أروقة هذين الهرمين وممراتها وحجراتها مغطاة بآلاف الأسطر من النقوش الهيروغليفية وهذه النقوش هي التي يطلق عليها الآن اسم (متون الأهرام) وتوجد هذه المتون منقوشة في خمسة من أهرامات سقارة التي كانت تعد جبانة منف القديمة، وقد قام

---

(1) القمني : مرجع سابق ، ص ٢٢.

بوضعها هناك فئة من الفراعنة وهم الملك الأخير من الأسرة الخامسة (وناس) ثم الملوك الأربعة الأوائل من الأسرة السادسة[1] لقد كانت هذه النصوص مخصصة لراحة وسعادة الملك في الحياة الآخرة[2]، لكنها مع ذلك تصور لنا دائماً جزر الحياة المحيطة بها، شأنها في ذلك شأن كل أدب، فإنها تنطق بعبارات تدل على خبرة القوم الذين أخرجوها وهذه العبارات تتناول الحياة اليومية في القصور والطرق والأسواق، وإن صاحب الخيال الواسع يستطيع أن يرسم من هذه العبارات تصوراً كبيراً، عن ذلك العالم الذي تقادمت عليه الدهور فالخطاطيف تشقشق على الجدار، والراعي يعبر الترعة خائضاً في الماء حتى الحزام، والأم تدلل رضيعها عند الغسق، ويشاهد الصقر عند الغروب مخترقاً السماء، أما الحياة في القصور فهي تصور الملك في بعض الأوقات مثقلاً بأعباء الدولة وبجانبه كاتبه يحمل محبرة وقلمين أحدهما للمداد الأسود والأخر للمداد الأحمر لكتابة العناوين ونراه في أوقات أخرى متكئاً بدون كلفة على كتف صديقه الحميم أو مستشاره وهذا دليل على (التواضع) ونراه في مشاهد مرتقياً عرشه العظيم وفي ذلك تقول المتون : شُوهد الملك في قاعة قصره وهو جالس على عرشه العجيب وصولجانه المدهش في قبضته يرفع يده نحو أولاده ليقفوا أمامه ثم ينزل يده مشيراً نحوهم فيجلسون ثانية[3]. أن الغاية من متون الأهرام كما أسلفنا هي ضمان سعادة الملك في الآخرة لذلك نجد أبرز شيء في هذه المتون الاحتجاج الحماسي ضد الموت ويمكن اعتبار هذه الصورة أقدم ثورة عظيمة قام بها الإنسان ضد الظلمة والسكون وكلمة الموت لم تذكر أبداً في متون الأهرام إلا في صيغة النفي وقد حرصت هذه المتون على التأكيد باستمرار أن المتوفى حي يرزق

"هيا أيها الملك وناس أنك لم تسافر ميتاً بل سافرت حياً"[4].

لا شك أن هذه الأفكار التي احتوتها متون الأهرام كانت فيها البذور الأولى للقيم الأخلاقية وخاصة عقيدة الحياة والخلود التي كان المصري القديم يطمح لها وقد تحقق له ذلك مع نهاية الأسرة السادسة تقريباً عند التحول من العقيدة الشمسية إلى العقيدة الأوزيرية التي أتاحت لعامة الشعب الخلود الأبدي والذي أوجب على المصري القديم التحول من الخدمة والولاء المطلق للملك إلى القيام بأعمال فردية تتضمن قيم أخلاقية تضمن له الحياة بعد الموت(الخلود).

---

(1) برستد : مرجع سابق ، ص٨٢.
(2) الماجدي : مرجع سابق، ص١٩٣.
(3) برستد : مرجع سابق، ص٨٤.
(4) برستد: المرجع نفسه، ص٨٧.

ب- نصوص التوابيت :

ظهرت هذه الكتابات مع نهاية الدولة القديمة[1](٢٢٣٠)ق-م. وقد جاءت منقوشة على التوابيت الخشبية والحجارة العائدة للعوام والتي تختلف عما تتضمنه (متون الأهرام) التي سبق الإشارة إليها خاصة على صعيد التعاويذ



شكل 3

واللعنات بما ينسجم مع رغبات الناس العاديين وقد كتبت هذه النصوص بالخط الهيروغليفي وبشكل عمودي[2]، ومن مزايا نصوص التوابيت أنها مثلت في تأليفها رباط بين متون الأهرام وما أعقبها من كتاب الموتى، إذ ورد فيها تعاويذ من كلا المصنفين[3]، كما أن نصوص التوابيت كسرت احتكار الملوك للآخرة فقد كانت أكثر شعبية من متون الأهرام وارتبطت بالعقيدة الأوزيرية حيث يتخذ المتوفى لنفسه اسم (أوزير)وأضيف لها بعض التعاويذ ذات الصفة السحرية مثل:

- تعويذة ضد الفناء في عالم الموتى .
- تعويذة لتناول الخبز في عالم الموتى .
- تعويذة لكف أذى الثعبان والتماسيح .
- تعويذة لاتقاء التعفن ولتجنب العمل في عالم الموتى[4].

كما تبين لنا نصوص التوابيت بجلاء أن الشعور بالمسؤولية الخلقية في عالم الآخرة قد تعمق تعمقاً عظيماً في نفوس المصرين منذ عصر الأهرام إلى ذلك الزمن حيث نجد أن موازين العدالة، التي كثيراً ما ذكرها ذلك الفلاح الفصيح(*) في تظلمه ضد مدير البيت العظيم قد صارت في ذلك الوقت تحتل مكانة واقعية عظيمة ممثلة في مشاهد حساب الآخرة حيث يقول قائل للمتوفى

---

(١) القمني: مرجع سابق، ص٢٣.
(٢) انطوان بطرس : لغز الهرم الأكبر ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٩٨م ، ص١٧٦.
(٣) ر. انجلباخ : مدخل إلى علم الآثار المصرية ، ترجمة أحمد موسى، القاهرة ١٩٨٨م، ص٢٥٦.
(٤) الماجدي : مرجع سابق ، ص١٩٣.
(*) صاحب البردية التي تحمل اسمه و التي تعد قطعة أدبية ذات معنى أخلاقي(يان اسمان:مصر الفرعونية ،ترجمة زكية طبو زادا،الطبعة الأولى،القاهرة ١٩٩٦،ص٣٣)

"أن أبواب السماء مفتوحة لجمالك ،إنك تصعد وذنبك مغفور وظلمك قد محي بأيدي أولئك الذين يزنون بالموازين في يوم الحساب"(١)

كما نجد في نصوص التوابيت بأن المتوفى يقرر ويؤكد أن حياته كانت نقية إذا يقول:

"إني إنسان أحب الحق وما كرهته هو الباطل

أني أقعد بريئاً وأقوم بريئاً

لقد أقمت العدل ومحوت الباطل "(٢)

نستطيع أن نلاحظ من خلال هذه الفقرات المدى الذي وصل إليه الإنسان المصري القديم من تعلق بأهداب السلوكيات الطيبة، فهو يحب الحق ويكره الباطل وهو بريئاً من كل الذنوب التي سوف يتبرأ منها بشكل علني في محكمة الأموات أمام الإله أوزير حيث الحساب الخلقي العظيم الذي ينتظره .

ج- كتاب الموتى :

يعد كتاب الموتى تطوراً أخلاقياً جاء مكملاً لما جاء في متون الأهرام ونصوص التوابيت ولكنه يعتبر الأهم من حيث المضمون والشمولية فقد تضمن ما يقارب ١٥٠ فصلاً تضمنت وصف لبداية الخليقة والجنة والسماء والجحيم ومحاكمة الأموات وكل ما سيلاقيه الإنسان في العالم الأخر الذي ينتقل إليه بعد وفاته كما أن هذا الكتاب لم يعد حكراً على الملوك كما كانت متون الأهرام بل أصبح يشمل عامة الناس لدرجة أنه أصبح يوضع لجانب كل مومياء كأنه جواز سفر إلى الحياة الآجلة فكل ميت وضع له هذا الكتاب تستطيع روحه أن تخرج نهاراً مع الأحياء وتصعد إلى الإلهة ولا يعترضها معارض من أحد ، فتدنيه الآلهة منها وتلمسه لأنه شبهها(٣). كما أن هذا الكتاب ومن خلال ما تضمنه من تعاويذ وصلوات وأناشيد ورقي كفيل بطرد الأرواح الشريرة من مقبرة المتوفى وتسهيل الطريق إلى العالم الأخر.

---

(١) برستد: مرجع سابق ص٢٦٧.
(٢) برستد ، المرجع نفسه ، ص٢٦٨.
(٣) غوستاف لوبون: الحضارة المصرية ،ترجمة صادق رستم ، مصر ، د . ت، ص٥٥.

إن أول اكتشاف للنسخة الأولى لهذا الكتاب يعود إلى سنة ١٨٨٨ م على يد بعثة المتحف البريطاني وهذه النسخة تحمل اسم بردية آنى المشهورة وهي بردية طولها ٤٥ متراً وعرضها ٤٠ سم مدونة باللغة المصرية و الخط الهيروغليفي ومفسرة بالنقوش والرسومات المختلفة[1]. إن ما يهمنا إلقاء الضوء عليه من فصول هذا الكتاب هو الفصل (١٢٥)لأنه ذو صلة وثيقة بالبحث فهو يتضمن المرحلة الأخيرة من رحلة الروح ومحاكمتها أمام المحكمة الأوزيرية التي يتصدرها الإله أوزير إله الآخرة وهو يجلس على عرشه السماوي يشع النور من جسده فينير القاعة بأكملها ويقف على جانبي الإله كل من إيزيس ونفتيس ملكتي الحسنات والسيئات وأمامه الميزان ويجلس خلفه القضاة الاثنان والأربعون، وهنا يتقدم أنوبيس لينتزع قلب المتوفى ويضعه في إحدى كفتي الميزان ويضع في الكفة الأخرى ريشة ماعت (رمز العدالة والحق)ويجلس تحوتي إله المعرفة ليراقب سهم الميزان[2]. ويقف في الخلف حيوان خرافي على شكل تمساح من الأمام وأسد من الوسط وفرس نهر من الخلف. تبدأ المحاكمة بدخول المتوفى إلى قاعة الصدق ويبدأ حديثه بالقول (سلام عليك أيها الإله العظيم رب الصدق، لقد أتيت إليك يا إلهي وجيء بي إلى هنا حتى أرى جمالك، إني أعرف اسمك وأعرف أسماء الاثنين و الأربعين إلها الذين معك في قاعة الصدق هذه وهم الذين يعيشون على الخاطئين ويلتهمون دماءهم في ذلك اليوم الذي تمتحن فيه الأخلاق (وِننفر) أوزير[3]، وينهي المتوفى هذا الكلام بعبارة (يا قلبي لا تشهد ضدي)ليبدأ بعد ذلك القضاة الاثنان والأربعون كل واحد بسؤال و كلها تتعلق بالقيم الأخلاقية حيث يتم تسجيل هذه الأسئلة بالترتيب التالي:

١- هل عشت أجلك كاملاً كما حدده الإله ؟
٢- هل راعيت حق بدنك عليك كما راعاك في شبابك ؟
٣- هل حفظت جسدك طاهراً كرداء نظيف لم تلوثه الآثام والقاذورات؟
٤- هل تغلبت على شهوات جسدك ؟
٥- هل حافظت على حسن سمعتك؟
٦- هل امتدت يدك إلى سرقة ما ليس لك؟
٧- هل قتلت نفساً بغير حق؟
٨- هل تغلب عليك الغضب فكنت أسيراً له؟
٩- هل أنت بريء من الإطلاع على جسد أمك أو أختك أو ابنتك؟
١٠- هل نظرت إلى من هو أغنى منك نظرة حسد أو حقد؟

---

(١) سيد كريم ، لغز الحضارة الفرعونية ، القاهرة ١٩٩٦م ، ص٥٤.
(٢) كريم ، المرجع نفسه ، ص٥٦.
(٣) برستد : مرجع سابق ، ص٢٧٢.

١١- هل سبق أن مزقت الغيرة قلبك؟
١٢- هل تحدثت بسوء عمن ذكرك؟
١٣- هل سكرت حتى فقدت عقلك؟
١٤- هل أهملت محراثك وأرضك وقت الزرع أو البذر ؟
١٥- هل شعرت برغبة جامحة في معرفة أمور وجب ألا تسمعها؟
١٦- هل رأيت خيالك على الجدار كبيراً فأخذك الغرور ؟
١٧- هل تعلقت بالدنيا وارتبطت فيها بسلاسل من ذهب ؟
١٨- هل شغلت عيناك بأمور الدنيا حتى عميت عن أمور الآخرة؟
١٩- هل تعاملت في الأسواق بالعدل والأمانة؟
٢٠- هل تجنبت طريق الصواب عندما واجدته محفوفاً بالمخاطر ؟
٢١- هل اعترفت بالجميل لكل من كان لك صديقاً مدى الحياة ؟
٢٢- هل تصدقت بخبزك على المحتاجين وبثمار حقك على المنهكين؟
٢٣- هل صنت لسانك عن شهادة الزور وقول البهتان؟
٢٤- هل أخذ الغرور بذكائك فعميت عليك حكمتك؟
٢٥- هل ربطتك سلاسل الكراهية بالإنسان ؟
٢٦- هل سددت أذنيك عن سمع قول النصيحة وصوت الحكمة ؟
٢٧- هل عرفت السحر الأسود(الضار)؟ وهل سمحت لجسدك لأن يكون بيتاً لروح غير روحك ؟
٢٨- هل رويت بحكمتك عطش المتعطشين إلى الصدق؟
٢٩- هل تذكرت الإله في طريق رحلتك وسألته الهداية والرشد؟
٣٠- هل بجلت خدام المعبد وعملت بتعاليم الإله؟
٣١- هل استخدمت قوتك فقط في سبيل الوقوف إلى جانب الحق والعدل ؟
٣٢- هل جلبت الرضا لقلب أمك والشرف لبيت أبيك؟
٣٣- هل خنت جارك أو صديقك الذي ائتمنك على عرض بيته ؟
٣٤- هل كنت سيفاً مسلولاً في جيش الإله حورس؟
٣٥- هل تسببت في قيد حرية أحد أو سلبها منه؟
٣٦- هل صورتك التي انعكست في قلبك صورة مشرقة؟
٣٧- هل صادقت قلبك واستمعت لصوت ضميرك؟
٣٨- هل عرفت أن نهاية كل مرحلة من مراحل حياتك هي بداية لمرحلة أخرى؟
٣٩- هل عنيت بالنباتات وسقيتها حتى نمت؟

٤٠- هل عاملت دوابك ومن هو أقل منك كما أردت أن يعاملك من هو أعلى منك قدراً؟

٤١- هل أجبرت رجلاً أو دابة على العمل فوق طاقته؟[1].

٤٢- هل آذيت حيواناً أو عذبته بغير سبب؟

لقد حرص الدارس على ذكر مجموعة الأسئلة كاملة وكما وردت نظراً لأهميتها فهي تحمل القيم والأخلاق التي ينشدها أي مجتمع ليكون سليماً معافى وقد وصف والاس بدج في كتابه (فلسفة العقائد عند قدماء المصريين) أسئلة القضاة بأنها أدق وأرقى ما وصلت إليه تشاريع الكتب السماوية فهي في مجموعها تشريع إنساني كامل لم يفرض بالتهديد والإنذار بل بالمنطق والترغيب، كما أن تلك الوصايا التي تفرق بين الحق والباطل والمحلل والمحرم شملت ما ورد في الكتب السماوية التي ظهرت في العالم أجمع بعد كتاب الموتى بألوف السنين[2]. بعد أن انتهى القضاة الاثنين والأربعين من الأسئلة ، على المتوفى أن يتلفظ بما يسمى (الاعتراف السلبي) مع أن برستد لا يوافق على هذا المصطلح الدارج ويفضل مصطلح (إعلان البراءة)على أية حال كان على المتوفى أن يعلن براءته أمام الآلهة بصيغة يقول فيها[3]:

إني لم أرتكب أثماً

إني لم أسرق بالإكراه

إني لم أسطو

إني لم أقتل ولم أرتكب أذى

إني لم اقتطع من التقدمات

إني لم أسلب إلهاً

إني لم أنطق بالأكاذيب

إني لم أسلب طعاماً

إني لم أرتكب الزنا

إني لم أتسبب في البكاء

---

(1) كريم ، مرجع سابق ، ص٥٩.

(2) كريم : المرجع نفسه ، ص٥٩.

(3) حسن طلب: أصل الفلسفة، الطبعة الأولى ، القاهرة ٢٠٠٢م ، ص١٧٦.

إني لم أتعامل في خبث

إني لم أمارس انتهاكاً

إني لم أفعل الغش

إني لم أسبب خراب الأرض المحروثة

إني لم أكن بالمتلصص

إني لم أرتكب نميمة

إني لم أكن حانقاً غاضباً إلا لسبب حق

إني لم أغرر بزوجة رجل

إني لم أدنس نفسي

إني لم أسبب الرعب لإنسان

إني لم أرتكب الفحشاء

إني لم أكن غضوباً

إني لم أصم أذني عن كلمات العدل والحق

إني لم أمارس الكبرياء

إني لم أشعل نيران عراك

إني لم أحكم دون روية

إني لم أسع إلى وشاية

إني لم أضخم الكلمات

إني لم أسبب ضرراً أو علة

إني لم ألعن أبداً(الملك)

إني لم ألوث أبداً المياه

إني لم أنطق بالاستهزاء

إني لم ألعن أبداً إله

إني لم أتلبس كاللص

إني لم أدنس قرابين الموتى المباركين

إني لم احرم الرضيع طعامه

إني لم أذبح بنية شريرة ماشية الآلهة

إني لم أنقص مكيال الحبوب(1).

ولا يقتصر أمر المتوفى عند تقدمه إلى المحاكمة في يوم الحساب على مثل هذا الإنكار و إنما ينتقل إلى دور إيجابي فيقرر أمام الإله (أوزيريس) أنه:

"قد فعل ما يقول به الناس ، وأرضى الإله

بما يرغب فيه وأعطى الجائع خبزاً ،

والعطشان ماء، والعريان لباساً ، وقدم

قرباناً مقدساً للإله ، وقرباناً من الطعام للموتى(2)"

بعد هذا النص يبدأ مشهد الحساب وذلك بوزن أعمال المتوفى حيث يوضع قلبه في كفة وريشة ماعت في الكفة الأخرى فإن كان القلب أخف من الريشة دخل صاحبه الجنة وأن اتضح عكس ذلك ألقي بالمتوفى إلى حيوان خرافي على شكل تمساح من الأمام وأسد من الوسط وفرس نهر من الخلف ويسمى (عمعم) أو (باباي) وربما (بعبع)(3) ليقوم بالتهام المتوفى .

إن الاعتقاد بأن النعيم بجميع صوره يتوقف على ما للإنسان من صفات أخلاقية في الحياة الدنيا، يعد من الخطوات الهامة والخطيرة، كما أن الاعتراف بالحساب في الآخرة وبحاجة الإنسان إلى قيم خلقية يتصف بها في الحياة الآخرة، يعد في الواقع أمرا عظيم الأهمية(4).

---

(1) برت إم هرو : كتاب الموتى الفرعوني ، ترجمة فيليب عطية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٨٨م، ص١٢١.
(2) طلب:مرجع سابق،ص١٧٧.
(3) الماجدي : مرجع سابق ، ص٢١٣.
(4) محرم كمال : مرجع سابق، ص١٥.

٤-الماعت:



شكل 4

أطلق المصريون القدماء اسم الماعت على جوهر النظام والعدالة للكون والملك والمجتمع والفرد،ولخصت هذه الكلمة الروحية العميقة، الأخلاق والقيم والعدل والمثالية، وإذا كانت (ماعت) قد تجسدت في آلهة الصدق والعدل و على أنها ابنة لـ رع وزوجة لتحوت، فهي أيضاً أساس الحضارة المصرية والبعد الخفي والعميق لمدنية المصريين(١). كما أنها بمثابة دستور أخلاقي غير مكتوب يهتدي به الناس في معاملاتهم ، كأنها تقول للإنسان قل الصدق... أفعل الخير .....التزم بجادة الصواب(٢)، ولأن الماعت جوهر الأخلاق والحقيقة والنظام في كافة نواحي الحياة المصرية القديمة منها الدينية والسياسية والاجتماعية، وجد الدارس أنه من الضروري الحديث عن الماعت في كل هذه الجوانب وكلاً منها على حدا.

أ- أثر الماعت في البعد الديني :

لنبدأ أولاً في التجسيد الإلهي للماعت باعتبارها آلهة للحق والعدالة والابنه المدللة للإله الخالق (رع) وزوجة معلم الآلهة تحوت إله الحكمة الذي كان يدعى (سيد ماعت) وقد صورت ماعت كامرأة واقفة أو جالسة على عقب قدميها ، تعتمر على رأسها بريشة نعامة رمزاً لاسمها (الحقيقة والعدالة) كما أنها تمسك عادة صولجاناً بيد و في الأخرى رمز الحياة وقد صُورت في بعض الصور

(١) الماجدي : مرجع سابق ، ص٢٧٩.
(٢) محمد العزب : حكماء وادي النيل ، العدد ٣١٥، القاهرة ١٩٩٠م، ص١٩.

وقد التصق بكل ذراع من ذراعيها جناح ، وصُورت في حالات نادرة بجسد امرأة رأسها عبارة عن ريشة ، أما المعنى الشامل لكلمة ماعت فهو

"الشيء الذي هو مستقيم"(1)

والربة ماعت كانت التجسيد المادي والمعنوي للقانون والنظام والحق ، وعندما ترتبط بإله الشمس رع فهي تعبر عن الانتظام الذي يشرق ويغرب به في السماء والمسار الذي يتبعه يومياً من الشرق للغرب وهذا ما جاء في أحد تسابيح رع:

"أرض مانو (أي الغرب)استقبلتك برضى والربة ماعت احتضنتك في كل من الصباح والمساء "(2)

ولدينا نص أخر يثبت أن الربة ماعت أصبحت المنظم للظواهر الموجودة على سطح الأرض وهذا ما توضحه نصوص الأهرام :

"إن رع أتى من الهضبة الأولى (التل الأزلي)

بعد أن وضع النظام (ماعت)مكان الفوضى "(3)

كما ارتبطت الملكية الإلهية بتعبير الماعت بمعانيها المتعددة و التي استعملت عند الإنسان المصري القديم لأول مرة بمعنى الصواب و كان من الضروري -بوصفها صفة من صفات النظام والاستقرار- أن يعاد تأكيدها عندما يتولى الحكم ملك جديد، حيث يُصور على جدران المعابد وهو يقدم (ماعت)كل يوم للآلهة الآخرين كدليل ملموس على قيامه بوظيفته الإلهية نيابة عنهم، كما توفر معنى النظام الدائم وانتهاء الأزمة التي يمثلها موت وتعيين آخر جديد على العرش مكانه تسعد به الأرض لاحتفاظه بـ ماعت التي كانت بجانب كونها صفة منتظمة صالحة لكل وقت، فإنها أيضاً تعني العدل للجميع واستقراراً للمفهوم الأخلاقي الذي يرعاه الملك فوق الأرض ولذلك تقص علينا متون الأهرام (أن الملك وناس) يخرج للعدالة (يعني ماعت) ليأخذها معه كذلك تقص علينا متون الأهرام:

---

(1) الماجدي : مرجع سابق، ص٢٨٠.
(2) بدج: مرجع سابق ، ص٤٨٢.
(3) سعدالله : مرجع سابق ، ص٢٦.

"إن الملك وناس يخرج في يومه هذا ليتمكن من إحضار العدالة(ماعت) معه"[1].

هذا ولم يكن أثر الماعت في الجانب الديني مقصوراً على الحياة الدنيا فقط بل تعدى أثرها ليطال المصري القديم في حياة ما بعد الموت ولا يقتصر دور الآلهة ماعت على الظهور في محاكمة الموتى فحسب بل أن النصوص الجنائزية تسجل أثراً للماعت يتجلى من خلال المظاهر التالية:

١-الإماخو :

هي كلمة مصرية محيرة ولكنها تشير إلى حالة المتوفى الاجتماعية وبمعنى أدق أن الإنسان وهو في طريقه للموت وعند حلول الموت يتمتع بحالة اجتماعية معينة هي (إماخو)ويشترط للحصول على هذه الحالة توفر ثلاثة شروط هي، الوظيفة التي مارسها الميت في الحياة ومكنته من مزاولة مهنة أو حرفة وتكون في الغالب حكومية، والذرية التي تتولى الطقس الجنائزي بعد الوفاة، والتقدير المعلن للشخص في الذاكرة الاجتماعية، وكانت هذه الإماخو في النتيجة الأخيرة تمثل الماعت مُعبراً عنها في وقت الموت ولذلك يؤكد يان أسمان أن هذه الماعت تأخذ شكل المؤسسة التي تؤمن (العبور) و(الرسو) و(الدوام) والتي تترتب كما يلي: توريث الثروة بواسطة وصية ، ثم تأدية الطقس الجنائزي الذي يقع على عاتق الوريث ، فلا طقس جنائزي دون وصية ، وأخيراً والأهم ذاكرة اجتماعية تذكارية ، هذه الذاكرة هي التي تناشدها النصوص المنقوشة على جدران المقابر حيث تقر هذه النصوص إنجازات المتوفى الأخلاقية التي تكون مطابقة للماعت

٢-المرحلة العتبية أو العبورية:

وهي المرحلة التي يظهر فيها ما يمكن أن نسميه بالإنسان الداخلي المكون من جهاز روحي مركب تظهر فيه عناصر (البا، والكا، الأب) موحد والتي تسيطر عليها الماعت وتدعم تماسكه وتكامله.

٣- الأوزيرية:

حيث يظهر الميت في المحاكمة بصفة الأوزير التي تشبه ما نسميه اليوم مثلاً بالمرحوم وعندما نقول الأوزر فلان كأننا نقول المرحوم فلان

---

[1] برستد: مرجع سابق، ص١٤٢.

في هذه المرحلة تتجسد الماعت بشكل الإلهة سيدة القاعة المزدوجة، الآلهة صاحبة الريشة وفي هذه المرحلة تبدأ المحاكمة للشخص المتوفى الذي يقوم بنفي التهم عنه(1). و قد تم الحديث عن ذلك بالتفصيل في مكان سابق من البحث.

إن هذا التسلسل الوظيفي لماعت يعني أنها نظام محكم متماسك، يبدأ منذ ولادة الإنسان ويستمر بالعمل عند الوفاة وبعده بل ويسيطر على كل مراحل ما بعد الموت، أي أن الماعت مبدأ عميق وجوهري وهي ليست قانوناً مدوناً مثل قانون حمورابي بل هي أساس كل التشريعات كونها المبدأ المولد للقانون وليست القانون نفسه.

ب -أثر الماعت في البعد السياسي:

في الحقيقة أن للماعت دوراً كان أكثر أهمية في البعد السياسي لأنها أصبحت أقرب وأكثر ملامسة للمصري القديم وهذا لا يعني أن نقلل من أهميتها في الدور الديني وخاصة إذا علمنا بأن الملكية الفرعونية اكتسبت جل قوتها من الملكية الإلهية.

يؤكد يان اسمان بأنه عند الحديث عن البعد السياسي للماعت يجب أن تشمل أمرين غاية في الأهمية الأول هو أن الدولة(الملك)موجودة لتحقق الماعت والأمر الثاني أن الماعت يجب أن تتحقق ليصبح العالم قابل للسكن(2)، وقد أدرك المصري القديم ما لخصه يان اسمان في هاتين الفقرتين منذ القديم، فقد أمن بضرورة وجود دولة وبضرورة وجود النظام السياسي المركزي القوي لا كغاية في حد ذاتها، إنما وسيلة لتحقيق غاية أهم وهي تحقيق العدالة والنظام (الماعت) بما يكفل لكل الناس الحياة الآمنة والرفاهية التي تتيح أكبر قدر من السعادة للبشرية، على الرغم من معرفتنا التامة بتفرد الملك بالسلطة الدينية والمدنية إلا أنه لم يكن بالضرورة حاكما طاغياً ، بل كان الملك يلقب (بالإله الطيب) ويعتبر همزة الوصل بين السماء والأرض أو بالتحديد إلهاً سماوياً رضي أن ينزل إلى الأرض ليحكم بين الناس بالعدل ويحقق الرخاء لشعبه ولذلك فإن المصريين يربطون منذ قديم العصور بين الرخاء والحاكم الصالح ويرون أن أزمنة الشدة والشقاء والمجاعة والفقر دليل على ظلم الحاكم وعدم التزامه بالعدل، ولدينا من الأدلة والشواهد التاريخية الكثير على التزام الملك بالماعت والحرص على اقتران اسمه فيها، ففي القرن الثامن والعشرين ق.م نجد أن أحد ألقاب الملك وسر كاف(الأسرة الخامسة) الرسمية لقب (مقيّم العدالة) (ماعت).

---

(1) الماجدي ، مرجع سابق ، ص٢٨٣.
(2) يان اسمان:٩٩، ص١١٨.

كما نلاحظ حرص الملك أيضاً على التأكيد على تحقيق الماعت وتطبيقها، ففي أحد متون الأهرام نقرأ (إن الملك وناس يخرج في يومه هذا ليتمكن من إحضار العدالة (ماعت)معه[1] ونقرأ في نقوش أخرى تأكيد الملك على عدم اقتراف أي سيئة بمعنى أنه عمل على تطبيق الماعت (لا توجد سيئة اقترفها الملك بيبي)[2]، وقد ظل تأكيد الملك وحرصه على الماعت طيلة تاريخ مصر الفرعونية ففي عهد الدولة الحديثة (الأسرة الثامنة عشرة) نجد نقشاً للملكة حتشبسوت(١٤٩٠-١٤٦٨)ق م، تفتخر فيه بتطبيق العدالة وابتهالها إلى الإله على نحو إعجازي مبهر حينما قالت:

"لقد مجدت الماعت التي يحبها الإله لأني أعرف أنه يعيش منها أنها أيضاً خبزي وأني أشرب رحيقها"[3]

ونجد الملك امنحوتب الرابع (أخناتون١٣٦٧-١٣٥٠)ق م، يجعل الماعت أساساً للديانة الجديدة التي كانت تعني (الصدق والعدل والحقيقة).[4]

حقاً لقد كانت مظاهر التبجيل والتقديس التي يكنها المصريون القدماء لملوكهم وحكامهم ترجع بالضرورة إلى شعور الشعب بأن هؤلاء الملوك كانوا يقيمون العدل والنظام ويكفلون الأمن والطمأنينة ويوفرون الرخاء لكل الناس، كما أدرك المصري القديم بأن غياب الماعت يعني الفوضى والاضطراب في النظام السياسي الذي سوف ينقلب سلباً على حياة الشعب المصري برمته.

لقد بقيت (الماعت) مثلاً أعلى يحتذي به الحكام ويتطلع إليه الناس وظلت بالنسبة للجميع حكاماً ومحكومين رمزاً معنوياً مقدساً يدل على مبلغ ما ينبغي أن يكون العدل من أثر في استمرار النظام السياسي والاستقرار الاجتماعي .

ج – أثر الماعت في البعد الاجتماعي:

إذا كانت الماعت في البعد السياسي تعني حماية الأفراد ومصالحهم ، فإنها في البعد الاجتماعي تعني بقاء الأفراد وبالتالي بقاء المجتمع سليماً معافى فإذا ذهبت (الماعت) التي تعني الصدق والعدالة والأخلاق ذهب المجتمع برمته،ولا شك أن الأخلاق الفاضلة التي تشمل كلمة الماعت كل جوانبها لم تأتي للمجتمع دفعة واحدة

---

(١) برستد: مرجع سابق، ص١٤٢.
(٢) طلب : مرجع سابق، ص١٥٠.
(٣) النشار:مرجع سابق ، ص١٦٠.
(٤) أحمد : دراسات في تاريخ مصر الفرعونية ، مرجع سابق، ص١٩٠.

بل انغرست هذه القيم بالفرد أولاً للدلالة على الخلق العظيم[1]، ومراعاة الضمير والتمسك بأهداب السلوكيات الطيبة ثم أخذت هذه القيم تتسع عن نطاق الفرد حتى أصبحت تربط الفرد بأسرته وأقاربه، وتحولت بعد ذلك لتشمل الجيرة والأقارب ثم الأباعد إلى أن استطاعت أن تشمل المجتمع كله، وبذلك أتيح للحكومة المركزية أن تضم شتات القرى والمقاطعات في كيان اجتماعي سياسي واحد[2]. إذ نستطيع أن نخلص إلى نتيجة هنا مفادها أن للماعت الاجتماعية الفضل في إنجاح النظام السياسي الذي استطاع توحيد مقاطعات مصر وبالتالي بناء حضارة مستقرة من كافة الجوانب، هكذا تكاملت الماعت الاجتماعية مع الماعت السياسية وأدت إلى ذلك النظام الذي قام بتلخيصه الحكماء المصريون في كلمة جامعة واحدة هي (ماعت)[3] لقد بدى واضحاً تأثير الماعت الاجتماعية في الأسرة التي تعتبر المؤسسة الأولى في الحياة الإنسانية والكيان الاجتماعي حيث بدا المثل الأعلى الخلقي كامناً في التراحم والتوادّ الذي يربط أعضاء الأسرة جميعاً وخاصة بين الأب والابن وقد ترك لنا حكماء مصر من النصوص الشيء الكثير الذي يذكر جمع شمل رب الأسرة بأولاده كما يذكر حرص الأبناء على اتخاذ مثواهم بالقرب من مثوى آبائهم أو في مقابرهم بالذات وهذا يعني الرغبة الأكيدة من الآباء والأبناء جميعاً في أن يكونوا في صحبة دائمة وقد ذكر أحد الأبناء البررة بأنه أراد أن يدفن مع والده في نفس المكان ليس لأنه عاجز عن بناء مقبرة مستقلة وإنما الهدف من ذلك رؤيته كل يوم، لقد ظل هذا البعد الأسري للدلالة الخلقية للماعت قائماً عبر العصور، بجانب ما جد من دلالات حين أصبحت الماعت هي النظام الخلقي للعالم بأسره فيما بعد[4]، ولدينا مثال أخر وما أكثر الأمثلة في هذا الصدد حول التعاليم التي صاغها الحكماء في شكل نصائح والتي تضمنت كلها الحرص الشديد على الماعت الاجتماعية فقد أوصى بتاح حتب ابنه بضرورة تحقيق العدالة بين كل أفراد المجتمع يقول:

"أقم العدل وعامل الجميع بالعدالة"[5]

وقد ظهر نوعاً أخر إضافة إلى أدب التعاليم، هو أدب الشكاوي، وقد مُثل هذا الأدب في عمل غاية في الأهمية فكل جملة منه لها من المعاني الشيء الكثير والمقصود هنا (قصة الفلاح الفصيح) ففي قصة هذا الفلاح يتجلى البعد الاجتماعي للماعت وقد استطاع يان اسمان في كتابه مصر الفرعونية وفكرة العدالة الاجتماعية أن يستخلص ويعالج ثلاث نقاط اسمها (الخطايا الثلاث)وهذه النقاط هي

---

(1) برستد : مرجع سابق ، ص ١٨٥.
(2) طلب : مرجع سابق ، ص١٥٢.
(3) برستد : مرجع سابق ، ص١٥٧.
(4) طلب : مرجع سابق ، ص١٥٢.
(5) حسن : مرجع سابق ، ص١٩٦.

١-التضامن الإيجابي :

لقد تجلى هذا الجانب في جملة أو مقطوعة للفلاح الفصيح حيث يقول :

"اسعْ من أجل من يسعى"[1]

لأن السعي لأجل الأخر ينسي الفرد أنانيته ويدفعه إلى تحقيق العدالة المرجوة، أما عدم السعي فإنه يعني البلادة وبالتالي عدم تحقيق العدالة الاجتماعية (الماعت) التي سوف تؤدي إلى الفوضى والقتال في المجتمع.

٢-التضامن الاتصالي :

إذا كان التضامن الإيجابي يعني السعي وبالتالي الفعل فإن التضامن الاتصالي يعني اللغة وبالتالي السمع وقد تجلى ذلك في مقولة الفلاح الفصيح (لا صديق لمن لا ينصت للماعت) فمن لا يستطيع الاستماع للآخرين لا يستطيع تحقيق العدالة (الماعت) ولدينا مثالاً أخر يوضح الاستماع ففي الفقرة الأخيرة من تعاليم بتاح حتب ما يلي:

"إنه مفيد للابن المستمع أن يستمع

لأن كل ما يسمعه يصل إلى من يستمع

ومن يستمع يصبح رجلاً يُستمع له

إذا أُحسن الاستماع أُحسن الكلام

ومن يستمع يملك شيئاً طيباً

الاستماع مفيد لمن يستمع

من يستمع يحبه الإله"[2]

لقد استهدفت التربية المصرية إنشاء إنسان جدير بالاستماع، من يستمع هو من يسمع الكلام ويصغي ويكون طيباً قابلاً للتعليم، من ينتبه لمن يتكلم ويقبل النصيحة عندما تقدم له يكون طيباً قابلاً للتعليم، إذاً الحياة الاجتماعية المبنية على الماعت

---

(1) الماجدي : مرجع سابق ، ص٢٨٥.
(2) اسمان:مرجع سابق،ص٤٢

تعتمد على القدرة على الإنصات أي الاستماع[1] ومن لا يستمع يصاب بالصمم وبالتالي يصبح عديم الإحساس غير قادر على تحقيق الماعت.

٣- التضامن المقصود:

تتجسد الماعت هنا بفعل الخير تطوعاً من النفس وقد عبر عنها الفلاح الفصح في العبارة (لا أعياد للجشع)لأن الجشع غير قادر على الاحتفال بالأعياد حيث ترتبط الأعياد لديه بالتبذير والصرف غير المثمر وهذا يؤدي إلى تحطيم العلاقات الاجتماعية ولدينا مثال أخر من تعاليم بتاح حتب يتقابل فيها الجشع و الماعت كعنصرين مضادين تقول التعاليم:

"إذا أرادت أن يمتاز سلوكك

فأبتعد عن الشر أياً كان

أحذر من الجشع

لأنه مرض خطير ومستعصي

لا يجعل مكاناً للألفة

أنه يحط من شأن الآباء والأمهات

والأخوة من أم واحدة

ويعطي مرارة لحلاوة الصداقة

ويبعد السيد عن صديقه

ويفرق بين الزوج والزوجة

إنه خلاصة كل ما هو سيئ

أما من يتكيف مع الماعت فإنه

يدوم وينطلق طبقاً لخطواتها

---

[1] اسمان :المرجع نفسه، ص٤٢.

وبفضل ذلك سوف يترك وصية

أما الجشع فلا قبر له"[1]

إن هذا النص يشير بوضوح إلى أن الجشع يقضي على العلاقات الاجتماعية الطيبة وبالتالي فهو بقضي على الماعت، كما أن الجشع يمثل الطرف المعاكس لكل من الحس والتضامن الاجتماعي ويعتبر أخطرها لأنه يعني الأنانية وحب الذات وبالتالي صاحبه لا يستطيع أن يقدم أفعالاً أخلاقية في نطاق العلاقات الاجتماعية ولا يستطيع بالتالي تحقيق (الماعت الاجتماعية)، بعد هذا الحديث عن الماعت الاجتماعية نستطيع أن نصل إلى خلاصة مفادها أن الماعت تتمثل في السعي المتبادل الذي يحقق الثقة والنجاح بين أبناء المجتمع الواحد، كما أن الاستماع المتبادل يؤدي إلى مجتمع خالي من العنف والشر، والتخلي عن الجشع يؤدي إلى فعل الخير تطوعاً من النفس وبذلك تتكون الذات الاجتماعية التي تشكل نواة مجتمع ماعتي بامتياز.

() اسمان : المرجع نفسه ، ص٥٤.

الفصل الثالث:

أثر المجتمع في تطور القيم الأخلاقية:

١-الأسرة المصرية مصدراً للقيم الأخلاقية

٢-القيم الأخلاقية من خلال تعاليم الحكماء والحكام المصريين

أ- تعاليم كاجمني

ب - تعاليم وحكم بتاح حتب

ج- تعاليم ختي بن دواوف لابنه بيبي

د- تعاليم آني

هـ - تعاليم أمنحوتب الرابع(أخناتون)

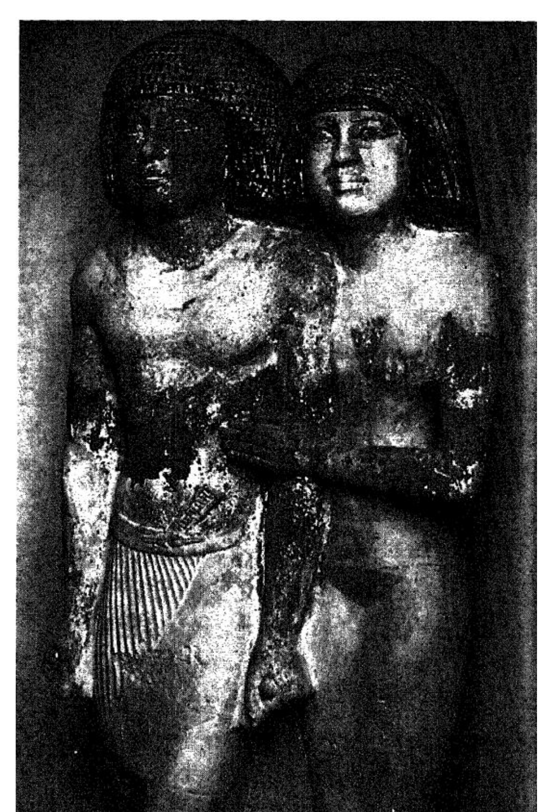
و- تعاليم وحكم أمنمؤبي

٣-القيم الأخلاقية من خلال الدور الشعبي :

أ- قصة الفلاح الفصيح

ب- بردية اليأس من الحياة

١- الأسرة المصرية مصدراً للقيم الأخلاقية:



شكل 5

إن اعتماد المصريون القدماء في تأمين طعامهم على الزراعة حتمّ عليهم الاستقرار الذي نشأ عنه مجتمع نواته الأولى الأسرة، حيث وقع على كاهل أفرادها تأمين الحاجات الضرورية من طعام ولباس وأمن وأمان، ولكي تتكون هذه الأسرة كان لا بد من وجود رجل وامرأة يعيشان حياة متكاملة لهذا الهدف النبيل الذي لا يتحقق إلا بإضفاء شرعية مقدسة عليه وذلك من خلال علاقة بناءة مثمرة ناضجة ومفيدة تقوم على قيم أخلاقية نبيلة تشمل الحب والصدق والأمانة والتعاون بين الزوج والزوجة ومن ثم تتسع دائرتها لتشمل الأبناء والأخوة والأخوات وبالتالي كل أفراد المجتمع المصري. هذا ما أدركه المصري القديم، وما تحدثت وصورته لنا نصوص الأهرام، حيث أكدت لنا إن الحياة في الأسرة عند قدماء المصريين هي الخلية الأولى التي ترعرعت القيم الأخلاقية في ضلالها، فقد كان المصري القديم في عصر الأهرام يشعر بوجود وازع من ضمير إنساني يدفعه نحو الأفعال الأخلاقية والقيم والمثل العليا، كما أن متون الأهرام قد كشفت لنا ذلك الوازع مطلاً على ما قد مضى من العصور الخالية التي لم تكن تعرف معنى للخطيئة والشجار بين أفراد تلك الجماعة الأولى من الأبرياء الذين ولدوا قبل أن يوجد الشجار والخصام والسب والنزاع أو التشويه المروع الذي ارتكبه كل من (حور) و(ست) في حق الأخر(٢).

في تلك العصور ساد الاعتقاد بأن حق كل فرد في التحلي بأخلاق فاضلة يمكن أن يقوم على أساس النهج والسلوك اللذين يعامل بهما أفراد أسرته وهم والده ووالدته وأخواته وإخوانه، وهذه الحقيقة ذات قيمة بالغة ومكانة عظيمة في ذلك الوقت

() محمد عبد الرحمن مرحبا:المرجع في تاريخ الأخلاق،الجزء الأول ،الطبعة الأولى،لبنان ١٩٨٨م،ص١٥٢.

الموغل في القدم فقد ترك لنا أحد أشراف رجال الوجه القبلي عاش في القرن السابع والعشرين ق.م ما نصه:

"إني لا أقول كذباً لأني كنت إنساناً محبوباً من والدي ممدوحاً من والدتي حسن السلوك مع أخي ودوداً لأختي"[1].

إن مثل هذه العبارة تبين مدى اهتمام المصري القديم بالروابط الأسرية التي حرص المصري القديم أن تكون بحالة صحية، تعكس بعّداً أخلاقياً يتباهى فيه المصري ويبني عليها قيماً أخلاقية خالدة مدى الدهر، لم يخرج عن هذه القاعدة الآباء أصحاب التجارب والخبرة الذين تركوا لأبنائهم تعاليم ووصايا أغلبها تهتم بالجانب الأخلاقي، ونقول هنا وصايا الآباء لأن وكما هو معروف فإن السلطة الأبوية في المجتمعات البدائية القديمة هي أساساً سلطة أخلاقية، ومن الباحثين من يرجع هذه الظاهرة إلى طبيعة الزراعة وما تحققه من الاستقرار، مما أتاح الفرصة لظهور نوع من السيادة الأبوية التي أخذ نطاقها يتسع شيئاً فشيئاً باتساع نطاق الأسرة وتشعب بطونها و أفخاذها، وإذا عرفنا أن الحضارات القديمة قامت على أساس الزراعة استطعنا أن نقول أنها كلها قامت على السلطة الأبوية التي لا تعتمد على القوة المادية وإنما تستمد دعائمها من الخضوع العائلي وهو خضوع من طبيعة أخلاقية[2]، إن هذا الخضوع العائلي سوف يتحول مع مرور الزمن إلى خضوع أخلاقي فردي يفرضه الضمير الإنساني للفرد، وينتج عنه مجموعة قيم أخلاقية تكون القاعدة المتينة لقيام المجتمع المصري وحضارته.

بما أن الأسرة المصرية هي الخلية الأولى مبدعة الأخلاق والمثل، فقد أهتم بها الحكماء، وخصوها بتعاليم شملت بناء أسرة سليمة عمادها الزوجة الصالحة، حيث نقرأ لحكيم من عصر الأهرام(٢٨٧٠-٢٢٣٠)ق.م وهو بتاح حتب ما يؤكد لنا مدى أهمية بناء أسرة صالحة عمادها الزوجة والحياة الزوجية الصالحة يقول:

" إذا كنت رجلاً ناجحاً فوطد حياتك المنزلية وأحبب زوجتك في البيت كما يجب، وأشبع جوفها وأستر ظهرها واجعل قلبها فرحاً ما دمت حياً "[3].

كما و نقرأ في هذا المجال تعاليم للحكيم آني الذي نصح تلميذه (خونسو حتب)بما يلي:

---

(1) برستد: مرجع سابق، ص ١٣١

(2) إمام :مرجع سابق، ص١٣١

(3) محمد عبد الله الشرقاوي: الفكر الأخلاقي، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٠، ص٣٩.

"إذا كانت زوجتك كاملة مدبرة فلا تعاملها بالخشونة والغلظة وراقب أطوارها لتكشف أحوالها ولا تتسرع معها في الغضب لئلا تزرع الشقاق والنزاع في بيتك فإن كثيراً من الناس يضعون أساس الخراب في بيوتهم لجهلهم حقوق المرأة "[1].

كما يوصي الحكماء أبناءهم بعد ذلك بضرورة وجود النسل الصالح اللازم لإتمام الحياة الأسرية الصالحة حيث ينصح آني(*) تلميذه خونسو حتب بما يلي:

"تزوج حديث السن لترى لك ولداً في ريعان شبابك يكون سبباً في احترامك وإجلالك وبرهاناً على صلاحك وتقواك"[2]

إن التربية الصالحة للأبناء سوف تُثمر علاقة متينة وطيبة بين الأب والابن والحفيد بحيث تتكون لدينا فضيلة أخلاقية في غاية الأهمية وهي البر بالوالدين ولدينا أمثلة كثيرة تتحدث عن بر الأبناء بآبائهم فقد ذكر أحد الأبناء من عصر الأهرام في نقوش قبره ما يأتي :

" والآن عملت على أن أدُفن في نفس القبر مع (زاو) (والدي) لكي أكون معه في مكان واحد،وأنا لم أفعل ذلك لأني لست في مكانة تؤهلني لبناء قبر ثاني ، بل فعلته حتى أتمكن من رؤية زاو كل يوم"[3].

ويوجد حالة أخرى أعظم من هذه في بر الابن بأبيه حيث يعرض الابن حياته لمخاطر المجهول حتى يستعيد جثمان والده، وهي قصة شخص يدعى سبني(*) (حارس الباب الجنوبي) فقد حدث أن (مخو) والد سبني قد قام برحلة خطيرة في قلب السودان طلباً للاتجار، وهناك أنقض عليه بعض القوم وذبحوه، فلما سمع سبني بذبح والده قام على الفور برحلة تحفها المخاطر في قلب ذلك الإقليم واستخلص منه جثمان والده ليدفن في مصر[4].

---

(1) الماجدي: مرجع سابق، ص٢٩٦.

(*) هو كاهن من هيئة المعبد الجنزي للملكة نفرتيتي(الأسرة الثامنة عشر)كتب تعاليمه لتلميذه خونسو حتب في عهد الدولة المصرية الحديثة ١٥٧٥-١٠٨٧ق-م(جيمز:مرجع سابق،ص١٣٠.

(2) الماجدي: المرجع نفسه، ص٢٩٦.

(3) برستد:مرجع سابق،ص١٣٢.

(*) توجد مقبرة سبني على البر الغربي من أسوان(سعد الله:مرجع سابق،ص١١٢).

(4) برستد: مرجع سابق ص١٣٢

كما نجد شبهاً لذلك في تعاليم آني لتلميذه:

" بأن لا يهمل الترحم على الوالدين وأن يقدم لهم من أعمال الخير والبر أكثرها نفعاً و قبولاً ومتى قمت لهم بهذا الواجب قام به لك ولدك"[1].

ولدينا مناظر من جبانات مدينة منف نحو ٥٠٠ سنة أي من ٣٠٠٠ق م حتى ٢٥٠٠ق م، حيث تتضمن مظهراً معبراً و شاملاً عن حياة الأسرة المفعمة بالحب والاحترام والتقدير الذي يكنه رب الأسرة اتجاه أفراد أسرته ففي أحدى المناظر نرى فيها الشريف المصري القديم يصحب معه زوجته في كل تلك الجولات الفسيحة في أرجاء ضيعته الشاسعة، فكانت تتهادى بجانبه حينما كان يدخل من الباب العظيم المؤدي إلى حديقة الفناء، لقد كانت زوجته في الواقع تشاطره كل حياته وكل أعماله وكان أطفالهم في صحبتهم دائماً، ومن أمتع الصور المنقوشة على جدران تلك القبور، منظر يصور الشريف يصطاد في المستنقعات المخصصة لذلك الغرض و بجانبه زوجته و طفله و كلهم في قارب من القصب يسبح بهم بين أزهار البردي الطويلة، كما نشاهد في مناظر أخرى الشريف جالساً في حديقته و أطفاله أمامه يلعبون الكرة أو يعبثون في ماء بركة الحديقة و هم يصطادون السمكَ[2].

أن كل هذه المناظر و الأمثلة التي سبق الحديث عنها و المنطوية على الود و الحب و الاحترام ما هي إلا لبنة أساسية في تاريخ الأخلاق، و بالتالي نستطيع أن نعد الأسرة المصرية القديمة مصدراً أساسياً ترعرعت و نشأت في ظلالها القيم الأخلاقية، كما أن الروابط الأسرية كانت أقوى الروابط الاجتماعية[3]، و هذا ما وصل إليه علماء النفس الاجتماعيين المحدثين من خلال ملاحظاتهم عن حياة الإنسان بأن القيم الأخلاقية في حياة الإنسان نبتت من المؤثرات التي تعمل في العلاقات الأسرية، و في ذلك يقول مكدوجال "فمن عاطفة حنان الوالدين و من الدافع الذي يحدو بها إلى الحب و الرعاية، تنشأ القيم الأخلاقية، من كرم و اعتراف بالجميل و حب و شفقة و خير و كل أنواع الخلق المجردة عن الأنانية"[4].

---

(1) الماجدي : مرجع سابق ، ص٢٩٦

(2) برستد: مرجع سابق ص١٣٢

(3) محمد جمال الدين مختار: مصر القديمة، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، بيروت ١٩٩٧م، ص ١١٨.

(4) برستد: مرجع سابق، ص١٣٥.

٢-القيم الأخلاقية من خلال تعاليم الحكماء والحكام المصريين:

لم يقتصر السلوك الحسن والمعاملة الطيبة ضمن نطاق الأسرة، بل أخذت دائرته تتسع حتى صارت تشمل أفراد الجماعة أولاً ثم بعد ذلك أفراد القبيلة لتشمل بعد ذلك أفراد المجتمع بكافة طبقاته، حيث أن الأفعال الأخلاقية أصبحت محط اهتمام كل الطبقات الاجتماعية حتى أن الملك والموظفون الكبار أثارت اهتمامهم وتركوا في هذا المجال مجموعة من الكتابات التي تنم عن ذلك، حيث نجد مثلاً في عصر الأهرام (٢٧٨٠-٢٢٣٠)ق.م ذلك الوزير العادل (ختي) الذي أصبح مضرب الأمثال بسبب الحكم الذي أصدره ضد أقاربه عندما كان يرأس جلسة للقضاء كان فيها أحد الطرفين المتخاصمين قريبه حيث أصدر الحكم ظلماً ضد قريبه كي لا يتهم بالمحاباة والمساعدة. كما تحوي متون الأهرام أيضاً أدلة قاطعة لا تقبل الشك في أن طلبات العدالة والحق كانت أقوى من سلطان الملك نفسه، حيث لم يكن الملك معفى من القيام بما تحتاجه قبور الأشراف التي تنطق نقوشها بأنهم كانوا مهتمين بإقامتها كل الاهتمام وكان الإله الذي يعمل الملك على إرضائه (رع)هو نفس الإله التي تعمل الرعية على إرضائه وإليك ما جاء في أحد النقوش:

"لا توجد سيئة اقترفها الملك بيبي وهذه الكلمة ذات وزن في نظرك يا رع"(٢

ونجد في القرن الثامن والعشرين ق.م أن إحدى ألقاب الملك (**وسركاف** مؤسس الأسرة الخامسة) لقب (**مقيم العدالة**) أي (**ماعت**).

كما كان الملك دائماً يؤكد على إقامة العدل مكان الظلم وهنا نجد تصريحاً يؤكد أن الملك **"وناس"**(الأسرة الخامسة) أقام العدل مكان الباطل في تلك الجزيرة التي استقر فيها حيث تؤكد لنا متون الأهرام:

أن الملك (وناس) يخرج في يومه هذا ليتمكن من إحضار العدالة (ماعت) معه(٢.

() برستد:المرجع نفسه،ص١٤١.
(٢) برستد: المرجع نفسه، ص١٤٢.

لقد تعدى هذا الاهتمام بالحق والعدالة من الملك إلى الموظفين الكبار حيث يؤكد مدير ضيعة يدعى (**أميني**) زمن الأسرة الرابعة (٢٩٠٠-٢٧٥٠)ق.م في نقوش مأخوذة من مقبرته ما يلي:

"أما فيما يخص كل رجل عمل هذا لي (أي ساهم في إنشاء القبر) فإنه لم يكن قط غير مرتاح للأجر الذي أخذه"[1].

ولدينا مثال أخر يعود إلى منتصف القرن السادس والعشرين حيث يؤكد رئيس أطباء الملك (**سحورع**) من ملوك الأسرة الخامسة ما يلي:

"إني لم آتي سوء قط ضد أي إنسان"[2].

وهناك مثال آخر وهو قول لأحد القضاة المدعو (**أورخو**) زمن الأسرة السادسة جاء فيه:

"لم اسمح أبداً أن ينام أي شخص غير راضٍ عن قراري، إني أجيء بالسلام"[3].

إن هذه الأمثلة وغيرها الكثير ما هي إلا دليلاً قاطعاً على مدى الاهتمام الكبير من قبل المصري القديم بغض النظر عن مكانته والتمسك والتأكيد على القيم الأخلاقية التي جاء في مقدمتها الحق والعدالة.

---

(1) برستد:الرجع نفسه،ص١٣٧.
(2) برستد: المرجع نفسه، ص١٣٧.
(3) Pirenne, J., OP. Cit., P.42.

ساعدت هذه التعاليم في فهم الروح التي كانت تسود الحياة العامة للمجتمع المصري القديم، لما ساد فيها من إحساس الأفراد الثقة بالنفس وطموح وتقدم للأمام كما تدلنا هذه التعاليم على المدى الكبير للاهتمام المصري القديم بالكلام الجميل والحكم والتعاليم الأخلاقية وما ينبغي أن يحرص عليه من قيم ومن محاكاة الأولين والأجداد الذين يطيعون الآلهة. وتتلخص هذه التعاليم على شكل وصايا حرص من خاض تجارب الحياة أن يلقنها لابنه لتكون معيناً ومرشداً له على طريق الحق والصواب.

أ- تعاليم كاجمني:

لم يصل من هذه التعاليم إلا جزء صغير محفوظ مع تعاليم (بتاح حتب) في بردية باريس ومن المحتمل أن الجزء المفقود منها قد جاء فيه : إن الملك (حونى)الذي يُنسب حكمه إلى أواخر الأسرة الثالثة(٢٦٨٠ق م)تقريباً قد أمر وزيره كاجمني بأن يفرغ تجارب حياته في كتاب لتكون بمثابة تعاليم لأبنائه.(٢)

شكل 6

لقد تضمنت تعاليم الوزير كاجمني لأبنائه قيماً أخلاقية كثيرة كان أبرزها الفطن و الحذر في الحديث والتواضع لأن صاحب هذه الصفات يحالفه النجاح ويظل سليماً معافى ، ومن يتخذ الاستقامة أساساً لعمله يمتدحه الناس، والباب مفتوح للمتواضع ومن يكون حذراً وفطناً في الحديث يجد مكاناً رحباً ولكن

() حسن: مرجع سابق، ص١٩٨.

السكين تشحذ لمن يحيد عن الطريق المستقيم أي أن من يحيد عن الطريق الصحيح مصيره الموت[1]، بعد ذلك يذكر الوزير أبنائه بآداب المائدة حيث يحثهم على التعفف وضبط جماح النفس يقول:

" إذا جلست مع أشخاص كثيرين فاصطنع كراهية الطعام ،حتى ولو كنت شديد الرغبة فيه ، إن الأمر لا يستلزم وقتاً طويلاً لضبط النفس ، وإنه لمن المشين أن تكون نهماً ،إن قدحاً من الماء يروي الظمأ ،إن طبقاً بسيطاً جداً يكفيك بدلاً من طبق فاخر ، فالقليل يغني عن الكثير ،تعس هو الرجل الشره من أجل جسده"[2]. "وإذا جلست مع إنسان شره فلا تأكلن إلا بعد أن يفرغ من وجبته وإذا جلست مع سكير فلا تأخذن منه الشراب إلا بعد أن يشبع شهوته ،ولا تتكالبن على اللحم في حضرة آخرين وخذ ما يقدم لك لا ترفضه فإن ذلك يريح الآخر"[3].

ثم يذكر فضيلة أخرى وهي حسن المعاشرة وتجنب الزهو بالنفس يقول:

"لا تكون فخوراً بقوتك بين من هم في سنك واحذر من أي فرد يغالبك لأن الإنسان لا يعرف ماذا يكون حظه وما يفعله الإله عندما ينزل العقاب"[4].

بعد أن أنهى الوزير تدوين هذه التعاليم نادى أولاده وأوصاهم بحفظ كل ما دون حيث وجد قبولاً واستحسان لهذه التعاليم من أبنائه، وكانت أحسن من أي شيء أخر في البلاد كلها، وقاموا وقعدوا متبعين ما جاء فيها[5].

---

(1) كمال: مرجع سابق،ص٤٨.
(2) كمال: المرجع نفسه، ص٤٩.
(3) حسن:مرجع سابق، ص ١٩٨.
(4) حسن:المرجع نفسه،ص١٩٩.
(5) كمال: مرجع سابق، ص٥٠.

ب- تعاليم وحكم بتاح حتب:

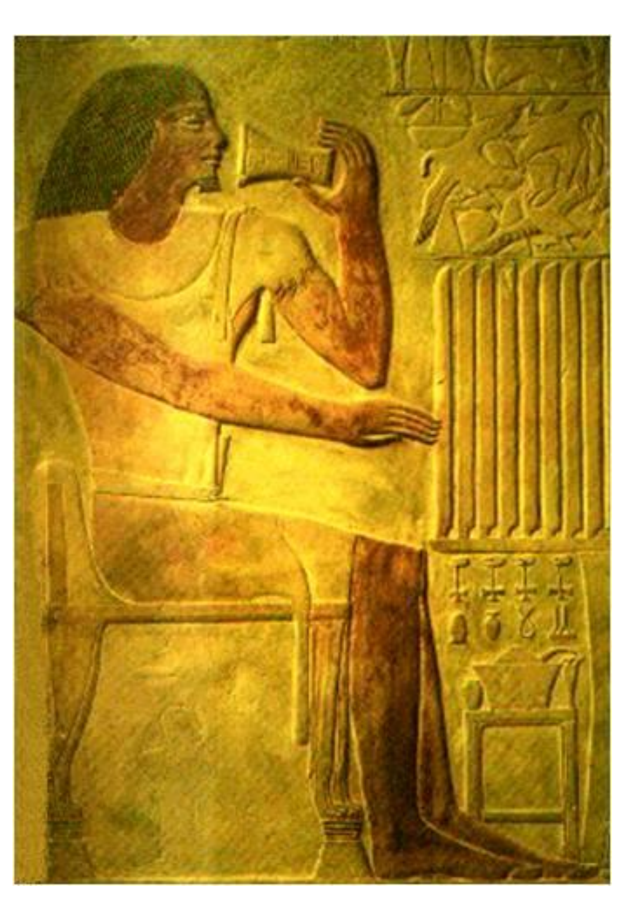
تعد هذه التعاليم أقدم مقطوعة أدبية خالدة تعود إلى عصر الدولة المصرية القديمة، وتحديداً عصر الأسرة الخامسة زمن حكم أحد ملوكها (أسيس) (٢٤٥٠)ق.م تقريباً، وقد وجدت نسخة من هذه المقطوعة مكتوبة على ورقة من البردي اشتراها عالم فرنسي يدعى (**بريس**) من أحد الفلاحين في الأُقصر وأهداها إلى المكتبة الأهلية في باريس عام (١٨٤٧)م، حيث ظلت محفوظة بها حتى الآن، ويبدو أن النسخة المذكورة قد نُقلت في عصر الدولة الوسطى الأسرة الثانية عشر (١٩٩١-١٨٠٠)ق.م عن أصلها القديم، ويبلغ طول هذه الورقة نحو ثمانية أمتار وهي في حالتها الحاضرة تتألف من ثمانية عشر صفحة مكتوبة كتابة واضحة باللونين الأسود والأحمر وبالخط الهيراطيقي.

شكل 7

تأتي أهمية هذه المقطوعة كونها تحوي ثمرة تجارب شخص خبر الحياة بكل تفاصيلها وأراد أن يلقنها لابنه، كما أنها ترمي إلى أهداف تربوية وقيم سامية في آداب السلوك والأخلاق، بحيث تُخلد ذكر صاحبها، وتضمن له النجاح في الحياة الدنيا والنعيم في الآخرة.

لقد جاء العنوان في النسخة القديمة لهذه التعاليم "تعاليم حاكم المدينة الوزير بتاح حتب في عصر ملك مصر العليا والسفلى أسيس المستمتع بحياة خالدة ".

أما المقدمة في النسخة الحديثة: "هكذا قال بتاح حتب لجلالة الملك أسيس "لقد أقبلت الشيخوخة وبدأ خرفها وسرت الآلام في الأعضاء، وتبدى الهرم وذهبت القوة وحل محلها الضعف والهُزال وصمت الفم وتوقف عن الكلام وغارت العينان وأصبحت الآذان صماء وأمسى القلب كثير النسيان لا يذكر ما حدث بالأمس وغدت العظام



شكل 8

تقاسي من تقدم السن وتوقف الأنف فأصبح ساكناً لا يتنفس وصار الوقوف والجلوس كلاهما شاقاً وتحول الحسن إلى سيء، فمرني حتى اتخذ لي في شيخوختي سنداً وحتى أجعل من ابني خليفة لي فاعلمه عظات من يسمعون، وآراء من سبقوا وهم الذين خدموا السلف في العصور الماضية(*)، ليتهم يعملون لك مثلما ذلك حتى يزول النزاع من بين الناس". هنا أجابه الملك:

"علمه العظة أولاً حتى يكون قدوة لأولاد العظماء ويتحلى بالطاعة ويدرك كل رأي صائب ممن يتحدث إليه فليس هناك ولد يستطيع الفهم من تلقاء نفسه"[١].

بعد أن حصل (بتاح حتب) على موافقة الملك (أسيس) بدأت الكلمات الطيبة والجمل المعبرة التي نطق بها، حيث يبدأ موصي ابنه بضرورة التحلي بالتواضع وضبط النفس وحسن الاستماع لأنها سمات الحاكم الصالح والناجح في حياته يقول له:

"لا تكن متكبراً بسبب معرفتك ولا تكن منتفخ الأوداج لأنك رجل عالم، شاور الجاهل والعاقل لأن نهاية العلم لا يمكن الوصول إليها وليس هناك عالم مسيطر على فنه تماماً و إن الكلام الحسن أكثر اختفاء من الحجر الأخضر ومع ذلك يوجد مع الإيماء اللواتي يعملن في إدارة أحجار الطواحين"[٢].

(*) يقصد بذلك وزراء الملوك السابقين وهو يرجو أن يصبح ابنه مفيداً للملك كما كان الوزراء بالنسبة للملوك السابقين (كمال :المرجع نفسه، ص ٢٨).

(١) كمال: المرجع نفسه، ص ٢٨.

(٢) حسن: مرجع سابق، ص١٨٨.

وهذا الكلام يشبه النصيحة التي تقول:

"المغرور كالديك الذي يظن أن الشمس تشرق لصياحه"(1).

كما يؤكد (بتاح حتب) على ضرورة ضبط النفس لأنها فضيلة:

"إذا كنت ذا سلطان واسع لأنك تنال الشرف و رقة الطباع عن طريق العلم، احذر أن تقاطع الناس وأن تجيب الأقوال بحرارة أبعد ذلك عنك وسيطر على نفسك"(2)

إن الشخص الذي لا يستطيع أن يضبط نفسه أثناء المواقف الحرجة لا يستطيع التفكير السليم والحكم السليم، وبالتالي لا يكون جديراً بإدارة دفة الأمور، وهنا يؤكد (بتاح حتب) على الصفة الثالثة وهي ضرورة الاستماع :

"إن المستمع (المطيع)هو الذي يحبه الإله وأما الذي لا يستمع هو الذي يبغضه الإله والقلب (العقل) هو الذي يجعل صاحبه مستمعاً أو غير مستمع"(3).

ويتابع (بتاح حتب) موضحاً لابنه ضرورة الاستماع وما أكثر منافعها التي تعود على صاحبها:

"إن ثروة المرء العظيمة هي قلبه، فما أحسن الابن حين يصغي إلى أبيه، فإن الابن إذا وعى ما يلقيه عليه أبوه لن يخيبَ في أمر من الأمور، وعليك أن تُعلم من يستمع إليك كأنه ابنك، فما أكثر المصائب التي تنزل بساحة من لا يستمع، كما أن الأحمق الذي لا يستمع يعدُّ الحكمة جهلاً والابن المستمع يبلغ الشيخوخة وينال الاحترام"(4)

تتشابه هذه النصيحة مع الحكمة التي تقول:

"رجاحة العقل تنبع من الصمت وكثرة الكلام توقف التفكير"(5)

إن نشر العدالة بحاجة إلى حسن الاستماع والصبر في ذلك وخاصة إذا كنت حاكماً أو كنت قاضي تفصل بين الناس:

---

(1) أحمد البربري: الأدب المصري القديم، دار الفكر العربي، القاهرة٢٠٠٦، ص٤٨.
(2) حربي عباس عطيتو: الفلسفة القديمة، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، ١٩٩٩م، ص٢٠.
(3) مرحبا:مرجع سابق،ص١٥٦.
(4) مرحبا: المرجع نفسه، ص١٥٦.
(5) البربري: مرجع سابق، ص٤٩.

"إذا كنت حاكماً، فكن عطوفاً متأنياً

عندما تُصغي إلى شكوى مظلوم

لا تجعله يتردد في أن يُفضي إليك بدخيلة نفسه

بل كن به رفيقاً ولحاجته قاضياً ولظلمه مُزيلاً رافعاً

اجعله يسترسل في كلامه على سجيته

حتى تقضي له حاجته التي آتى من أجلها إليك

فإنه إذا تردد في أن يُفضي إليك بما يجيش في صدره

قيل: إن القاضي يظلم من لا يستطيع لظلمه دفعه

غير أن القلب الحاني العطوف يستمع ويُصغي عن رغبة"(١)

من يستطيع التحلي بصفات التواضع وضبط النفس وحسن الاستماع يستطيع إحقاق الحق والمحافظة عليه وبالتالي تحقيق قيمة تُعد من أسمى القيم وهي العدالة:

"تخلق بأخلاق حسنة، واعمل على نشر العدالة

بذلك تضمن لذريتك الحياة من بعدك"(٢)

ومعنى هذا الكلام بأن لا يسمع إلا بوعي ولا يفكر إلا بروية ولا يجيب إلا بحكمة وألا يحكم بتحيز فالحكم سوف يحاسب عليه(٣)

ولما كان السلوك الحسن بالمعاملة، يُعد ذو قيمة أخلاقية فإن (بتاح حتب) يعتبره ذو مكانة سامية وقد أفرد له المزيد من النصائح الموجهة لابنه والتي تتضمن التحلي بالحذر وأسلوب المعاملة في حضرة العظماء وآداب المائدة:

"إذا اتفق أنك كنت بين الجالسين على مائدة أكبر منك مقاماً، فخذ ما يُقدم لك حينما يوضع أمامك، ولا تنظرن إلا إلى ما وضع أمامك ولا تُصوبن لحظات كثيرة إليه، لأن ذلك ما تشمئز منه النفس، وانظر بمحياك إلى أسفل من يُحيك، وتكلم فقط بعد أن يُرحب بك، واضحك حينما يضحك فإن

---

(١) كمال: مرجع سابق، ص٣٥.
(٢) حسن:مرجع سابق،ص١٩٥.
(٣) البربري: مرجع سابق، ص٥٢.

ذلك سيكون ساراً لقلبه، وما تفعله يكون مقبولاً، لأن الإنسان لا يعلم ما في القلب والرجل العظيم يتوقف عزمهُ على أوامر نفسه حينما يجلس أمام الطعام والرجل العظيم يُعطي من بجواره"(1)

هذا الكلام يشبه الحكمة التي تقول فيما يخص آداب المائدة:

"لا تُحاول أن تبتلع ما يسعه حلقك"(2)

وقد خص الحكيم بنصائحه لابنه طريقة اختيار الأصدقاء لأن الصديق رفيق الدرب ومكمن الأسرار لذلك يجب اختباره قبل اختياره:

"إذا كنت تبحث عن أخلاق من تريد مصاحبته فلا تسألنه عن شيء، ولكن اقترب منه وتعامل معه على انفراد، وامتحن قلبه بالمحادثة فإذا أفشى سراً قد رآه أو أتى أمراً يجعلك تخجل له عند إذ احذر حتى من أن تجاوبه"(3)

بما أن الأسرة هي الخلية الأولى التي ترعرعت في ظلالها القيم الأخلاقية فإن الحكيم (بتاح حتب) يفرد لها حيزاً في نصائحه لابنه من حيث المعاملة الطيبة مع الأقارب، وضرورة الابتعاد عن الطمع والجشع وخاصة في الميراث الذي هو سبباً في نشوء المنازعات داخل الأسرة وبين الأقارب:

"ابتعد عن كل أذى، ابتعد عن الجشع لأنه مرضاً مؤلم لا يمكن الشفاء منه، إنه يخلط ويفسد بين الآباء والأمهات والأخوات، ويطرد الزوجة من الزوج، الرجل تدوم حياته وذكراه عندما يراعي العدل لكن الرجل الطماع لن تكون له مقبرة(*) لا تكن جشعاً عند القسمة ولا تكن طماعاً اتجاه أقاربك مستغلاً تلك القرابة"(4).

---

(1) حسن: مرجع سابق، ص١٩٠.
(2) البربري: مرجع سابق، ص٤٩.
(3) MIRIAM LICHTHEIM , Ancient Egyptian Literature, P,72.
(*) إن عدم وجود مقبرة لدى المصري القديم كانت تعد من الأشياء الخطيرة لاهتمامهم بفكرة الحياة بعد الموت والبعث والخلود (سعد الله: مرجع سابق، ص٢٠).
(4) سعد الله: المرجع نفسه، ص٨٥.

كما يُوصي الحكيم ابنه بضرورة احترام الوالدين في الحياة الدنيا وفي الآخرة:

"قدم الماء لأبيك وأمك الذين نُقلا إلى قبرهما في الصحراء

وإياك أن تغفل عن هذا الواجب حتى يعمل لك ابنك بالمثل"(1)

ويُذكره بفضل الأم التي أنجبت وربت التربية الصالحة:

"إذا ما ترعرعت واتخذت لك زوجة وبيتاً، تذكر أمك التي ولدتك، ثم أنشأتك من جميع الوجوه، لا تدعها تلومك وترفع أكفها إلى الإله فيسمع شكواها، فهي قد حملتك طويلاً تحت القلب عبئاً ثقيلاً، وبعد أن انتهت شهورك وولدتك حملتك وكان ثدياها طوال ثلاث سنوات في فمك، هكذا ربتك وأنشأتك دون أن تشمئز من قذارتك، وبعد أن دخلت المدرسة لتأخذ دروساً في الكتابة بقيت ترعاك في كل يوم بالخبز والجعة من بيتها"(2).

وبالمقابل يُذكر الحكيم ابنه بضرورة بناء المنزل من خلال اتخاذ الزوجة الصالحة

"إذا كنت رجلاً ناجحاً فأسس لنفسك بيتاً واتخذ لنفسك زوجة تكون سيدة قلبك"(3)

وضرورة المعاملة الطيبة:

"لا تجعل من نفسك رئيساً على زوجتك في المنزل

وخاصة إذا كانت قديرة في عملها فلاحظ أعمالها

في صمت وتعرف عليها وساعدها

بذلك تتجنب كل خلاف في البيت"(4).

هذا الكلام يشبه الحكمة التي تقول:

"الزوجة الصالحة منحة السماء لمن يستحقها"(5)

---

(1) كمال:مرجع سابق،ص٩١

(2) كمال: المرجع نفسه، ص٩٤.

(3) حسن:مرجع سابق،ص١٩١.

(4) كمال: مرجع سابق، ص٩٤.

(5) البربري: مرجع سابق، ص٥٠.

ويتابع الحكيم في وصاياه لابنه مبيناً الطرق الكفيلة التي تؤدي إلى سعادة الزوجة وبالتالي سعادة الحياة الزوجية واستقرارها:

"أشبع جوفها واستر ظهرها"[1]

والمقصود هنا أن يكفي زوجته كل الحاجات من طعام ولباس لأن ذلك يُبقي الفرح دائماً في قلب الزوجة حيث يوصيه:

"اجعل قلبها فرحاً ما دمت حياً فهي حقلاً مثمراً لسيده"[2].

وقد جاء في القرآن الكريم بعد مُضي خمسة وثلاثين قرناً ما يشبه ذلك في قوله تعالى: **"نساؤكم حرث لكم"** (سورة البقرة آية ٢٢٢)

كما يُدرك الحكيم بأن الحياة الزوجية الصالحة تكتمل وتأتي ثمارها عندما تُنجب نسلاً صالحاً يحمل من القيم الأخلاقية أكثرها ويستطيع أن يُلقنها لأبنائه في المستقبل:

"إذا كنت رجلاً عاقلاً فليكن لك ولد

تقوم على تربيته وتنشئته، فذلك شيئاً يسر الآلهة

فإذا اقتدى بك ونسج على منوالك ونظّم من شئونك ورعاها

فاعمل له كل ما هو طيب لأنه ولدك وقطعة من نفسك وروحك

لا تجعل قلبك يجافيه فإذا ركب رأسه ولم يأبه لقواعد السلوك

فطغى وبغى وتكلم بهتاناً فقم بضربه حتى يعتدل شأنه ويستقيم قوله

وباعد بينه وبين رفاق السوء أما إذا تحدى قولك فاطرده

لأنه ليس ابنك ولم يولد لك"[3].

يؤكد الحكيم (بتاح حتب) من خلال هذه الكلمات على ضرورة التربية الصالحة للأبناء لما لذلك من أهمية كبيرة في بناء مجتمع أخلاقي، فالابن الذي لا يسمع التعاليم الأخلاقية ويعمل بها لا يستحق الحياة.

---

(1) حسن:مرجع سابق،ص١٩٢.
(2) برستد: مرجع سابق، ص١٤٧.
(3) كمال: مرجع سابق، ص٣٤.

ولما كانت الروابط الأسرية والأسرة ذات مكانة عظيمة عند الحكيم (بتاح حتب) فإنه يتابع في نصائحه لابنه محذراً مما قد يُنغص على صاحب البيت هذا الاستقرار وهذه السعادة، فهو ينصح ابنه بضرورة احترام بيوت الآخرين لأن لها حرمة ولو كانوا من ذوي القربة، كما يُحذر من الاقتراب للنساء لأن صاحب تلك الأفعال لا يجني سوى الهلاك:

"إذا أردت أن تُحافظ على الصداقة في بيت تدخله سيداً كنت أو خادماً أم صاحباً، فاحذر القربة من النساء فإن المكان الذي يكن فيه ليس بالحسن ومن الحكمة إذاً ألا تحشر نفسك معهن، فمن أجل ذلك يذهب ألف رجل إلى الهلاك "[1].

وقال في هذا المعنى أيضاً:

"عندما يفتتن الإنسان بأعضائهن البراقة فإنها تصير بعد ذلك مثل حجر هرست (أي شيئاً تافهاً لا قيمة له) والهلاك يأتي في النهاية"[2].

ومع هذا المعنى تتفق الحكمة القائلة:

"من يعشق الجارية يُصبح عبداً لها"[3]

حقاً لقد كان (بتاح حتب) حكيماً عادلاً ومنصفاً فلم ينسى أن كما على ابنه واجبات يجب مراعاتها، له حقوق مثل حق ترفيه النفس والاستجمام وعدم إفناء العمر في العمل، حيث ينصح ابنه بضرورة الحصول على المتعة السليمة و بألا يسمح للأعمال الرسمية أو غير الرسمية أن تختصر ساعات الراحة والاستجمام

"اتبع لُبك ما دمت حياً، ولا تفعلن أكثر مما قيل لك، ولا تنقصن من الوقت الذي تتبع فيه قلبك، لأنه مكروه عند النفس أن ينقص من وقته، ولا تُشغلن نفسك يوماً بخلاف ما يتطلبه بيتك"[4]. "عندما يواتيك الثراء متع نفسك به، لأن الثراء لا تتم فائدته إذا كان مُعذباً"[5].

يمكن للدارس أن يستخلص من تعاليم (بتاح حتب) مدى التركيز الكبير على أخلاق الإنسان وسلوكه، ويُلاحظ بشكل عام أن تلك التعاليم تحثُ على توخي اللطف

---

(1) حسن:مرجع سابق،ص١٩٣

(2) حسن: المرجع نفسه، ص١٩٣.

(3) البربري: مرجع سابق، ص٥١.

(4) جمال المرزوقي: الفكر الشرقي القديم، الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠٠١م، ص١٣٧.

(5) حسن: مرجع سابق، ص١٩٤.

والاعتدال وتأكيد الذات التي تصطحبها الحكمة واللياقة وحسن الذوق وسلامة تقدير الأمور ووزنها في الميزان الصحيح، وبالجملة فإن النغمة التي تغلب على نصائح (بتاح حتب) هي شدة اهتمامه بالأخلاق الفاضلة والوازع الخلقي، وأبرز واجب تنطق بها سطوره هو:

"ارع الحق وعامل الجميع بالعدالة"[1].

---

[1] برستد: مرجع سابق، ص١٥١.

ج- تعاليم ختي بن دواوف لابنه بيبي(٢٢٣٠)ق م :

ظلت هذه التعاليم زمناً طويلاً تعرف باسم ((تعاليم دواوف)) إلى أن برهن جاردنر بان اسم كاتبها هو ختي بن دواوف وكان قد كتبها لابنه بيبي[١]، لقد كتبها هذا الحكيم بمناسبة سفره باتجاه العاصمة بمهمة إيصال ابنه ليضعه في المدرسة بين أبناء الحكام، ولعل هذه التعاليم كانت شائعة في مدارس الدولة الحديثة يتخذها طلاب المدارس تمارين يتناقلونها وبخاصة في الأسرة التاسعة عشر حوالي (١٣٠٨- ١١٤٨ق.م) كما يذكر محرم كمال، أما سليم حسن فإنه يرد هذه التعاليم إلى بداية الأسرة الثامنة عشر(١٤٠٥- ١٣٠٨ق م).

تعد هذه التعاليم ذات أهمية كبيرة لأنها توضح لنا المدى الكبير الذي وصلت إليه الحياة الأخلاقية في المجتمع المصري من حرية الاختيار لدى الأشخاص، فلم يعد الأب يملي التعاليم، و على أبنائه الاستماع و الطاعة، لقد كتب ختي بن دواوف تعاليمه لابنه تاركاً له حرية الإرادة و الاختيار، حيث بيّن له أهمية الكتابة و مكانة الكاتب و المتعلم و ما يكابده أصحاب المهن الأخرى .

وكالعادة يبدأ هذا الحكيم التعاليم بذكر اسمه وابنه الذي من أجله كتبت هذه التعاليم، تعاليم ألفها مسافر في حجرة السفينة اسمه ختي بن دواوف لابنه بيبي، حينما سافر مصعداً في النهر إلى عاصمة الملك ليلحق ابنه بالمدرسة بين أبناء الحكام، بعد ذلك يبدأ ختي تعاليمه بعرض الصورة القبيحة للجاهل، ثم يغريه بمحبة العلم فيقول له: **"لقد رأيت من ضُرب، فعليك أن توجه قلبك لقراءة الكتب ولقد شاهدت من أعتق من الأشغال الشاقة، تأمل لا شيء يفوق الكتب."**[٢]



شكل 6

إذاً هي موازنة يعقدها ختي لابنه بين من يعمل أعمال عادية شاقة، وبين من يتعلم ويحصن نفسه بالعلم، فهو ذو مكانة مرموقة، مكانه في حضرة

---

(١) حسن: مرجع سابق، ص٢١٩.
(٢) حسن:المرجع نفسه،ص٢٢٠.

الملك، ولن يكون في حاجة إلى المال فهو بمكانته يخصص له الهبات من موارد الدولة ، ويتابع قائلاً:

" إن الرجل الذي يعمل على حسب عقل غيره لا ينجح، ليتني أجعلك تحب الكتب أكثر من والدتك، وليت في مقدوري أن أظهر جمالها أمام وجهك، أنها أعظم من أي حرفة وإذا أخذ التلميذ في سبيل النجاح وهو لم يزل طفلاً، فإن الناس تهنئه ويكلف بتنفيذ الأوامر ولا يعود إلى البيت ليرتدي ثوب العمل مثل أرباب المهن الأخرى"(١).

هنا ينهي ختي الوصف الجميل لمكانة العلم وقيمته، ويتجه إلى إحداث موازنة دقيقة بين من يتعلم وبين من يمتهن الحرف الأخرى، مبيناً مشاق هذه الحرف وصعوبتها وأحوال من يزاولها وهنا نلمس حب المصري القديم لقيمة أخرى وهي النظافة والاشمئزاز من كل مهنة تلوث صاحبها بالقذارة يقول:

"دعني أحدثك فضلاً عن ذلك عن البناء الذي يكون غالباً مريضاً وملابسه قذرة ويغسل نفسه مرة واحدة "(٢).

أما صانع المعدن:

"فقد رأيته يقوم بعمله الشاق، أصابعه كجلد التمساح هي مجعدة ويابسة ورائحتها أكثر كراهية من رائحة البيض والسمك "(٣).

من المعروف أن رائحة البيض والسمك خاصة في فصل الصيف كريهة لا يمكن احتمالها، بعد ذلك يصور ختي حال الخراط فيقول:

" وكل صانع يقبض بمهارة على المخرطة فإن الإعياء يناله أكثر ممن يفلح الأرض وميدانه الخشب وفأسه المخرطة، وفي الليل حينما يُطلق سراحه، يعمل فوق طاقة ساعديه، وفي الليل يشعل النور"(٤).

إذاً هو يعمل دائماً حتى في الليل عندا تخلد الناس إلى الراحة والنوم هو لا يرتاح ولا ينام إلا القليل ويكون ما حصله القليل أيضاً.

---

(١) حسن: المرجع نفسه، ص٢١٢.
(٢) إيمان أبو بكر: النظافة في الحياة اليومية عند المصريين القدماء، الطبعة الأولى، القاهرة ، ١٩٩٩م، ص١٨.
(٣) حسن: مرجع سابق، ص٢٢١.
(٤) حسن : المرجع نفسه، ص٢٢٢.

"ليس الحلاق بأفضل حال فهو يضل يحلق حتى وقت متأخر من المساء وهو ينتقل من شارع إلى شارع باحثاً عمن يحلق له، وهو ينهك ذراعيه من أجل لقمة عيش يملأ بها بطنه كالنحلة التي تأكل وهي تعمل. أما التاجر يسافر إلى الدلتا ليحصل على ثمن بضاعته ويعمل فوق طاقته في حين يقتله البعوض. وضارب الطوب من طمي النيل يقضي حياته بين الماشية ملابسه خشنة جامدة وهو يعمل بقدميه (حافياً) أما البستاني فيحمل أثقالاً وذراعيه ورقبته تتألمان تحتها وفي الصباح يروي الكراث وفي المساء الكروم وبالتالي حرفته أسوء حرفة وليس الفلاح بأفضل حال من البستاني فهو مدان إلى الأبد لصاحب الأرض وصوته أعلى من صوت الطائر (آبو) فهو دائماً يشكو من الجوع والفقر وهو في غالب الأوقات مريض وعندما يعود في المساء إلى بيته يكون قد نال منه التعب ومزقه المشي إرباً إرباً ، أما النساج فإن وضعه أسوأ من أمر النساء اللاتي يجلسن في المنزل ، ففخذاه تكونان على بطنه فلا يستطيع استنشاق الهواء وهو يعطي حارس الباب خبزاً ليمكنه من الخروج في ضوء النهار وصانع السهام ليس بالحال الأفضل فهو يخرج للصحراء ويعطي لحماره أكثر مما يأخذ هو وعندما يعود أدراجه إلى المنزل يكون التعب قد هد قواه "[1].

بعد هذا العرض المُفصل من قبل ختي لمساوئ هذه المهن، يعود ويرغب ابنه بمهنة الكتابة والتعليم ويقول له:

"إن يوماً بالمدرسة لهو الأجدى لك وإن أعمالها (أي علومها) لتُخلد إلى الأبد خلود الجبال"[2].

ويحاول ختي لفت نظر ولده إلى قيم أخرى إلى جانب مهنة التعلم وهي حسن السلوك والمعاملة الطيبة يقول له:

"إذا دخلت ورب المنزل في داره مشغول بآخر قبلك فعليك أن تجلس ويدك على فمك ولا تسألن عن أي شيء وفضلاً عن ذلك لا تتكلمن

---

(1) كمال: مرجع سابق، ص٦٢.
(2) عبد العزيز صالح: التربية والتعليم في مصر القديمة، القاهرة ١٩٦٦م، ص ١٦٥.

بكلمات غامضة ولا تنطق بلفظة وقحة[1]، وإذا أرسلك عظيم برسالة فنقلها وبلغها كما نطق بها ولا تنقص منها شيء ولا تضيف إليها جديداً وأقتنع بطعامك، فإذا أكلت ثلاثة أرغفة وشربت قدرين من الجعة ولم تكتفي فقاوم ذلك الشعور"[2].

وينهي ختي تعاليمه بهذه العبارات :

" ما من كاتب ينقصه الزاد الوفير، وأن الإلهة لترعاه وتضعه على رأس هيئة الموظفين، انظر فإن هذا الذي أنصحك به هو ما أضعه أمامك وأمام أولاد أولادك[3].

---

(1) حسن: مرجع سابق، ص٢٢٧.
(2) حسن:المرجع نفسه،ص٦٤.
(3) كمال: مرجع سابق، ص٦٤.

د- تعاليم آني:

تعود هذه التعاليم إلى الدولة المصرية الحديثة (١٥٧٥-١٠٨٧ق م) ولكنها في الوقت نفسه تعد امتداداً لتعاليم و حكم الدولتين القديمة و الوسطى، وصلت إلينا هذه التعاليم في كتابين تسمى (حكم آني) الكتاب الأول مكتوب على ورق البردي ومنه نسخة بمتحف القاهرة (بردية بولاق رقم ١٧) ومنه نسختان ضمن برديات شستر بيتي السابعة (نموذج رقم ١٠٦٨٥) والكتاب الثاني مدون على شقفة الأستراكا بالمتحف البريطاني نموذج ٤١٥٤١ ويعود الكتابان إلى السلك الكهنوتي، فآنى كان من هيئة المعبد الجنزيّ للملكة نفرتيتي(الأسرة الثامنة عشر ١٣٦٧-١٣٥٠ق م) و قد كتبت هذه التعاليم في المعبد المعروف باسم (**بيت الحياة**) الذي كان عبارة عن مؤسسة دينية لها علاقة بالمعابد المصرية و فيه كانت المؤلفات الدينية والزمنية تؤلف ثم تنسخ[١]، ومن هذه التعاليم أيضا يوجد نسخة محفوظة في المتحف المصري بالقاهرة أنما يرجع تاريخها إلى عهد الأسرة الثانية والعشرين، ويبدو أن التلميذ الذي قام بنسخها ونقلها عن أصل أقدم عهداً لم يفهم الكثير من محتويات الكتاب فوقع في أخطاء عدة في كتابة معظم الكلمات ، بحيث جاءت جمل بأكملها مضطربة لا يستطع فهمها وبالتالي ترجمتها ، وقد جاءت المقدمة لهذه التعاليم على الشكل التالي (فاتحة تعاليم النصح (أي مقدمة التعاليم الوعظية) التي ألفها الكاتب (آني) الذي ينتسب إلى بيت نفر (كا - رع - نزي) وهذا الاسم الأخير يذكرنا باسم مشابه لملك من أواخر الدولة القديمة ويجعلنا نفترض أن مؤلف الكتاب أراد أن يرجع هذا الحكيم إلى ذلك العهد بالرغم من أنه أعطاه هو وابنه أسماء خاصة بالدولة الحديثة.

يبدأ الحكيم آني تعاليمه لتلميذه خونسو حتب مبيناً ما تحمله هذه التعاليم من فوائد إذا اتبعها فيقول:

" إني مخبرك بكل فاضل ، وبما يجب أن تعيه في لبك فاعمل به وبذلك تكون محموداً ويبتعد عنك كل شر وسيقال عنك أنك على خلق عظيم ولن يقال إنك بليد"[٢].

ويتابع هذا الحكيم مردفاً النصيحة الأولى بعدة نصائح من يطلع عليها يدرك أنها جاءت أكمالاً لمسيرة الحكماء القدماء أمثال بتاح حتب، كما أنها حملت في كثير من الأحيان نفس المفردات وهذا تأكيداً على أن الحكماء استمروا في المحافظة على روح الاحترام لأسمى المثل العليا العملية، نتابع في أبرز ما جاء من تعاليم لهذا

---

(١) جيمز:مرجع سابق ، ص١٣٠.
(٢) حسن: مرجع سابق، ص٢٣٣.

الحكيم، فهو ينصح تلميذه بأن يتخذ لنفسه زوجة وهو لا يزال في ريعان الشباب ليكون له خلف صالح يسعد بهم ويربيهم في حياته فيقول :

"اتخذ لنفسك زوجة وأنت لا تزال شاباً لتنجب لك ولداً ويجب أن تنجبه لك وأنت لا تزال صغير السن ويجب أن تعيش لتراه قد صار رجلاً فما أسعد الرجل كثير النسل فهو يحترم بسبب أولاده"[1].

ولا شك أن الحكيم لا يقصد فقط بالزواج المبكر هو إنجاب الأطفال وإنما الزوج المبكر يحصن الشباب ويبعدهم عن الوقوع في الخطأ والزلل، يحذر الحكيم تلميذه من النساء الأجنبيات يقول له:

" احذر المرأة الغريبة(غير الزوجة) التي لا تُعرف في بلدتها، المرأة عندما تكون بعيدة عن الأعين تقف أمامك لتوقعك في أحابيلها، يا لعظم الجريمة التي تستحق الموت، عندما يرتكبها الإنسان ولو لم يعلم بذلك، لأن الإنسان يسهل عليه بعد ارتكاب هذه الخطيئة أن يرتكب كل خطيئة"[2]

ويستمر الحكيم بوصاياه في نطاق الحياة الاجتماعية حيث يذكر تلميذه بأصول الزيارة وآدابها يقول له:

" لا تكن سليطاً ولا متطفلاً ولا تدخل بيت غيرك ، وعندما تكون في منزل أناس آخرين وترى عينيك شيئاً فألزم الصمت ولا تبح به لأي شخص كان في الخارج حتى لا تكون لك جريمة كبرى عندما يصل أمره إلى الأسماع"[3].

كما يوصي الحكيم تلميذه بتجنب كثرة الكلام ففي ذلك الهلاك المؤكد يقول :

"لا تكثر من الكلام فالصمت خير لك ولذلك فلا تتحدث لا تكن ثرثاراً وكن قبل كل شيء حريصاً في كلامك إذ أن هلاك المرء لسانه ، أن جسم الإنسان أوسع من مخزن الغلال وهو مليء بجميع أنواع الإجابات فاختر منها إجابة جيدة وقلها واحتفظ بالخبيث منها حبيساً في جسمك، ولا تنسى ذكر الإله وقدم له القرابين دائماً، بيت الإله يدنسه الصخب، ادع

---

(1) حسن: المرجع نفسه، ص٢٣٣.
(2) برستد: مرجع سابق، ص٣٤٤.
(3) كمال: مرجع سابق، ص٨٩.

بقلب ودود ربك ذا الكلمات الخفية، فيُنجز ما تطلب ويسمع ما تقول ويقبل ما تقرب، اعرف قيم الإله واحترم اسمه وقدم قربانك له ولا تتعدى على حقوقه"[1].

وبما أن رضا الوالدين من رضاء الرب فالحكيم يوصي تلميذه بطاعة الوالدين والبر بهم والترحم عليهم:

" لا تهمل الترحم على والديك وتحر لهما أعمال الخير والبر أكثرها نفعاً، وأرجأها قبولاً ومتى قمت لهم بهذا الواجب قام به لك ولدك"[2].

ولا تنسى أن تعامل زوجتك معاملة طيبة ولطيفة:

"إذا كانت زوجتك كاملة مدبرة فلا تعاملها بالخشونة والغلظة وراقب أطوارها لتكشف أحوالها ولا تتسرع معها في الغضب لئلا تزرع الشقاق والنزاع في بيتك فتكون ثمرتها التنغيص فإن كثيراً من الناس يضعون أساس الخراب في بيوتهم لجهلهم حقوق المرأة"[3].

كما ينبه الحكيم ابنه إلى ضرورة الابتعاد عن المعاصي والفواحش لأنها طريق الهلاك وخاصة ما يذهب العقل ويجعل الإنسان يتصرف دون رادع أخلاقي يقول:

" لا تفرط في شرب قدر كبير من الجعة فأنت إذا تكلمت عبارة غير التي تريدها سقطت وساعتها لا أحد يمد لك يد العون ويقوم رفاقك ويقولون ألا بعدا لهذا الأحمق وإذا جاء من يبحث عنك ليستجوبك فإنهم يجدونك على الأرض ملقى مثل طفل صغير"[4].

ويقدم الحكيم لتلميذه نصيحة تجنبه الوقوع في الخطأ وذلك باختيار الأصدقاء الذين يسددون خطاه ويمنعوه إذا أخطأ يقول:

" ابتعد عن الرجل الشرير ولا تتخذ منه صديقاً وتخير أخوانك بعد أن تبلوهم وتتحقق من صدقهم واستقامتهم وتجنب من كان سيء السيرة"[5]

---

(1) كمال: المرجع نفسه، ص٩٠.

(2) الماجدي:مرجع سابق،ص٢٩٦.

(3) الماجدي: المرجع نفسه، ص٢٩٦.

(4) كمال:مرجع سابق،ص٩١.

(5) كمال: المرجع نفسه، ص٩٢.

ينتقل بعد ذلك (آني) إلى موضوع المعرفة ومكانتها في المجتمع ويبدأ بمهنة الكاتب وسموها فيقول:

"إذا كنت ماهراً في الكتابة فإن الناس أجمع يفعلون ما تقوله. إذاً خصص نفسك للكتب وضعها في لبك وبذلك يكون كل ما تقوله ممتازاً فكل وظيفة يعين فيها الكاتب فإنه لابد أن يستشير فيها الكتب وبذلك يلازمه النجاح "[1]

بعد ذلك يبتعد الحكيم بنصائحه عن الحياة الاجتماعية إلى الحياة العملية السياسية حيث يذكر تلميذه بالطريق القويم في معاملة الرؤساء:

"لا تجب رئيساً وهو غاضب، بل ابتعد عن طريقه وإذا خاطب شخصاً بألفاظ جارحاً فخاطبه بكلام عذب وسكن من ثورته فالإجابة المثيرة للنزاع ضرب السياط، فإذا مرت ساعة غضبه فإن الرئيس سيتجه إليك ويثني عليك لأن كلماتك المهدئة قد استوعبها القلب"[2].

كما يحض (آني) تلميذه للعمل باجتهاد ويقول له:

"كن مجتهداً لأن الرجل الذي يضل عاطلاً خاملاً لا يكون شيئاً"[3]

بعد أن انتهى (آني) من توجيه نصائحه **إلى** تلميذه، رد التلميذ قائلاً**:**

"آه يا ليتني مثلك حتى أعمل حسب تعاليمك وحتى أرقى إلى مرتبتك ، إنك رجل صاحب مطامح عالية فكل كلماتك مختارة تريح قلبي ويستوعبها قلبي ويفرح بها فؤادي"[4].

إن هذه الخاتمة التي انتهت بها التعاليم دليلاً قاطعاً على استمرار المصري القديم في تلقين القيم الأخلاقية كما أنها تثبت رغبة المتلقي بها.

---

[1] حسن: مرجع سابق، ص٢٣٦.

[2] كمال:مرجع سابق،ص٩٥

[3] كمال: المرجع نفسه، ص٩٥.

[4] حسن: مرجع سابق، ص٢٤٠.

هـ - تعاليم أمنحوتب الرابع (أخناتون ١٣٦٧-١٣٥٠)ق م:

اعتلى أمنحوتب عرش مصر زمن الدولة المصرية الحديثة الأسرة الثامنة عشر (١٣٦٧-١٣٥٠)ق .م وتعد هذه التعاليم من التعاليم الأخلاقية الهامة لأنها تناولت الوحدانية لإله واحد وقد سبقت في ذلك كل الديانات السماوية، حيث يقول أمنحوتب الرابع (أخناتون) مخاطباً الإله:

(أنت واحد .... ولا إله غيرك ... ولا شريك لك في ملكك)[1]

هذا الاعتراف كان أول صيحة إنسانية رسمية شاملة تنادي بوحدانية الإله خالق كل شيء ، حيث اتسع الأفق الديني مترافقاً مع تطور كبير في القيم الأخلاقية حتى أصبح الضمير هو الإيحاء الإلهي الحق، وقد حدث تطور أخلاقي عرف بظهور أول عقيدة للتوحيد في التاريخ لا شك أننا نقصد في ذلك اخناتون ذلك الفيلسوف الشاعر الذي كان يرى الإله في القوى المجردة الخفية التي خلقت كل موجود في هذا الوجود والتي ترزق الفرخ بداخل البيضة وترزق الجنين في بطن أمه وتبعث الحياة في قلب البذرة فيخرج النبات من جوف الأرض.



شكل 7

لقد اشتملت تعاليم هذا الحكيم على مجموعة كبيرة من القيم الأخلاقية كان في مقدمتها التوحيد وقد كان الغرض الأساسي منها أحساس هذا الحكيم بالخداع الكبير الذي كان يمثله الكهنة على أفراد المجتمع المصري فقد أدعوا هؤلاء أنهم حلقة الوصل بين الإنسان وبين الإله وان على الإنسان إرضائهم حتى يتوسطوا له عند الإله طالبين له الرحمة والمغفرة، لقد أعلن أخناتون أن جميع المخلوقات يمكنها أن تعبد الإله الواحد دون أية وساطة من الكهنة أو رجال الدين[2]، كما أكدت هذه الديانة على عبادة إله واحد وحرمت في الوقت نفسه عبادة آلهة أخرى إلى جانبه.

---

(1) مختار السويفي: أم الحضارات، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٦، ص١٠٤.
(2) السويفي:المرجع نفسه، ص١٠٥.

كما احتوت هذه التعاليم على قيم أخلاقية أخرى منها المناداة بالماعت التي كانت تعني الصدق العدل والحقيقة(1)، لقد كان أخناتون العظيم شغوفاً، أشد الشغف بالصدق قولاً وفعلاً، ويبدو ذلك من أقواله:

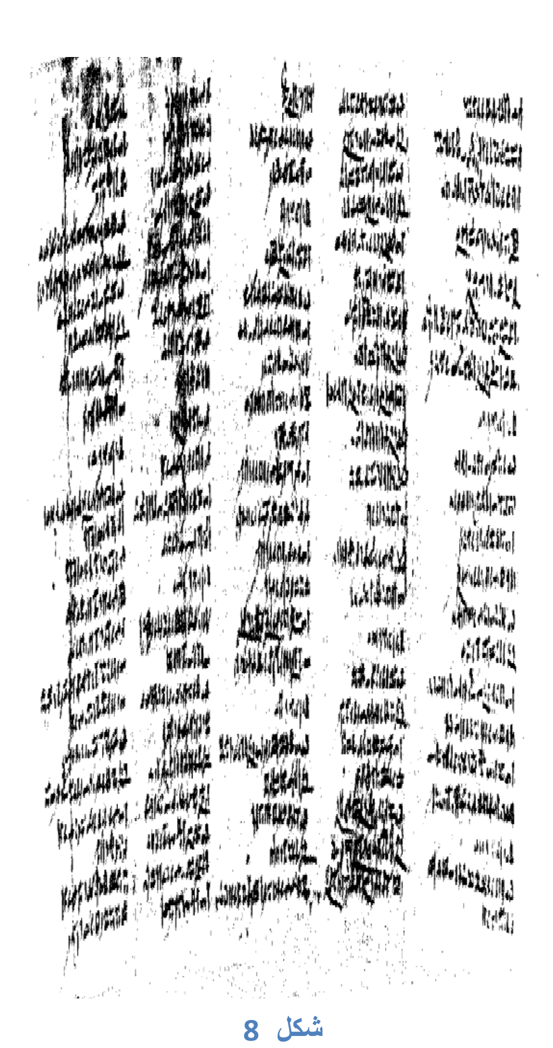
"أنني أعيش على الصدق وأتزود من صدق أو عدالة قلبي "(2).

ولم يكتف هذا الحكيم بالأقوال فقط وإنما لقن تعاليمه من خلال تصرفاته فهو عطوف في المعاملة مع أسرته فقد رسم نفسه في عدة مناظر مرافق أطفاله وزوجته وبناته و كأنه كاتب صغير في معبد آتون يرعاهم ويعاملهم برفق وبدون تكليف، كما احتوت هذه التعاليم على صورة جميلة جداً لم تذكر في أي من تعاليم الحكماء المصريين وهي محاربة التفرقة العنصرية يقول الحكيم: **"خلقت بلاد خارو(الشام) وكوش (السودان)وأرض مصر"**. ، وذلك أن الداعية العظيم لم يجد أي حرج في أن يذكر اسم مصر العظيمة ،بعد ذكره اسم الشام والسودان وهما من موالي مصر مادام الخالق الرازق واحداً رحيماً هنا ورحيماً هناك، خلق الجميع على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ومواطنهم وتكفل برزقهم، وكان معجزاً حين وهب مصر فيضاناً من جوف السماء(3). ولم يقتصر دعائه في طلب الرحمة على البشر بل تعدى ذلك إلى الحيوان (الأسماك في البحار والوحوش في الأدغال والزواحف في جحورها) وإلى النبات(4). إن هذه التعاليم تثبت لنا مدى التطور الكبير للقيم الأخلاقية لدرجة الوحدانية التي عرفتها كل الديانات السماوية لاحقاً، كما أن القيم الأخلاقية لم تبقى مقتصرة على معاملة الإنسان بالأخلاق الحسنة بل تعدى ذلك إلى الرفق بالحيوان و النبات و الذي قلما نجد له مثيلاً في أيامنا هذه.

---

(1) أحمد: دراسات في تاريخ مصر الفرعونية،مرجع سابق ، ص١٩٠.
(2) محمد بيومي مهران: الحضارة المصرية القديمة ، الجزء لأول، جامعة الاسكندرية، ١٩٨٩م، ص١٦٩.
(3) مهران:المرجع نفسه، ص١٦٣.
(4) أحمد : دراسات في تاريخ مصر الفرعونية، مرجع سابق ، ص١٩٠.

و- تعاليم وحكم أمنمؤبي:



شكل 8

عاش الحكيم أمنمؤبي وكتب تعاليمه في عصر الدولة الحديثة وتحديداً ما بين الأسرة الحادية والعشرين والثانية والعشرين، بين عامي(١٠٨٧-٩٤٥ق.م) أي في القرن العاشر و الحادي عشر ق.م، وقد حظيت هذه التعاليم بأهمية كبيرة لما فيها من عمق ديني كبير كما أنها تنفذ إلى الأعماق بدرجة تفوق بها من سبقها من تعاليم الحكماء، فإذا كانت التقوى في نظر أصحاب الحكمة الآخرين تعد فضيلة وإن فكرة الموت والخلود الأبدي قوة دافعة للمرء على السلوك الفاضل، وإن الإله وحده هو الذي يمنح الغنى والحظ، في حين تجد أن الشعور بالخضوع للإله الواحد الأحد هو في نظر أمنمؤبي العامل الفاصل في كل تصوراته عن الحياة() ولذلك كان أمنمؤبي يتمسك أمام ابنه دائماً بهذه النظرة إلى الحياة الدنيا في المعاملات الشخصية والرسمية، مع الشعور التام بتلك المسئولية أمام الإله في كل حين ومما يزيد في أهمية تلك التعاليم ووصولها إلى هذه القمة من تقدير الضمير والإحساس برقابة الإله أن قسماً هاماً من هذه التعاليم قد وجد سبيله إلى كتاب العهد القديم.

وجدت تعاليم هذا الحكيم مكتوبة على ورقة البردي، وهي محفوظة في المتحف البريطاني، وتعد هذه البردية أكثر ترتيباً من البرديات التي من نوعها فقد قسمت بنظام إلى ثلاثين فصلاً وكل فصل منها خاص بموضوع معين وتبدو مقسمة إلى مقطوعات كل منها يشتمل على أربعة أسطر أو ستة أو ثمانية، كما توجد بعض مقطوعاتها مؤلفة من سطرين فقط. يبدأ الحكيم أمنمؤبي تعاليمه لابنه الذي سوف ينخرط في سلك الوظائف الحكومية المصرية بأن يحذر الاستسلام لمغريات وشرور

() عزت السعدني: فجر الضمير المصري، القاهرة ٢٠٠٧م، ص١٤.

الدنيا ويبدو أن الوظيفة التي كان سيشغلها هذا الابن مخططاً للأرض يعني (قياس) يقول له:

" لا تزحزحن الحد الفاصل الذي يفصل بين الحقول ولا تكن جشعاً

من أجل ذراع من ارض ولا تتعدين على حد أرملة.....

أتعرف من يفعل ذلك بيته عدواً للبلد وأرضه تخرب

وأملاكه تؤخذ من أيدي أطفاله ومتاعه يعطى لغيره"(1).

كما ينصح ابنه بمراعاة الأمانة في السجلات المالية يقول له:

" وخير لك المدح تناله كفرد يحبه الناس من الثروة المجموعة في الخزائن "(2).

وذلك لأن الغنى مع الضمير الشاعر بالذنب لا قيمة له:

"ما فائدة الملابس الجميلة إذا كان الإنسان باغياً أمام الإله؟ "(3).

ولما كان موظفو بيت المال عند المصريين القدماء لهم علاقة كبيرة بالموازيين والمكاييل فقد أهتم بها أمنمؤبي كثيراً، حيث يقول لابنه:

"لا تجعلن إحدى كفتي الميزان تحيد غشاً ولا تعبث بالموازين

ولا تنقص من عدد مكاييل القمح"(4).

ويتابع الحكيم تعاليمه وينصح ابنه أن يكون حليماً حكيماً صبوراً ويجري له موازنة في المصير بين الرجل الأحمق والرجل الحليم، هي غاية في الروعة يشبه الأول بشجرة نبتت في غابة تفقد خضرتها في لحظة ويكون مصيرها مرفأ الأخشاب والثاني بشجرة باسقة في حديقة تنمو يانعة ثمرها حلو وظلها ظليل وينتهي مصيرها في الحديقة يقول له :

"إن الرجل الأحمق الذي يخدم في المعبد مثله

كمثل شجرة نامية في الغابة في لحظة يفقد

(1) السعدني: المرجع نفسه، ص١٦.
(2) برستد:مرجع سابق،ص٣٤٨.
(3) برستد:المرجع نفسه،ص٣٤٨.
(4) برستد: المرجع نفسه، ص٣٤٨.

أعصابه ويكون مصيره إلى مرفأ الأخشاب

وينقل بعيداً عن مكانه والنار مثواه

أما الرجل الحازم حقاً الذي يضع نفسه

جانباً فمثله كمثل شجرة باسقة في الحديقة

يفلح وتتضاعف ثمرته ويثمر في حضرة سيده

فضله وارف وثمرته أكلها حلو ويجد في الحديقة مصيره"(١)

ويتابع الحكيم نصائحه لابنه فلم يكن الاهتمام بالسجلات المالية فقط محط اهتمام هذا الحكيم فقد وجد خطأً موازياً بالأهمية لذلك وهو الاهتمام بالمعاملات الشرعية والتقاضي أمام المحكمة حيث يقول:

"لا تجبرنّ رجلاً على الذهاب أمام المحكمة

لأنك لن تجعل العدالة تلتوي

فلا يتجه وجهك نحو الملابس البراقة

بينما تطرد من تكون ملابسه قذرة بالية

لا تأخذن العطايا من القوي

ولا تضطهدن الضعيف من أجله

فالعدالة هبة عظيمة من الإله يهبها من يشاء

فقوى من كان مثل الإله ينجي المكتئب من الضربات القاضية

أعطي المتاع لأصحابه وبذلك تُعطى لنفسك الحياة "(٢)

---

(١) سعفان : مرجع سابق، ص٢٥٦.

(٢) برستد: مرجع سابق،ص٣٤٩.

ولا ينسى الحكيم أن يوصي ولده بحسن المعاملة فالمعاملة الحسنة رأس الحكمة والأخلاق يقول:

لا تضر رجلاً بجرة قلم على ورقة

لأن ذلك يمقته الإله ولا تشهد زوراً

ولا تستعمل قلمك في الباطل وإذا وجدت فقيراً

عليه ديناً كثيراً فسامحه في ثلثيه وخذ الثلث

ونم بعد ذلك نوماً عميقاً فإذا أتى الصباح

فستجد كل ما فعلته على ألسنة الناس

أن حب الناس ومدحهم للإنسان خير من الثروة

التي في المخازن وخير للإنسان أن يأكل

الخبز وقلبه سعيد من الثراء الذي يصحبه النكد"[1]

وتظهر الرقة والعطف في وصايا هذا الحكيم اتجاه من قدر الإله عليهم بعلة يقول:

" لا تستهين من رجل أعمى

ولا تهزأن بقزم

ولا تستهزئن برجل يكون في يد الإله

ولا تقسون عليه عندما يبغي

فالبشر من طين وقش والإله خالقهم"[2]

ويحذر الحكيم ابنه من حب الثروة ومتاع الدنيا وخاصة إذا جاءت بطرق غير مشروعة فهي لن تدوم طويلاً وكما جاءت ستذهب:

"لا تدعنّ قلبك يجري وراء الثروة ولا تجهدن نفسك

---

(1) كمال:مرجع سابق،ص ١١٨.
(2) الشرقاوي، مرجع سابق،ص٤٢.

في طلب المزيد عندما تكون قد حصلت على حاجتك

وإذا جاءتك الثروة عن طريق السرقة فإنها لا تمكث

عندك زمن الليل فحينما ينبلج الصباح لا تكون في بيتك

لأنها تكون قد صنعت لنفسها أجنحة مثل الإوز وصعدت إلى السماء"(١)

إن الكلام الرزين والأخلاق السلسة تعتبران من الأمور الهامة في نظر أمنمؤبي كما أن التهديدات الصاخبة الجوفاء لا يقوم لها وزن أمام تدابير الإله ضد أعدائنا :

" لا تقولنّ لقد وجدت رئيساً قوياً

والآن يمكنني أن أهاجم رجلاً في المدينة

ولا تقولنّ لقد وجدت رجلاً حامياً

والآن يمكنني أن أهاجم الرجل الممقوت

فالحقيقة أنك لا تعلم تدبير الإله

وأنك لا تدرك الغد

ضع نفسك بين يدي الإله

إلى أن يهزمهم صمتك "(٢).

يستمر الحكيم في نصائحه حاضاً ابنه على الابتعاد عن الصراحة الخارجة عن الحد بل أنه يعود كثيراً فيحذره من هذه العادة الخطرة في كل ما قاله من ذلك يقول:

" إذا سمعت خيراً أو شراً فاتركه وراءك غير مسموع

وضع الكلام الحسن على لسانك وأما الكلام السيئ فأبقه مخفياً في جوفك"(٣)

ويرى أمنمؤبي بأن الاعتماد على الموارد الدنيوية الزائلة لا يجدي نفعاً وأن الضمان الوحيد لذلك هو الإله فيجب أن نعبده وبذلك ننجو من الخوف وعلى هذا فإن راحة

---

(١) سعفان : مرجع سابق، ص٢٥٦.
(٢) برستد: مرجع سابق، ص٣٥٠.
(٣) برستد: المرجع نفسه، ص٣٥٠.

البال والتخلص من الخوف يمكن الحصول عليهما بالاعتماد على الإله وحده فقط وعلى ذلك نجد الحكيم المصري القديم يقول في أنبل فقرة من نصائحه لابنه :

" لا تنم في الليل وأنت خائف من الغد

لأننا لا ندري عندما ينبثق الفجر ماذا يكون

عليه الحال في الغد؟

فالإنسان لا يعلم ما سيكون عليه الغد

الإله في كماله

والإنسان في عجزه

والكلمات التي يتكلمها الناس تختلف في اتجاهها

على حين أن أعمال الإله مختلفة الاتجاه

لا تقولن لست أحمل الخطيئة

ولا تجهدن نفسك في إثارة النزاع

أما لخطيئة فأمرها عند الإله

وهو الذي يختمها بأصبعه

وليس في يد الإله إنسان كامل

ولا يقف العجز حائلاً أمامه

فإذا أجهد الإنسان نفسه ليصل إلى الكمال

فإنه في لحظة يهدم نفسه.

كن رزيناً في عقلك وثبت قلبك

ولا تجعلنّ من لسانك سكانا

فإن لسان الإنسان كسكان السفينة

فإن رب الجميع هو ربانـها"[1]

ويتحدث بعد ذلك الحكيم عن آداب الحديث وفضيلة الصمت مبيناً ما تجره عاقبة كثرة الكلام على صاحبها من متاعب يقول:

"إنك لا تعرف تدابير الإله ولا تعرف

ما يأتي به الغد فأجلس بين يدي الإله

وبالحلم ستتغلب على الجميع

إن التمساح الصامت يحدث الفزع

الشديد في النفوس

لا تفضي بسرك لإنسان ولا تذع أقوالك لآخرين

إن الرجل الذي يحتفظ بأخباره في قرارة نفسه

خير من الذي يفشيها فيصيبه الضرر"[2].

وفي أدب المناقشة يقول الحكيم لابنه :

"لا تتآمر ضد زميلك في المحاورة

بل أنظر ما يفعل ومن جوابه سوف تفهم

وكن هادئاً وعند إذ تأتي معرفتك

ودعه حتى يفرغ ما في قرارة نفسه

وخفه ولكن لا تهمله

أنك لا تعرف تدابير الإله ولا ما يأتي به الغد

أجلس بين يدي الإله"[3]

---

(1) برستد: المرجع نفسه، ص٣٥٥.

(2) كمال: مرجع سابق، ص١٢٣.

(3) كمال: المرجع نفسه، ص١٢٣.

ويوصي الحكيم ابنه بحسن معاملة الآخرين وخاصة من هم أكبر منه سناً وخاصة في الأماكن العامة يقول له:

" لا تجلس في بيت الجعة

ولا تخالط من أكبر منك مقاماً

مهما كان صغيراً في السن فإنه عظيم في المرتبة

ولكن إذا رأيت رجلاً أعظم منك في الخارج

وله أتباع وراءه تقدم له باحترام

مد يد المساعدة للرجل المسن

واحترمه كما يحترمه أولاده"(١)

ويختم الحكيم أقواله بهذه العبارات التي يرشد فيها ابنه إلى التمسك بما جاء في وصاياه فالنجاح حليفه إن فعل، والخيبة والفشل حليفه إن ترك، يقول الحكيم:

" تأمل هذه التعاليم ففيها متعة وتعليم يفوقان ما في الكتب جميعاً

فهي تعلم الجاهل وتطهر نفسه من الخبائث فاستوعبها وضعها في قلبك

لتكون بها عليماً ولأمرها عارفاً

فأن الكاتب المدرب في مهنته يجد نفسه أهلاً لأن يكون من رجال البلاط

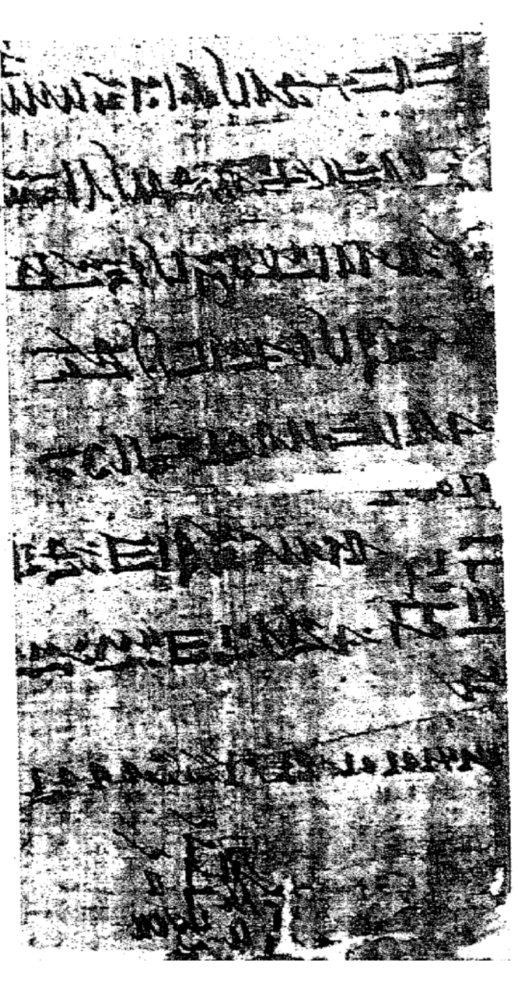
وهذه هي نهاية المقال"(٢)

نستطيع القول أن تعاليم الحكيم أمنمئوبي كانت شاملة لكل نواحي الحياة الأخلاقية الفاضلة التي يجب على المرء التحلي و التمسك بها، كما نلاحظ التمسك الشديد بضرورة الإخلاص لإله واحد و بالتالي (الوحدانية)التي خلصت إليها كل الأديان السماوية فيما بعد .

(١) حسن : مرجع سابق، ص٢٧٢.
(٢) كمال: مرجع سابق، ص١٢٧.

٣ـالقيم الأخلاقية من خلال الدور الشعبي:

أـ قصة الفلاح الفصيح



شكل 9

تعد البردية التي تحوي قصة الفلاح الفصيح قطعة أدبية ذات هدف سام أحسن فيها كاتبها اختيار تعابيرها وصيغها، وإذا كان هناك من عنوان يمكن أن يطلق عليها يكون (موجزاً عن الماعت)[1] وقد لاقت هذه القصة اهتماماً واسعاً من كل دارسي الفكر والأدب و التاريخ المصري، نظراً لأنها تعبر عن الأوضاع المصرية في ذلك العصر الذي كتبت فيه وتعكس صورة المعاناة التي ألمت بالناس في تلك الفترة ومدى الصراع الذي اعتمل في نفوس المصريين بين الحفاظ على الهوية الحضارية المتمثلة في تقديس الماعت (الحق والعدل) وبين سيادة الاضطراب والفوضى[2]، كما تعد هذه القصة أول صيحة في سبيل العدالة الاجتماعية في مصر القديمة وفي تاريخ البشرية أجمع ولا شك أن معانيها النبيلة هي ما كان يسعى الشعب برمته لتحقيقها .

تتألف هذه القصة من مقدمة وتسع شكاوي في موضوع واحد هو الحث على العدل وإعطاء الفقير حقه وحمايته من الغني الطامع، وأن يكون الحاكم سياجاً وملجأ للمظلوم ويخشى من عقاب الإله إذا انحرف عن الطريق السوي[3].

(1) اسمان:مرجع سابق ، ص٣٣.
(2) النشار: مرجع سابق، ص٨٧.
(3) المرزوقي: مرجع سابق، ص١٥٣.

تبدأ القصة أحداثها عندما يقرر فلاحاً اسمه **خوان انبو** من أهالي إقليم الفيوم في منطقة وادي النطرون الواقعة في الصحراء الغربية في مصر، والذي كان يقطن قرية تسمى حقل الملح، حيث وجد أن مخزن غلال أسرته قد أشرف على النفاذ ولم يبقى من الغلال ما يقيه شر الجوع، لذلك قرر أن يُحمل عدد من الحمير ببضاعة من قريته ويسير بها نحو مدينة اهناسيا الواقعة بالقرب من مدخل الفيوم يريد أن يستبدل بتلك البضاعة غلالاً.

لقد كانت الرحلة إلى اهناسيا تحتم على الفلاح خوان انبو المرور من طريق به منزل رجل يدعى **تحوتي ناخت** وهو موظف صغير من موظفي **رنزي بن مرو** الذي كان من الأشراف وكان يحمل لقب **(المدير العظيم لبيت فرعون)** وكانت بلده اهناسيا مقراً للملك[1].

عندما رأى تحوتي ناخت البضاعة المحملة على الحمير طمع بها وأراد الاستيلاء عليها، وهنا دبر الحيلة لذلك، حيث أمر أحد خدمه بإحضار قطعة كبيرة من القماش جعلها تفترش عرض الطريق كله وعلى جانبيه، عندما أقبل الفلاح بحميره طلب منه تحوتي ناخت أن لا تدوس حميره على القماش، ولم يجد هذا الفلاح من طريق سوى الانحراف نحو الحافة التي بها حقل الشعير، هنا نهره تحوتي ناخت سائلاً عما إذا كان يريد أن يجعل من حقل الشعير طريقاً لحميره فأجابه الفلاح بأنه لا يقصد سوءاً فالطريق مرتفعة وقد غطاها القماش ولم يعد هناك مكان يسير فيه إلا حقل الشعير، أثناء هذه المناقشة أكلت الحمير شيء من الشعير فصاح تحوتي ناخت قائلاً بأنه سوف يستولي على الحمير التي أكلت الشعير. هنا يعارضه الفلاح صارخاً :

هل من العدل أن تأخذ الحمير مقابل قبضة من الشعير ويردد الفلاح الاعتراضات التي تتسمم كلها بالاحترام ويضيف احتجاجاً جريئاً هو:

"إن طريقي مستقيم وجانب منه موصد ولما أسوق حميري بمحاذاة طرفه تستولي عليها لأنها قطفت قبضة من الشعير "[2].

إني أعرف رب هذه الضيعة فهي ملك (مدير البيت العظيم رنزي بن مرو) وأعرف أنه هو الذي يقضي على كل سارق ويعيد الحق لأصحابه فهل أسرق في ضيعته ؟

هنا تثور ثائرة تحوتي ناخت من جسارة ودفاع الفلاح عن بضاعته فيتناول قضيباً من الحطب الأخضر ويضرب فيه الفلاح دون رحمة ويسوق الحمير إلى منزله دون أن يكترث لصرخات الفلاح وتوسلاته، لم يطل التفكير بالفلاح كثيراً حتى يقرر

---

(1) برستد: مرجع سابق، ص١٩٥.
(2) المرزوقي: مرجع سابق، ص١٥٤.

التوجه إلى مدير البيت العظيم رنزي بن مرو وبث شكواه، وقد شجعه على ذلك ما أشتهر به رنزي بن مرو من إحقاق للحق وتطبيق للعدالة[1]، وبينما يقترب الفلاح من المكان المطلوب حيث إقامة رنزي بن مرو ولحسن حظه كان خارجاً من باب ضيعته الواقعة على النهر وهو يسير في طريقه للركوب في قاربه الرسمي في الترعة، استطاع الفلاح بما أوتي من حسن التصرف وبديع الكلام أن يجعل رنزي بن مرو يصغي إليه بعض اللحظات أثناء سيره اتجاه القارب، ثم كلف أحد خدمه ليسمع القصة من الفلاح كاملة، فلما رجع الخادم وأخبر رنزي بن مرو بما ارتكب تحوتي ناخت من سرقة وجد أنه من الضروري عرض ذلك الأمر على حاشيته من الموظفين، فكان جوابهم إزاء ما حصل التحيز الكامل لتحوتي ناخت قائلين :

هل يعاقب تحوتي ناخت لموضوع كهذا؟

في ذلك الوقت كان الفلاح واقفاً على مقربة يسمع بضياع ماله وخراب بيته حيث يتغاضى عنه رجال السلطة ويتجاهلون حقه بما فيهم رنزي بن مرو الذي بدا كذلك بسبب صمته .

أمام هذا الصمت حاول الفلاح أن ينجي نفسه وأسرته من الموت الذي يتهددهم بسبب الجوع، فتقدم إلى الأمام خطوة وخاطب بفصاحة شديدة رنزي بن مرو متمنياً له سياحة طيبة عند نزوله في قاربه إلى الترعة[2] محبباً إليه فعل الخير وتحقيق العدل:

"إذا نزلت إلى بحيرة العدالة من المؤكد أنك ستبحر فيها مع ريح مواتية، لن يًقتلع شراعك ولن يتقدم قاربك ببطء ولن يصيب ساريتك ضرر ولن تنكسر عوارض السواري ولن تجرفك المياه ولن تعاني مشاق النهر ولن تشاهد وجوه مرعبة غير أن الأسماك ستتجه إليك بسرعة وسوف تصطاد الطيور السمينة"[3].

حقاً كل ذلك سوف يتحقق لأنك :

"والد اليتيم وزوج الأرملة وأخ لمن هجره الأهل

وستر من لا أم له

---

(1) فضل الله: مرجع سابق ، ص١٢١.
(2) برستد: مرجع سابق، ص٢٠٠.
(3) النشار: مرجع سابق، ص٩٧.

دعني أضع اسمك في هذه الأرض فوق كل قانون عادل

أيها الرجل العظيم الذي لا يشوبه طمع

أيها الرجل العظيم الذي يتجنب الصغائر

ويحطم الظلم ويثبت الحق(١)

أيها الرجل العظيم المجرد من الشراسة

الذي يقضي على الكذب و يوقظ الحقيقة

تعال على صوت من يتحدث أليك وأجهز على الشر

أقم العدالة أيها الرجل الممدوح الذي يمتدحه من يمدحون"(٢).

يبدو واضحاً من سطور الشكاية الأولى الذي فاه بها الفلاح، محاولة استعطاف من يسمعها لرفع الظلم عنه متخذاً من العدالة الضمان له ولكل من يسير على نهجها، النجاح في الحياة والذكرى الطيبة بين الناس .

عند هذا الحد من القصة أعجب رنزي بن مرو بفصاحة ذلك الفلاح وقرر عرض الأمر على الملك قائلاً: سيدي لقد وجدت أحد هؤلاء الفلاحين، حقاً بليغ وقد سُرقت بضاعته ولقد حضر ليتظلم من أجل ذلك.

عندئذ رد الملك عليه: دعه هنا فترة أطول دون أن تجيبه على شيء يقوله وعندما يتحدث ألزم الصمت ثم أحضر لنا ما يقوله مكتوباً حتى نسمعه ولكن مد زوجته وأولاده بأساليب المعيشة، وعمل رنزي بن مرو بتوجيهات الملك فأرسل من يقدم لزوجة الفلاح وأسرته ثلاثة مكاييل من القمح يومياً.

انتظر الفلاح بعد شكايته الأولى والتي لم يلقى عليها جواباً يعيد له حقه فانتقل إلى شكايته الثانية رغم التهديد الذي لاقاه من رنزي بن مرو، فلم يلفت ذلك التهديد نظره ولم يثنه عن المطالبة بحقه، هنا أخذ الفلاح يعدد مساوئ وأنانية هذا العصر حيث فساد الموظفين والتقاعس عن أداء واجباتهم وهذا يؤدي إلى غياب قيم الحق والعدالة إضافة إلى الانحلال الخلقي والاجتماعي يقول الفلاح:

"الإنصاف قصير ولكن الضرر يمتد تأثيره طويلاً

---

(١) برستد: مرجع سابق، ص٢٠٠.
(٢) النشار: مرجع سابق، ص٩٨.

وحكمة الأمس تقول افعل للفاعل حتى تجعله يفعله"(1)

بمعنى **عامل الناس بما تُحب أن تُعامل به** لأن المعاملة الطيبة تدفع الفرد إلى تحقيق العدالة المرجوة، أما عدم السعي للفعل الطيب يعني البلادة وبالتالي عدم تحقيق العدالة الاجتماعية التي سوف تؤدي إلى الفوضى في المجتمع.

ويعود الفلاح في شكايته الثالثة إلى أسلوب المدح حيث يذكر رنزي بن مرو بأنه ممثل الإله (رع) على الأرض، لذا عليه أن يحكم وفق ما يمليه الإله والقانون، عليه أن يرحم البؤساء ويحمي الفقراء ويوقع العقاب فيمن يستحق العقاب، فإذا لم يفعل ذلك فإنه سيكون مسؤولاً عن انحراف موازين العدالة وسوف يحاسب على ذلك أمام الإله (رع) يقول الفلاح:

"أيها المدير العظيم مولاي

إنك (رع) إله السماء مع حاشيتك

إن قوة الإنسان منك لأنك(2)

تجئ كالشبع وبمجيئك ينتهي الجوع

تجئ كالثياب وبمجيئك ينتهي العري

أنت كالسماء الهادئة بعد عاصفة هوجاء

تُعطي الدفء لمن أصابه البرد

أنت كالماء تروي الظمأ

ضيق الخناق على السارق واحمِ التعس

ولا تكونن كالسيل ضد الشاكي"(3)

ويتابع الفلاح كلامه بشيء من المدح والتحذير حيث يقول محذراً رنزي بن مرو من أن الأبدية تقترب وعليه أن يعمل حسب المثل القائل:

---

(1) Wilson, J., The Protests of the Eloquent Peasant, ANET, Newgersy, 1969, p.419.

(2) برستد: مرجع سابق، ص٢٠١.

(3) كمال: مرجع سابق، ص٨.

إن نفَس الأنف إقامة العدل (الماعت)[1]

وهنا يشبه الفلاح إقامة العدل بالنسبة للمجتمع مثل الهواء النظيف الذي يستنشقه الإنسان عن طريق الأنف والذي يعطي الحياة، ولو توقف هذا التنفس توقفت الحياة معه.

يتابع الفلاح مطالباً رنزي بن مرو تنفيذ العقاب بمن يستحق وتحقيق العدالة:

"نفذ العقاب فيمن يستحق العقاب

ليس هناك شيئاً يعادل استقامتك

هل يخطئ الميزان؟

إن لسانك هو ذلك اللسان الصغير للميزان (المؤشر العامودي)

وقلبك هو تلك الصنجة (المثقال

وشفتاك هما قب الميزان (ذراعاه)

فإذا أدرت وجهك عن الظالم

فمن ذا الذي يمكنه أن يرد العار

أنت تصنع العدل وكل شيءٍ طيب وتبيد كل خبيث"[2]

إن هذه المقارنات بين أخلاق رنزي بن مرو وبين الموازين تظهر مرات عديدة في شكايات هذا الفلاح، والعبرة التي تؤخذ من ذلك واضحة، حيث أن مفتاح الطريق الحق بأيدي الطاقة الحاكمة فإن هم أخفقوا في إحقاق الحق لا يمكن تحقيقه في مكان أخر، وعليه فقد كان المطلوب منهم أن يوازنوا بين الحق والباطل ومن ثم يفصلون في ذلك بقرار عادل كالموازين التي لا تخطئ لذلك كانت الموازين رمزاً شاع تداوله في الحياة المصرية حتى صارت كفتا الميزان تظهران في النقوش بمثابة رمز مجسم لتصوير محاكمة كل روح في عالم الحياة الآخرة، وقد وجدت الموازين في ذلك لأول مرة في تاريخ الأخلاق وبقيت صورتها وهي منصوبة في يد آلهة

---

(1) برستد:مرجع سابق،ص٢٠١.
(2) كمال: المرجع نفسه، ص٨.

العدالة رمزاً لذلك(1) ولم يقتصر ظهور رسم الميزان كرمز العدالة على مصر القديمة بل لا يزال حتى يومنا هذا يُزين دور العدل والمحاكم التي يقصدها الناس.

يتابع الفلاح شكاياته، وهذه المرة بلهجة غاضبة لأن رنزي بن مرو أرسل من خدمه من قام بضرب الفلاح، يتابع الفلاح شكايته الرابعة والخامسة متهماً فيها رنزي بن مرو بعدم القيام بواجباته وبعرقلة إجراءات العدالة والوقوف إلى جانب السارق والمعتدي حيث يقول:

"إن رنزي بن مرو لا يزال في خطأه ووجهه أعمى عما ينتظره

لا يسمع ما يجب أن يسمع ضالاً قلبه (عقله) عما روي له"(2)

لقد كان حسن الاستماع من الفضائل المحببة إلى قلوب المصريين القدماء لأن من يُحسن الاستماع يُحسن البت في الأمور وبالتالي يستطيع أن يحقق العدالة.

ويتابع الفلاح في شكواه محذراً من البعد عن تطبيق العدالة وما يحل بالأشخاص الذين يتغاضون عن إحقاق الحق وإيصاله إلى أصحابه فيقول بالشكاية ما قبل الأخيرة:

"الرجل يسقط بسبب جشعه

والرجل الطماع خالي بعيداً عن النجاح

لأن قلبه مليء بالجشع ويفكر بالسرقة

إن السرقة لن تفيدك أنت يا من يجب عليه أن يسمع للإنسان

وأن يشرف على قضيته العادلة"(3)

وينهي الفلاح شكايته بالطلب من رنزي بن مرو بأن يرفع الظلم الواقع عليه والذي يعاني منه، ويُقيم العدالة لأن رب العدل يقضي بذلك، فإذا أقمت العدل فإن اسمك سيبقى خالداً إلى الأبد في طول البلاد وعرضها، وستبقى ذكراك نبراساً للصلاح والرشد، وستهبط إلى قبرك الأبدي مطمئن البال لما قمت به من إحقاق الحق وإقامة العدل(4)

---

(1) برستد: مرجع سابق، ص٢٠٢.
(2) سعد الله:مرجع سابق،ص١٨٦.
(3) سعد الله: المرجع نفسه، ص ١٨٦.
(4) فضل الله: مرجع سابق، ص١٢٥.

"أقم العدل من أجل إله العدل

وتجنب اقتراف الشر

الخير طيب عندما يكون سعيداً

العدالة تدوم إلى الأبد

إنها تهبط إلى الجبانة مع من يقيمها عندما يدفن

ولن يمحى اسمه من على الأرض

سوف تدوم ذكراه بسبب ما قدمه من خير

ذلك هي القاعدة الخاصة بكلام الإله"(١)

عندما شعر الفلاح بعدم جدوى شكاياته أطلق شكايته الأخيرة بنوع من القنوط واليأس لعلها تجد آذاناً صاغية عند رنزي بن مرو حيث يعود ويذكره بأخطار المداهنة والمخادعة وعدم إحقاق الحق و إقامة العدل وبأن ذلك سيكون وبالاً عليه في الدنيا والآخرة ولن يكون له بنون ولا ورثة ولا صديق ولا سمعة طيبة وسوف يحاسب في الآخرة:

"لا يرزق أولاداً ولا يجد من يرثه على الأرض

من يقلع وفي سفينته الغش لن يرسو على الأرض

ولن تربط مراسي سفينته في الميناء،

من لا يكترث لا أمن له

ولا صديق لمن يصم أذنيه عن الحق

والجشع لا يحظى بيوم سعيد"(٢)

لقد أوجز الفلاح في سطوره الأخيرة المكانة والأثر الطيب في إقامة العدالة حيث يكون تأثيرها في الماضي والحاضر ويمتد للمستقبل، فلا ماضي لمن لا يعمل بموجب العدالة حيث لن يذكر له أحداً أي أفعال طيبة ماضية، ولا صديق له في

---

(١) النشار: مرجع سابق، ص١٨٦.
(٢) برستد: مرجع سابق، ص٢٠٥.

حاضره لأن الصداقة الحق ينبغي أن تكون بين أُناس عادلين يحرصون على العدالة مع أنفسهم و مع الآخرين، كذلك فلا مستقبل لمثل هذا الإنسان الذي فقد القدرة على تحقيق العدالة في الماضي والحاضر حيث أن السعادة في مستقبل الأيام تُقاس بما قدمه الإنسان في ماضيه وحاضره.

بعد اليأس والقنوط اللذين سيطرا على الفلاح قرر الذهاب وبث شكواه إلى (**آنوب**) ومعنى ذلك انه سوف ينتحر لقناعته باستحالة الحياة في مجتمع لا تتحقق فيه العدالة.

عندما سمع مدير البيت العظيم (رنزي بن مرو) هذا الكلام طلب الفلاح وقد عرف الفلاح أن كل ما ذكره قد دون حرفياً.

بعد ذلك أمر الملك رنزي بن مرو أن يفصل في قضية الفلاح، حيث يُحضر المختصون بهذا العمل سجل الضرائب الذي يحدد الناحية التابع لها ذلك الفلاح بالصفة الرسمية، كما يبين موقفه القانوني والاجتماعي وعدد أفراد أسرته ومقدار ثروته.

ثم يعقب ذلك جملة كلمات تتضمن معاقبة (تحوتي ناخت) حيث أن ممتلكات ذلك الموظف الجشع قد صودرت وأعطيت للفلاح[1].

نستطيع في ختام أحداث هذه القصة أن نستخلص مجموعة من القيم ذات المعنى الإنساني والأخلاقي والاجتماعي، فمن الجميل جداً أن نجد طبقة من رجال الحكم في ذلك الزمن حريصين على تحقيق العدالة وإنصاف المظلومين وخاصة إذا كانوا من طبقة فقيرة ومعدمة في المجتمع. كما تبين لنا هذه القصة ضرورة السعي وراء الحق وكيف أن الموظفين الصغار يظلمون الناس وكيف أن الترهيب من قبل هؤلاء يجب أن لا يردع الشخص عن المطالبة بحقه **وأخيراً يمكن أن نصف قصة الفلاح الفصيح بأنها ما هي إلا نسمة من ذلك الجو الخلقي السليم الذي شاع في تفكير الإنسان المصري القديم.**

---

[1] برستد: المرجع نفسه، ص٢٠٦.

ب- بردية اليأس من الحياة:

كاتبها رجل سئم الحياة في مجتمع غابت فيه القيم الأخلاقية، مجتمع يعج بالشرور و المفاسد، فلا آخ فيه، ولا صديق، و لا عادل، و لا محب،و قد وجد أن خير سبيل للخلاص من هذا الواقع هو الموت، فإذا غابت العدالة من الأرض فلا أقل من وجودها في السماء، العدالة الإلهية التي ينال فيها الصالح و الشرير جزاءهما، لأن كل شخص مسؤول عن أفعاله و يجب أن يحاسب عليها.

قبل أن يبدأ هذا الرجل حواره مع روحه، يُمعن النظر في أحوال الدنيا وفساد الناس من الوجهة الواقعية يقول:

"إن الناس لا شيء، الواحد غني والأخر فقير

ومن الناس من كان غنياً في السنة الماضية

يكون شريداً هذه السنة

إن مجرى المياه في السنة الماضية

هو في موضع أخر هذه السنة "[1]

بعد وصف أحوال الدنيا وفساد الناس، ينتقل هذا الرجل إلى حوار مع روحه حوار إنسان رقيق الروح أحس أنه يعيش وسط عالم مضطرب خال من الأخلاق الرفيعة، ووسط عالم ساد فيه الظلم والغدر والخيانة والغش وانعدم فيه الوفاء......... لذلك فقد صمم هذا الإنسان الملتاع على الانتحار، فوقف على حافة القبر ولكن روحه أبت أن تموت فدار بينه وبينها حوار[2] ، تألف هذا الحوار من أربع مقطوعات وقد أسهبت المقطوعة الأولى في موضوع فقدان الشهرة وضياع السمعة الطيبة يستخدم هذا الرجل صورة السمك الجيفة كقياس للتشبيه، لأن المصري قد يقارن بصورة طبيعية السمعة السيئة بالرائحة الكريهة كما نعبر نحن اليوم عن أن اسم من الأسماء (يزكم أنوف الناس)[3]

"انظر إن اسمي ممقوت أكثر من رائحة اللحم النتن في أيام الصيف

انظر إن اسمي ممقوت أكثر من رائحة السمك

---

(1) فضل الله: مرجع سابق، ص٩٣.

(2) السويفي: مرجع سابق، ص١٠٨.

(3) توملين: مرجع سابق ، ص٦٢.

وأكثر من شواطئ المستنقعات عندما يصادوا عليها

انظر أن اسمي ممقوت أكثر من رائحة التماسيح "[1]

وينتقل هذا الرجل إلى مقطوعة ثانية يصور فيها ما وصل إليه حال الناس من فساد وفوضى فلم يعد للرحمة مكانة في صدور هؤلاء ولم يعودوا يعرفوا معنى الصدق والأمانة:

"لمن أتكلم اليوم ؟!

الأخوة سوء والأصدقاء خونة

لمن أتكلم اليوم

فالقلوب انحازت إلى اللصوصية واغتصب الإنسان متاع جاره

لمن أتكلم اليوم

فالرجل الصالح يُقتل والصفيق يعلو نجمه في كل مكان

لمن أتكلم اليوم

الرجل التقي صار بائساً والخير لا وزن له

لمن أتكلم اليوم فالناس يسرقون.....كل الناس يسرقون

والخائن صار أميناً والأمين عدواً

لمن أتكلم اليوم

فلا يوم عدل ،لذا فقد تُركت الأرض للظالمين"[2]

أمام هذه الصور المقيتة البائسة السوداء يرى هذا اليائس أن الموت هو الحل الأفضل والانتقال إلى عالم الآخرة:

"فالموت عندي اليوم مثل الشفاء بالنسبة للمريض"[3]

---

(1) دلو:مرجع سابق ، ص١٤٥.

(2) الشرقاوي: مرجع سابق،١٩٩٠، ص٤٥.

(3) ميرسيا إلياد: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ترجمة عبد الهادي عباس، الجزء الأول د.ت، ص١٣١.

"مثل رائحة المر ..... مثل مجرى الغدير في فيضه

مثل عودة رجل من مركب الحرب إلى بيته

الموت أمامي اليوم كصحو السماء

الموت أمامي اليوم كما يشتاق الرجل لرؤية بيته

عندما يكون قد أمضى أعواماً في الأسر "[1]

و ينتقل الرجل إلى المقطوعة الرابعة حيث النظرة العاجلة على المستقبل النهائي :

"أن الذي هناك(الملك) سيقبض على المجرم

ويوقع عقاب السوء على من أقترفه

أن الذي هناك

سيقف في سفينة الشمس ويجعل أحسن القرابين هناك تقدم للمعابد

إن الذي هناك

سيكون رجلاً عاقلاً غير منبوذ مصلياً لرع حينما يتكلم "[2]

ليست القيمة الأخلاقية لهذا النص كامنة فحسب في مجرد تجسيدها لشخص كره الحياة ورفض قيم عصره ضمناً أن هناك قيماً أخرى يؤمن بها ويتمنى أن تسود بمعنى أنه رفض قيم الحياة الدنيا وفضل قيم الحياة الأخرى لذلك طلب الموت بديلاً وحلاً مناسباً بدل الحياة، أن الحياة الإنسانية عند هذا الرجل لا يمكن أن يبرر استمرارها إلا على أساس أخلاقي فإذا فقدت هذا الأساس كانت جديرة بالاستغناء عنها.

ولعل هذا الرجل محقاً في ذلك فيمكن أن يتحقق العدل المنشود وتسود القيم المبتغاة في الأخرى.

إن هذه النظرة الخلقية العميقة في إنسانيتها هي التي جعلت بردية اليأس من الحياة تبقى حية إلى اليوم قادرة على أن تمس أنبل ما هو إنساني فينا[3] .

---

(1) المرزوقي: مرجع سابق، ص١٢٥.
(2) طلب: مرجع سابق، ص١٦٥.
(3) طلب: المرجع نفسه، ص١٦٦.

الفصل الرابع

أثر الفكر السياسي في تطور القيم الأخلاقية:

١-تحذيرات أيبوور

٢-وصايا ختي الثاني لابنه مري كارع

٣- نبوءة نفررهو

٤-وصايا أمنمحات الأول لابنه سنوسرة الأول

٥- خطاب تنصيب الوزير

مثلما ساد تاريخ مصر الفرعونية فترات من الازدهار والرخاء، سادها فترات من الاضطراب والفوضى، كانت فترة الفوضى الأولى بين عامي (٢٢٣٠-٢٠٥٠)ق.م والثانية (١٧٨٦-١٥٧٥)ق.م، وقد امتازت هذه الفترات بظهور مجموعة الخطابات والتحذيرات والتي وصفت الوضع المتردي لمصر في كافة جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وقد جاءت هذه الخطابات والتحذيرات في قالب أخلاقي لذلك يمكن أن نطلق عليها (قيماً سياسية).

١- تحذيرات أيبوور(*):

لقد اعتاد المصري القديم على حياة هادئة وآمنة مبنية في الأساس على قيماً أخلاقية تتمثل بالعدالة والصدق والأمانة وقد أرجع أسباب فترات الفوضى آنفة الذكر وعدم الاستقرار التي تعرضت لها مصر بالدرجة الأولى لغياب هذه القيم. حيث يصور الحكيم أيبوور في تحذيراته حالة المجتمع المصري البائسة التي وصل إليها في ظل غياب القيم الأخلاقية ومدى الانحلال الخلقي وفساد المجتمع والفوضى وعدم الاستقرار.



شكل 10

جاءت هذه التحذيرات مسطرة على ورقة من البردي محفوظة في متحف ليدن بهولندا()، وقد أفاض هذه الحكيم وأصاب في وصف ما حاق بالبلاد من جرائم السرقة والقتل والتخريب والقحط وتشريد الموظفين الرسميين وشيوع الانحلال الخلقي وعدم المبالاة في التقاليد الدينية، وزوال صفة التدين من ضمائر الناس

(*) يظن بعض الباحثين أن هذا الحكيم عاش بمصر في أيام بيبي الثاني الأخيرة. ومن المحتمل أنه رأى مصر وقد سادها التفكك والضعف وقد حز في نفسه ما رأى فأخذ يصف حالة مصر حين إذ (أحمد: دراسات في تاريخ مصر الفرعونية ، مرجع سابق، ص٩٣).

() القمني:مرجع سابق ، ص٦٤.

وانهيار كل النظم القانونية والتقاليد الاجتماعية التي كانت تحكم فئات المجتمع حيث يقول:

"ثار الناس على سلطة الملك وقتلوا الموظفين ، ولاذ الحكام بالفرار وألقى المنقضون بمومياوات الملوك خارج القبور واحتلوا المعابد وألغو الوظائف الدينية، واستولوا على مخازن الملك والأسياد والكهنة وأعلنوا أن جميع ما فيها من قمح وغلال أصبح ملكية خاصة، ونُهبت سجلات قاعات العدل وأصبح المكان السري مكشوفاً (المعبد)، وطُورحت سجلات المحاكم أيضاً وصار الناس يطئونها بالأقدام في الساحات العامة والفقراء ينثرونها على قارعة الطريق"[1].

"كما دخل الفقراء إلى مراكز الإدارة الملكية وأتلفوا جميع سجلات المالية والمساحة ووثائق المالكين و ديست الأنظمة الملكية"[2] .

"ودخل الرجال المعدمون إلى قصور الأغنياء حتى أنهم صاروا أصحاب ثروات فمن كان يتعذر عليه أن يصنع لنفسه زوج نعال أصبح يملك أكواماً منها، أن الأغنياء ينتحبون والمعدمون في فرح، وكل مدينة تقول: دعونا نطرد الأقوياء من دارنا"[3].

ويتابع إيبوور ما ترتب على انهيار القيم الأخلاقية من انعدام للأمن و فوضى عمت البلاد يقول:

"انظر أصبح الرجل يذهب إلى الحرث والزرع

وهو مسلح بدرعه"[4].

---

[1] العزب:مرجع سابق،ص٦٣.
[2] دلو:مرجع سابق،ص١١٧.
[3] النشار:مرجع سابق ،ص١١٨.
[4] برستد:مرجع سابق،ص٢٠٩.

"أنظر لقد أصبح حامل القوس مستعداً والمجرمون في كل مكان

انظر لقد أصبح الناس يختبئون في الأعشاب حتى يأتي

المسافر في ظلام الليل ليسلبوا منه أحماله

ويُسرق ويضرب بالعصا حتى ينقطع نفسه ثم يُذبح ظلماً"[1].

نعم لقد انعدم الأمن فلا أحد يستطيع الخروج للعمل في حقله، لا أحد يستطيع أن يحرث أو يزرع، فالوضع غير أمن، فاللصوص وقاطعي الطريق مختبئون بين الأعشاب، وحتى المسافر لا يأمن على بضاعته من هؤلاء فهو معرض للقتل بغير حق وسلب متاعه[2]، ولم يسلم حتى القصر الملكي من أعمال النهب والسلب، يقول إيبوور:

"انظر الآن، لقد حدث شيئاً لم يحدث منذ وقت طويل

لقد سرق اللصوص الملك وأخذوه...وأصبح

الهرم خالياً مما فيه وسُرقت ممياءتهم وما كان معها "[3].

وفوضى البلاد أدت إلى توقف الضرائب فلم يعد يدفعها أحد، وأفلست الخزنة العامة ونُهبت المخازن الملكية، يقول أيبوور:

"تهرب الجميع من دفع الضرائب فخربت خزينة الدولة

كما أُتُلفت دفاتر جباة الضرائب وأصبحت غلال مصر ملكاُ مشاعاً"[4].

ويصف لنا أيبوور الحالة البائسة التي حلت بالأشراف يقول:

"أما الشريف فقد نهبه الناهبون فأصبح فقيراً"[5]

"انظر إن من كان لا يملك شيئاً أصبح ذا ثروة

وصار الرجل العظيم يمدحه

انظر إن فقراء الأرض أصبحوا أغنياء ومن كان

---

(1) دلو:مرجع سابق ،ص١١٩.
(2) عبد العزيز نوار: تاريخ مصر الاجتماعي، دار الفكر العربي، د.ت، ص١٢٠.
(3) أحمد سليم أمين: تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر، سورية القديمة)، دار النهضة، بيروت١٩٨٩م، ص٩١.
(4) مختار السويفي:أم الحضارات ، الجزء الثاني، الطبعة الأولى،لبنان ١٩٩٩م،ص٢١٨.
(5) فضل الله: مرجع سابق،ص٩٦.

يملك متاعاً أصبح لاشيء عنده

انظر إن الذين كانوا يخدمون أصبح لهم طائفة من الخدم

ومن كان رسولاً أصبح يرسل غيره

انظر من كان لا يملك الخبز أصبح يملك مخزناً

وما يملأ مخزنه هو متاع غيره

انظر من لم يكن في مقدوره أن يصنع لنفسه تابوتاً

أضحى يملك قبراً ومن لم يكن في قدرته أن يقيم حجرة

أضحى الآن يملك فناء مسوراً

انظر إن الرجل الغني أصبح يمضي الليل وهو عطشان ومن

كان يستجدي منه الحثالة صار يملك الجعة القوية

انظر إن الذي لم يكن يملك قارباً أصبح الآن يملك

سفناً، وأضحى صاحبها ينظر إليها كمداً بعد أن أصبحت

ملكاً لغيره

انظر إن من لم يملك ثوراً للحرث أصبح يملك قطعاناً

انظر إن الأصلع الذي لم يكن يستعمل الزيت أصبح

يملك أواني العطور

انظر إن من كان يجهل العزف على العود أصبح يملك

قيثاراً، ومن كان لا يغني له أحد أصبح الآن يثني على آلهة الغناء"[1].

() دلو : مرجع سابق، ص١٢٣.

حقاً لقد أصبح الفقراء أغنياء والعبيد أسياداً وفقد المالكون جميع ما يملكون وصاروا يعملون في الو رشات وخدماً في المخازن(١).

ويضيف أيبوور حال سيدات النبلاء من الأشراف يقول:

"أنظر إن السيدات أصبحن يجمعن

فضلات الحصاد"(٢)

"ومن كان ينام أعزب أصبح يجد الآن السيدات النبيلات

ومن كانت ترى وجهها في الماء أصبحت صاحبة مرآة

وأصبحت الجواري والفقيرات يتزين بالحلي والمجوهرات

بينما تدور السيدات النبيلات في الطرقات بحثاً عن الطعام"(٣).

ويضيف أيبور واصفاً حالة الطبيعة النقية والمياه الصافية والأعشاب الجميلة كيف انقلبت كل هذه المشاهد إلى مناظر بؤس وقحط ومجاعة تنفر منها نفوس الناس:

"وفي الحق أصبح القوم يعيشون على الحشائش

ويشربون الماء ، وحتى الطيور لا تجد ما تأكله من فاكهة

وأعشاب وأصبحت القاذورات تختطف من أفواه

الخنازير دون أن يقال لقد أحسن لك ما هو لي

لأن القوم صاروا جياعاً "(٤).

كما يضيف إيبوور انتشار الأمراض والأوبئة وتدهور الصحة العامة، فالجثث منشورة في كل مكان لا تجد من يواريها الثراء، يقول :

"حقاً أن القلب لثائر والوباء قد انبعث في كل الأرض

والدم أصبح في كل مكان ولفائف المومياء تتكلم

---

(١) جون ويلسون: الحضارة المصرية، ترجمة أحمد فخري، مصر، ١٩٥٥م، ص١٨٩.
(٢) أحمد: : تاريخ و حضارة مصر الفرعونية ،مرجع سابق،ص١٠٨
(٣) السويفي: مرجع سابق، ص٢١٩.
(٤) السويفي:المرجع نفسه،ص٢١٨

وان لم يقترب الإنسان منها

حقا لقد انتشرت القاذورات ولا يوجد

امرؤ بملابس بيضاء في هذا الوقت

(الملابس البيضاء تدل على النظافة)

حقا لقد دُفن رجال كثيرين في النهر فأصبح النهر قبرا

حقا لقد أصبحت التماسيح في تخمة بما قد سلبت إذ

يذهب الناس إليها عن طيب خاطر (يدل ذلك على البؤس الشديد)"[1].

و يلخص الحكيم أيبوور المشهد المرعب الذي حل بمصر بكافة جوانبه فقد اختلط الحابل بالنابل في هذه الأرض ولا يعرف أحد ماذا ستكون النتيجة، لقد انقلبت الأرض رأساً على عقب وساد الخراب والدمار في كل مكان، حتى الأماكن المقدسة (المعابد)[2] يقول :

"حقاً لقد أصبحت الأرض تدور مثل عجلة الفخار"[3]

"حقاً لقد التهمت النيران البوابات والعمدان والجدران ... ودُمرت

البلاد وأصبحت الأرض الحمراء (كناية عن الخراب) منتشرة في كل البلاد وضربت المنازل وتكسرت صناديق الأبنوس وتحطمت الأخشاب

الثمينة وصارت النساء عاقرات وامتنع الحمل حتى

أصبح الناس يتمنون أن ينتهي أجلهم ولا يكون هناك حمل ولا ميلاد"[4].

إن ما حل بالبلاد أنعكس سلباً على حياة الناس فقد حلت الأحزان والآلام محل البهجة والسرور يقول أيبوور:

"لقد قُضي على الفرح ولم يعد يقام ، بل الحزن هو الذي

يمشي في طول البلاد ممزوجاً بالأسى

---

(1) LICHTHEIM, OP. Cit, ,P,151.

(2) ويلسون: مرجع سابق’ ص١٩٠.

(3) دلو : مرجع سابق، ص١٢٤.

(4) توملين:مرجع سابق، ص٦٨.

حتى الماشية..أصبحت قلوب الماشية تبكي والقطعان تندب حالة البلاد"[1]

كما شاعت في قلوب الناس الشك بقدرة الإله على حماية هؤلاء المساكين الضعاف مما حل بهم ، كما دخل إلى قلوبهم الخوف وقلة الإيمان به يقول أيبوور:

"دلني أين الإله لأقدم له قرباناً"[2]

"انظر إن القصابين يذبحون الإوز الذي يقدم إلى الإله بدلاً من الثيران"[3]

لعل المقصود هنا هو الاستخفاف بمكانة الإله إلى درجة خداعهم فبدل الثيران تقدم الإوز قرابين.

ويحاول بعد ذلك أيبوور أن يطرح حلولاً للخروج من هذه الحالة البائسة، في البداية يرسم مشهداً لحياة أصبحت سوداء النظرة بل يتطرق إلى أبعد من ذلك جاعلاً من الموت الخلاص الوحيد للإنسان ويتابع قوله بأن هذه الدنيا لا تستحق الحياة وأنه من الخير للمرء أن يسارع بالذهاب منها طواعية بإرادته الحرة، وقناعته التامة وذلك عن طريق الانتحار الإرادي[4]، بعد ذلك يرى الحكيم في وجود ملك عادل الحل و المخرج الوحيد، هكذا اعتاد المصري القديم زمن الدولة المصرية القديمة فالملك رمز العدالة ومفتاح الأمن الأمان لأبناء شعبه وهو يلقي هنا اللوم على الملك القابع في قصره ولا يحرك ساكناً، بينما حاشيته تنقل له الأخبار الكاذبة التي أوصلت البلاد إلى ما هي عليه :

"إن القيادة والفطنة معك، غير إن ما تبثه في طول البلاد هو

الفوضى، انظر إن الفرد يرمي الآخر وإذا سافر ثلاثة رجال

على طريق واحد فلا يوجد منهم اثنان، إذ أن العدد الأكبر يذبح الأصغر

إن الأكاذيب تتلى عليك والبلاد قش ملتهب وكل هذه الأعوام ارتباك"[5]

---

(1) دلو : مرجع سابق، ص١٢٥.
(2) أحمد : تاريخ و حضارة مصر الفرعونية ، مرجع سابق ، ص١٠٩.
(3) دلو:مرجع سابق، ص١٢٥.
(4) عطيتو: مرجع سابق، ص٢٢.
(5) المرزوقي:مرجع سابق،ص١٣٠.

ويعود ويذكر أيبوور الملك المنشود ما كانت عليه الأوضاع قبل ذلك من سعادة ورفاهية، نعم بها شعب مصر:

"تذكر كيف كانت ترعى الأنظمة ويعزل الكهنة الأشرار

تذكر كيف تنصب الأعلام وتنقش ألواح القربان

تذكر كيف كان الكهنة يطهرون المعابد ويخلدون بالقرابين"(١)

ويختم أيبور هذه الموازنة بنظرة تفاؤلية يحلم فيها بعصر جديد تستقر فيها الأوضاع مرة أخرى وتنتعش النفوس بالآمال ويزول الغم عن البلاد ويؤكد أيبوور أن ذلك لا يتحقق إلا بملك عادل رحوم يكون بمثابة الحل والإصلاح للأمور المضطربة:

"أين هو اليوم؟هل هو نائم ؟انظر المجد لا يمكن رؤيته"(٢)

إن ما يهمنا من تحذيرات هذا الحكيم استخلاص عدة نتائج جاء في مقدمتها هذا الإنجاز العظيم الذي تمثل بقدرة شخص من الشعب على الوقوف أمام الملك معددا مساوئ الحكم محملاً الملك المسؤولية الكاملة بما ألت إليه البلاد من حالة الفوضى والاضطراب مطالباً إياه بضرورة الرجوع إلى الحكم الصالح المبني على تحقيق العدالة ومعرفة الحقيقة وهذا ما توضحه عبارة إيبوور:

"يجب أن يغتبط قلب الملك حين تأتي إليه الحقيقة"(٣)

ولدينا نتيجة أخرى تعد في غاية الأهمية وهي جرأة إيبوور بمجاهرة الملك بالصفات التي يجب أن يتحلى بها من أخلاق خيرة لا تشوبها شائبة وجهاده من أجل الخير وقضائه على الشر، كل ذلك يعد إنجازاً للفكر المصري القديم في تلك الفترة.

---

(١) المرزوقي:المرجع نفسه،ص١٣٠.

(٢) سعد الله: مرجع سايق، ص١٤٧.

(٣) سعدالله:المرجع نفسه، ص١٤٨.

٢- وصايا ختي الثاني لابنه مري كارع :


شكل 11

كُتبت هذه الوصايا في فترة الاضطرابات الأولى التي حدثت في مصر (٢٢٣٠-٢٠٥٠ ق.م) وتحديداً خلال فترة حكم الأسرة العاشرة وكاتبها هو الملك ختي الثاني الذي خاض حرباً داخلية شرسة مع حكام طيبة أدت إلى تعرض الأماكن المقدسة إلى الخراب والدمار، وقد أسِف ختي الثاني لذلك، هذا ما دفعه إلى كتابة الوصايا لولده مري كارع بأن إدارة البلاد يمكن أن تتم بعيداً عن الحروب التي لا تأتي إلا بالدمار كما يمكن للكلمة الطيبة أن تكون أمضى من السيف إذا ما استعملت في مكانها المناسب وقد ركز الملك ختي الثاني في وصاياه لابنه مري كارع على المعاملة الطيبة وصفات الحاكم الصالح وواجباته ومحبة الخير للغير والتذكير بالعالم الأخر ويوم الحساب هذه الصفات التي من خلالها يستطيع أن يكتسب محبة الناس وأن يكون ملكاً صالحاً تقياً، لذلك يمكن أن نعد هذه الوصايا حكماً ونصائح سياسية .

كُتبت وصايا ختي الثاني لابنه مري كارع على بردية محفوظة الآن بمتحف لينجراد وقد بدأ ختي الثاني وصاياه بالنظر إلى الوراء والإشادة بما كتبه الأجداد(*) في الماضي وذلك لعظيم احترامه للحكمة التي تمخضت عنها تلك الأزمان حيث يقول:

"إن الحق (ماعت) يأتي إليك مختمراً(*)

حسبما كان عليه الأجداد، فعليك إذاً

(*) المقصود هنا تعاليم الوزير بتاح حتب (الأسرة الخامسة)(برستد: مرجع سابق، ص١٦٧).
(*) أي كما يُعجن خبز الشعير في الماء ثم يختمر لتُصنع منه الجعة (كمال: مرجع سابق، ص٦٨)

أن تقتدي بآبائك وأسلافك[1]

انظر إن كلماتهم لا تزال خالدة

تنبض بالحياة فيما خلفوه من كتب

افتح الكتاب واقرأ ما فيه، واستفد

بعلم أجدادك، واتبع تعاليمهم، تصبح

عالماً حكيماً مثلهم"[2]

يبدو واضحاً في المقطع مدى التأثير العميق لنصائح (بتاح حتب)والذي كان الملك ختي يأمر ابنه بقراءتها حتى يمكنه التبصر فيما تحويه من الحكم التي مضى عليها وقتذاك نحو ٤٠٠سنة، ويقول ذلك الملك :

"كن ممن يحسنون صناعة الكلام لتكون

قوي البأس لأن قوة الإنسان هي

اللسان والكلام أعظم بأساً من كل حرب"[3]

ولكن لا تكفي وحدها قوة اللسان والكلام فهي بحاجة إلى حكيم يعرف كيف ينطق بها ويوجهها خير توجيه حيث يوصي ابنه:

"إن الرجل الفطن لا يجد من يفحمه

كما أن الذين يعرفون أنه أوتي الحكمة

لا يعارضونه(*)، وبذلك لا تحدث مصيبة في زمانه"[4]

ينتقل بعد ذلك الملك ختي الثاني في وصاياه لابنه، حيث يوصيه بأن الرخاء المادي يعد ركنً أساسياً لإقامة النظام العادل :

---

(1) برستد: مرجع سابق، ص١٦٧.
(2) كمال: مرجع سابق، ص١٦٨.
(3) برستد: مرجع سابق، ص١٦٧.
(*) المقصود هنا الوزراء والمستشارين (كمال : مرجع سابق، ص٦٩).
(4) برستد: مرجع سابق، ص١٦٧.

"من هو غني في بيته، لا يظهر محاباة، لأنه صاحب مُلك، وليس بحاجة إلى شيء ولكن الشخص الفقير (في وظيفته)لا يتحدث وفق ما تمليه عليه استقامته (ماعت) إذ أن من يقول لو كان لي لن يكون منصفاً، وسيظهر محاباة لمن يستطيع مكافأته"[1]

ويربط الملك ختي الثاني عظمة الملك ومدى إقامته للعدل، بالأشخاص الذين من حوله، فإذا كان الملك عظيم كان مستشاروه عظماء يقول الحكيم:

"إن العظيم يعد عظيماً عندما يكون

مستشاروه عظماء والحاكم القوي من

كانت له حاشية "[2]

ويؤكد الملك ختي الثاني بأن الملك العظيم الصادق قدوة لمن حوله بقوله :

"لا تقل إلا الصدق في بيتك، حتى يخشاك

الأشراف الذين يسيطرون على البلاد[*]، و السيد

ذو القلب المستقيم يفلح حاله، لأن داخل البيت

(أي القصر) هو الذي يبعث الاحترام في الخارج"[3]

بالرغم من اهتمام الملك ختي الثاني بمن حوله من المستشارين وهم أبناء الأسر الشريفة فإنه ينصح ابنه بعدم تجاهل باقي فئات الشعب، فليس من الحكمة تفضيل أحداً على آخر إلا بما يقدمه من عمل صالح وهنا يمكن أن نلمس تحقيق ما يسمى بالعدالة الاجتماعية وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص:

"إياك أن ترفع من شأن ابن

العظيم على ابن الوضيع ، بل

اتخذ لنفسك الرجل من أجل كفايته "[4]

---

(1) توملين: مرجع سابق، ص٥٥.
(2) كمال:مرجع سابق،ص٦٩.
(*) المقصود حُكام الأقاليم (كمال: المرجع نفسه، ص٦٩).
(3) كمال: المرجع نفسه، ص٦٩.
(4) برستد: مرجع سابق، ص١٦٩.

إضافة لذلك ينصح الملك ختي الثاني ابنه بضرورة المعاملة الطيبة والسلوك الحسن مع عامة الشعب لأن ذلك من واجبات الملك الصالح:

"أقم الحق طوال حياتك على وجه الأرض، وواس الحزين(*)، ولا

تظلم الأرملة ولا تطرد رجلاً مما

كان يملك أبوه، ولا تلحق ضرراً

بالقضاة فيما يتصل بمناصبهم(*)، وكن حذراً

حتى لا تظلم أحداً وتعاقب دون وجه حق

ولا تقتل رجلاً تعرف قدره، وتكون

قد تعلمت الكتابة معه"(٢)

حقاً إن المعاملة الطيبة تجعل الناس يحمدونك ويدعون لك بطول العمر والصحة والعافية :

"لا تكن شريراً، فمن الخير أن تكون

رحيماً عطوفاً، خلد أثر ذكراك عن

طريق حب الناس لك، فيحمد الناس

الإله من أجلك ويمتدح الناس طيبة قلبك

ويتمنون لك الصحة والعافية "(٢)

ويذكر الملك ختي الثاني ابنه بالمعاملة الطيبة والسلوك الحسن الذي لا يجني ثماره في الدنيا فقط من خلال حميد الناس له، بل أن هذه الأفعال سوف يحاسب عليه هناك في الحياة الآخرة، حيث محاكمة الميت(*) والقضاة الذين لا يرحمون من اقتراف الذنوب:

(*) حرفياً (هدئ الباكي) (كمال: مرجع سابق، ص٧٠).
(*) أي لا تعزلهم من مناصبهم إلا لأسباب بالغة الخطورة، كما أن من واجب الحاكم أن يكفل للأبناء المناصب التي كان يشغلها آبائهم (كمال: المرجع نفسه، ص٧٠).
() كمال: المرجع نفسه، ص٧٠.
(٢) كمال: المرجع نفسه، ص٦٨.
(*) انظر الفصل الثاني من البحث، فقرة كتاب الموتى.

"إنك تعلم أن القضاة (الآخرة)الذين يحاسبون

المذنب لا يرحمون الشقي في يوم المحاكمة

وفي ساعة تنفيذ الحكم، فتسوء

العاقبة عندما يتهمك الإله الواحد

العاقل(*)، لا تعتمد على طول السنين

فإنهم (أي القضاة) يعتبرون مدى الحياة

كأنما هي ساعة واحدة(*)

أن المرء ليبعث بعد الموت وتوضع

أعماله بجانبه أكواماً(*) وما يبتغيه

المرء هو الخلود هناك (أي في العالم الآخر)

وأنه لغبي ذلك الذي لا يكترث باليوم

الآخر، أما من أتاه بعمل صالح لا خطيئة

فيه ، فسيكون هناك مثواه ، يمشي

فرحاً مثل الأرباب الخالدين (يعني الأبرار المتوفين)"(١)

نقرأ في تلك النصائح تأكيداً لوجود محكمة بعد الموت يقف أمامها الإنسان صاغراً، ولا ينفعه أمام قضائها إلا العمل الصالح(٢)، لأن العمل الصالح يُعد العماد الأعظم الذي ترتكز عليه الحياة الآخرة يقول:

(*) يعني (تحوت) إله الحكمة الذي يُشرف على المحاكمة يوم الحساب.(كمال: المرجع نفسه، ص٧١).

(*) لا تظن أن يوم الحساب بعيد، وإنه عندما يأتي سيُنسى كل شيء، إن قُضاة الموتى يذكرون ولا ينسون (كمال: المرجع نفسه، ص٧١).

(*) أي كالجبال.

(١) كمال: المرجع نفسه، ص٧١.

(٢) أحمد فخري: مصر الفرعونية، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٦٠م، ص ١٧٢.

" أن الروح تذهب إلى المكان الذي تعرفه ولا تحيد في سيرها عن طريق أمسها"[1]

لا شك أنه يقصد بذلك طريقها المعتاد للخلق القيم الكريم وبما أن القبر وما يحويه من أثاث جنزي يستخدمه المتوفى في العالم الأخر كان من أهم الأشياء التي حرص عليها الإنسان المصري القديم[2]، فإن الملك ختي الثاني ينصح ابنه قائلاً :

"زين مثواك (يعني قبرك)

الذي في الغرب[*]، وجمل مكانك في الجبانة

بصفتك رجلاً مستقيما مقيماً للعدالة

(يعني الماعت) لأن ذلك هو الشيء الذي

تركن إليه قلوب أهل الاستقامة "[3].

لم تكن المعاملة الطيبة والسلوك الحسن وإقامة العدل وتحقيق المساواة التي ذكرناها فيما سبق وحدها محط اهتمام الملك ختي الثاني بل أن حب الإله وخدمته كانت واجبة وضرورية، لأن الإله يعد الحامي والراعي لشؤون الناس:

"لقد صنع السماء والأرض (المقصود الإله رع)

طبقاً لرغبتهم (رغبة أهل مصر)

لقد خلق لهم النبات والحيوان والطيور

والأسماك ليطعمهم، لقد قتل أعدائه

وأصاب أولاده[*] أيضاً لأنهم فكروا

في الثورة لقد صنع لهم ضوء النهار تبعاً

---

(1) برستد : مرجع سابق، ص١٧١.

(2) سعد الله: مرجع سابق، ص١٥٩.

(*) اعتقد المصري القديم أن مملكة الأحياء تقع شرقي نهر النيل، حيث تُشرق الشمس، وإن مملكة الأموات تقع غربي نهر النيل، حيث تغيب الشمس وتنزل إلى العلم السُفلي لتُضيء عالم الأموات. لذلك حرص على بناء القبر غربي نهر النيل في مملكة الأموات (أحمد: تاريخ و حضارة مصر الفرعونية ،مرجع سابق، ص٢١٥).

(3) برستد: مرجع سابق، ص١٧٠.

(*) في هذا إشارة إلى أسطورة هلاك البشر، عندما ثار الناس على إله الشمس (رع) لإنه كبر وشاخ وبلغ من العمر عتياً (كمال: مرجع سابق، ص٨١).

لرغبتهم وأقام لهم أماكن للعبادة"[1].

لذلك ينصح الملك ختي الثاني ابنه بضرورة إقامة آثار دينية تكون بمثابة الوفاء للإله وتجعل اسم بانيها يبقى:

"أقم آثاراً (معابد) خالدة للإله

لأنها تحي ذكرى اسم بانيها

وعلى المرء أن يعمل ما فيه صلاح روحه

بإقامة الشعائر الدينية ولبس

النعال البيضاء(*) وزيارة المعبد

والدخول في قدس الأقداس(*) وأكل الخبز في المعبد(*)

وضاعف القربان وأكثر من عدد الرغفان

وزد في القربان الدائم لأن في ذلك خيراً لفاعله

وأجعل آثارك فيه حسب ثروتك ، لأن يوماً(*)

واحداً قد يبقى أثره إلى الأبد ورب ساعة

واحدة تنفع للمستقبل والإله عليم بكل من يقوم له بأية خدمة "[2]

لكن وعلى الرغم من هذا الحض على إقامة الآثار الدينية وتقديم القرابين نجد الحكيم يؤكد لابنه بأن الاستقامة في العمل خيرُ من تقديم القرابين :

" إن فضيلة الرجل المستقيم (عمله الصالح) أحب عند الإله من ثور الرجل الظالم (القربان)"[3].

---

(1) سعد الله: مرجع سابق، ص١٦٢.

(*) وصفت النصوص المصرية النعال البيضاء ضمن لباس الكهنوت (سونيرون: مرجع سابق، ص٤٧).

(*) إحدى أقسام المعبد الثلاث قدس الأقداس، يتألف من ثلاث مقاصير صغيرة، يستقر تمثال الإله في الوسطى منها ويستقر تمثال الابن والزوجة في المقصورتين الأخريين (أحمد: تاريخ و حضارة مصر الفرعونية ، مرجع سابق، ص٤٠).

(*) أي خبز القربان المقدس. (كمال: مرجع سابق، ص٧٢).

(*) أي عمل يوم واحد. (برستد: مرجع سابق، ص١٧٢).

(2) برستد: المرجع نفسه، ص١٧٢

(3) برستد:المرجع نفسه،ص١٧٢.

إن وصايا الملك ختي الثاني لم تفقد تأثيرها حتى بعد نهاية أسرته بزمن طويل وقد رأينا هداها في ترجمة حياة أحد الأشراف كتبها لنفسه على شاهدة قبره في عهد الأسرة الحادية عشر(*) إذ يقول لقد سمعت أفواه الناس تنطق بتلك الحكمة التي توجد في أفواه العظماء :

" إن فضيلة الرجل هي أثره الباقي

ولكن الرجل صاحب السمعة الرديئة

يصير نسياً منسياً "[1].

والواقع أننا بعد انقضاء بضعة قرون على ذلك نجد أثاراً لعظات الملك ختي الثاني وردت بعبارة واحدة تقريباً في نقش كل من مقبرتي شريفين نُقشا عليهما تاريخ حياتهما وكانا يعيشان في عهد الملك(سنوسرت الأول)(*) أي بعد سنة ٢٠٠٠ ق.م بجيل واحد،وكان أحدهما شريفاً من أغنياء(أسيوط)رأى الفخر كل الفخر في أن يقول:

"إنه كان إنساناً يفصل بين المتخاصمين

دون محاباة ، لأني كنت ثرياً وما أكرهه

هو الكذب ، وكنت متزن العقل من غير ميل"[2].

وأما ترجمة حياة الثاني فإنها منقوشة على لوحة جميلة من الحجر الجيري الأبيض وصاحبها هو الشريف ((منتووسر)) يقول فيها:

"لقد كنت أستمع للقضايا حسب الحقائق دون إظهار محاباة لمن يحمل الهدية (يعني الرشوة)لأني كنت أرفل في بحبوحة النعيم "[3].

(*) يعد حكم هذه الأسرة بداية الدولة المصرية الوسطى (٢٠٥٢-١٩٩١)ق.م. (أحمد: تاريخ و حضارة مصر الفرعونية، مرجع سابق، ص١١٥).

(1) برستد:مرجع سابق،ص١٧٣.

(*) سيزوسترس حسب التسمية اليونانية، تولى الحكم في مصر بعد أمنمحات الأول (١٩٦٢-١٩٢٨)ق.م. (أحمد: تاريخ و حضارة مصر الفرعونية، مرجع سابق، ص١٢٣).

(2) برستد:مرجع سابق،ص١٧٣

(3) برستد: المرجع نفسه، ص١٧٣.

تدلنا هذه الوصايا على مدى الاهتمام الكبير من قِبل ملوك مصر بالقيم الأخلاقية التي عدوها بمثابة نبراساً للحكم السياسي الصالح وإن هذه القيم كانت أمضى وأكثر نفعاً من الحرب وهذا شبيه بالمثل الشعبي القائل: **الكلمة الطيبة أشد وأمضى من ضرب السيف.**

- **نبوءة نفررهو(*):**



شكل 12

تناولت النصوص الملكية في عصر الدولة الوسطى (٢٠٥٢-١٧٨٦)ق.م التعبير عن القيم الأخلاقية التي آمن بها الإنسان المصري القديم فيما مضى وإصراره على وجود حاكم صالح على رأس المجتمع يحقق له الخير والاستقرار، ينتمي إلى هذا النوع من النصوص الأدب الخاص بالتنبؤات وفيه يقوم المؤلف بسرد مجموعة من أحداث الماضي وما مر بالبلاد من أزمات بغرض التحذير من تكرار مثل هذه الأمور والاستفادة من دروس الماضي للحاضر والمستقبل مع ضرورة طرح الحلول والآراء السديدة للخروج بالبلاد مما تعانيه من اضطراب وفوضى إلى الخير والاستقرار والحكم الصالح المبني على القيم الأخلاقية التي اعتادها المصري القديم، وهذا ما تضمنته نبوءة نفررهو ذات المغزى السياسي(*)، للتمهيد لـ أمنمحات الأول (١٩٩١-١٩٦٢) ق.م الذي سوف يعتلي عرش مصر وسيبدأ عهد جديد يحقق فيه المُثل العليا للإنسان المصري القديم وأهمها العدل والخير والاستقرار(). إن الهدف من دراسة هذه النبوءة عرض الأوضاع التي آلت إليها مصر في ظل غياب الملك العادل الصالح وبالتالي غياب القيم الأخلاقية الناظمة للحياة المصرية والتي تعود عليه الشعب المصري القديم، يبدأ الحكيم (نفررهو) بتصوير الواقع الذي آلت إليه أوضاع مصر يقول:

"أنصت يا قلبي وانع تلك الأرض التي فيها نشأت

لقد أصبحت تلك البلاد خراباً

(*) موجودة بمتحف لينجراد برقم ١١١٦٨ كما يوجد منها مقتطفات مدونة على لوحة كتابية موجودة بالمتحف البريطاني برقم ٥٦٤٧. (جيمز: مرجع سابق، ص١٣٢).

(*) هناك من أعطى نبوءة نفررهو اسماً آخر هو (أدب الدعاية الملكية) (كلير لا لويت: الأدب المصري القديم، ترجمة ماهر جويجاتي، دار الفكر للدراسات، القاهرة ١٩٩٢م، ص٦٩).

() سعد الله: مرجع سابق، ص١٩٢.

فلا من يهتم بها ولا من يتكلم عنها ولا من يذرف الدمع عليها"[١]

نعم القلوب تحجرت فلم تعد تشعر أو تتألم بما أصاب البلاد، فهي خربة ممزقة ضعيفة ومنهكة القوى ولا أحد يبكي على ما ألت إليه الحالة وكأن الدموع قد جفت ويتابع الحكيم (نفررهو) وصف حالة البلاد المحزنة يقول:

"إن قرص الشمس المحتجب لن يستطع بعد ذلك

لن يستطع الناس الحياة طالما تُغطيهم السحب

البشر جميعاً أصيبوا بالصمم بعد أن حرموا منه"[٢]

وهنا يربط الحكيم المشهد السياسي بالكوني فالخراب السياسي والاجتماعي والاقتصادي أنما سببه عدم وجود ملك عظيم يحمي البلاد فالحكيم يشبه قرص الشمس المحتجب بالملك العادل الغير موجود لأنه وكما نعلم فالملك يمثل إرادة الإله رع والإله رع في الفكر المصري هو إله الشمس، أن وجود ملك قوي سوف يزيل الغشاوة عن أعين الشعب، هنا يستعيد الشعب بصره ووعيه ونطقه وتعود الحياة الجميلة للناس، ويستمر الحكيم في وصف الصورة الحالكة السواد التي حلت بمصر، فهو يصف لنا ما ألت إليه أعمال الزراعة والري العظيمة نتيجة الفوضى وغياب الأمن يقول:

"أصبح نيل مصر جافاً يمكن للإنسان أن يخوضه بالقدم ولم يعد هناك نهراً لتجري عليه السفن

القمح أصبح نادراً، و المكيال كبير وجامع الضرائب طامعاً

إن الأسواق والمخازن خاوية لا يجد الناس ما يشترونه منه ولا يملكون ما ينقلوه إليه "[٣]

نعم لقد أصبح القمح غير متوفر وأصبح جامع الضرائب أكثر جشعاً فقد غير حجم المكيال الأساسي لجمع الضرائب بمكيال أكبر، كما يصور الحكيم (نفررهو) كيف أن هذه الأحداث أثرت سلباً على الحياة الدينية فقد تراجع الإيمان لدى المصري بالإله وبالعدالة يقول الحكيم:

---

(١) طلب :مرجع سابق ، ص١٧٢.
(٢) النشار : مرجع سابق ، ص١٤١.
(٣) برستد: مرجع سابق ، ص٢١٥.

"أن بيوت الآلهة أغلقت ولم تعد مستقراً للآلهة

لقد خرج الإيمان بالآلهة من قلوب الناس

لقد خرجت تعاليم الآلهة وعدالة السماء

لقد رحلت ماعت إلهة العدالة والحق

فتبعها الخير والبركة والنعم والرزق"(١)

كما أثرت هذه الأحداث سلباً على الحياة الاجتماعية فالحكيم يصور لنا ما آلت إليه العلاقات الاجتماعية من تفكك يقول:

"يضحك الناس ضحكة الألم

ليس هناك من يبكي على ميت

ليس هناك من يقضي الليل حزناً على من توفته المنية

يجلس الإنسان في مكانه لا يحرك ساكناً

وهو يرى الناس يقتلون بعضهم

لقد أصبح الابن ضد أبيه

لقد صار الأخ عدواً لأخيه

لقد صار الرجل يقتل أباه"(٢)

نعم لم يعد يكترث الإنسان لموت أخيه الإنسان، وكأنه فقد أحساس العطف والشفقة والرقة، لقد أصبح المجتمع في حالة من التفكك لدرجة أن الناس يقتلون بعضهم لتحصيل بعض الحاجات حتى الأمانة لم تعد موجودة بين الابن و أبيه.

بعد هذا الوصف الذي جسده الحكيم (نفررهو) للحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي آلت إليها مصر والتي نجد فيه شبهاً كبيراً لما سبقه إليه أيبوور في تحذيراته التي سبق الحديث عنها. يتجه الحكيم نفررهو إلى هدفه الرئيسي ذو

---

(١) كريم : مرجع السابق، ص٣١٠.
(٢) سليم : مرجع سابق، ص٩٣.

المغزى السياسي موضحاً الرأي السديد الذي سينقذ البلاد مما تعانيه من فساد في الحكم والإدارة معلناً قدوم الملك الذي سيخلص مصر:

"ولكن انظروا سيأتي ملك من الجنوب يدعى (أميني)

إنه ابن امرأة نوبية، إنه ابن مصر العليا

سيستلم التاج الأبيض وسيلبس التاج الأحمر

وسيرضى بذلك الآلهة (الإله ست والإله حور)

وسيفرح أهل زمانه وسيجعل ابن الإنسان

(أي الملك)اسمه باقياً إلى الأبد"[1]

تمثل هذه النبوءة نموذجاً رائعاً استطاع من خلالها الحكيم (نفررهو) توصيف الأحداث التي ألمت بمصر حيث غابت كل القيم الأخلاقية التي تربى عليها الإنسان المصري القديم والتي كان لابد من عودتها حتى تعود الحياة الإنسانية إلى إنسانيتها كما أن هذه النبوءة زرعت الأمل بمستقبل أفضل أخذ المصري القديم يعمل جاهداً للوصول إليه. كما وضحت لنا هذه النبوءة قيمة أخلاقية غاية في الأهمية وهي قبول الشعب المصري لملك من أصل نوبي (حسب ما جاء في النبوءة) وهذه يعني تخلص هذا الشعب من نزعة التفرقة العنصرية التي لا تزال بعض مجتمعاتنا تعاني منها حتى يومنا هذا.

() سعدالله: مرجع سابق، ص١٩٥.

٤- وصايا الملك أمنمحات الأول لابنه سنوسرت الأول (١٩٩١-١٩٦٢) ق.م:

إن ذلك الارتباط بين القيم الأخلاقية والسياسة الذي أدركه المصريون القدماء منذ فجر التاريخ وأصبح حجر الزاوية في نظامهم السياسي وفي حياتهم الاجتماعية لم يحيدوا عنه في فترات الانهيار والتدهور حيث كانوا يطالبون به وبعودته باستمرار حينما يفتقدونه في حياتهم، وقد تحدث الدارس في موضع سابق من هذا البحث عن تحذيرات الحكيم (إيبوور) الذي وصف حال البلاد والعباد في الأخلاقية مُطالباً بضرورة وجود ملك عادل يُعيد الأمور ظل غياب القيم إلى نصابه.

شكل ١٣

ولدينا أيضاً مثال آخر وهو نبوءة (نفررهو) الذي وصف حال البلاد السيئة وبشر بظهور الملك العادل (أمنمحات الأول) (١٩٩١-١٩٦٢)ق.م الذي نحن بصدد الحديث عن وصاياه لابنه وكيف أنه دفع حياته ثمناً لإيمانه بضرورة تحقيق العدالة بين أفراد الشعب وتوفير الأمن الداخلي والخارجي لمصر.

كُتبت هذه الوصايا عن لسان الملك المغدور، وكأنه يتحدث من العالم الآخر[1].

---

(1) أحمد:دراسات في تاريخ مصر الفرعونية، مرجع سابق، ص١٠٧.

في أربع بُرديات لعل أشهرها بُردية (ساليبه) المحفوظة في المتحف البريطاني تحت رقم (١٠١٨٥)[١]

يبدأ الحكيم وصاياه لابنه (سنوسرت الأول) واصفاً عملية الاغتيال التي تعرض لها يقول الملك:

"كان ذلك بعد العشاء حين حل الليل اقتطعت

لنفسي ساعة للراحة وأنا ممدد فوق سريري

كنت مجهداً أستشعر قلبي النعاس[٢]

سرعان ما شعرت بالأسلحة وكأنها تتحرك

وكأن إنساناً يسأل عني فقمت وكأني ثعبان الصحراء

كنت وحيداً وجدت أنها حرب جنود الحرس

لو كنت أسعفت بالسلاح لتمكنت من تشتيت

شمل هؤلاء الغادرين الجبناء ولكن لا شجاعة

في الليل ولم يكن في مقدوري أن أحارب وحدي

فالشجاعة لا تأتي لمن يؤخذ على غرة ولم تكن

أنت معي لتحميني"[٣]

بعد أن انتهى هذا الملك من سرد تلك الأحداث التي أفقدته الثقة بمن حوله يطلب إلى ابنه سنوسرت الأول أن يكون حذراً لا يثق بأحد يقول له:

"احتفظ بنفسك بعيداً عن مرؤوسيك

وكن حذراً منهم لأن الناس يخضعون

لمن يرهبهم ولا تقترب منهم على انفراد

---

(١) جيمز: مرجع سابق، ص١٢٨.
(٢) أحمد :دراسات في تاريخ مصر الفرعونية، مرجع سابق، ص١٠٧.
(٣) كمال : مرجع سابق، ص٨٥.

ولا تملأ قلبك بشقيق ولا تتخذ لنفسك

صديق ولا تكّون لنفسك أصدقاء حميمين

لأن هذا ليس له نتائج ولكن عندما تنام

احتفظ بقلبك وأحرسه لأنه لا يوجد رجل

يساعدك يوم الشدة"[1]

إن السياسي الناجح في نظر (أمنمحات الأول) ينبغي أن يوازن بين الحفاظ على حياته الشخصية بالحذر المطلوب في فترات القلق وتوقع المؤامرات ضده، وبين مهامه السياسية التي لا ينبغي أن تتأثر بما يحدث له، فمصلحة البلاد في الإدارة القوية الحاسمة وتحقيق الخير الوفير للشعب. والمصلحة الذاتية للملك في الحفاظ على حياته وتربية ولي العهد ومواصلة تنشئته تنشئة سليمة، هاتان المصلحتان العامة والخاصة لا تتعارضان بل تتكاملان.

بعد ذلك يجد الملك الفرصة مواتية للتذكير بأفعاله الطيبة التي قام بها في حياته وكيف أنها لم تجد صدى طيب عند هؤلاء الأشخاص الذين دبّروا عملية الاغتيال يقول:

"لقد أعطيت المتسول وأطعمت اليتيم[2]

لقد قبلت الحقير والعظيم في حضرتي[3]

لقد كنت مؤسساً للمحاصيل الزراعية

لقد كنت محبوباً من الإله(نبر) رب الغلال

لم يجع إنسان في سنين حكمي

لقد أذللت الأسود واصطدت التماسيح

وقهرت أهل واوات(*)

---

(1) سعدالله: مرجع سابق، ص٢١٨.)

(2) المرزوقي: مرجع سابق، ص١٢٩.

(3) مرحبا : مرجع سابق، ص١٦٦.

(*) مكان في النوبة الوسطى. (أحمد: تاريخ و حضارة مصر الفرعونية، مرجع سابق، ص١١٧).

(النوبة) وأسرت قوم الماتو (البدو)

وجعلت الأسيويين يمشون كالكلاب

لقد مشيت حتى الفنتين ووصلت حتى مستنقعات الدلتا"(1)

أهم ما يلفت النظر في هذا النص أمران في غاية الأهمية الأول الحرص من قِبل الملك على تحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة بين أفراده والأمر الثاني الحرص الشديد على تراب وطنه ومحاولته صد الأعداء وتوسيع رقعة ملكه، ولكن هذين الأمران يتطلبان تضافر جهود جميع أفراد الشعب المصري في سبيل تحقيق ذلك وهذا الأمر لم يتحقق لأن الفترة التي حكم فيها (أمنمحات الأول) حتمت عليه أن يتخذ موظفيه وعماله من رجال تربوا وترعرعوا في فترة الاضطراب الأولى (٢٢٣٠-٢٠٥٠)ق.م التي عصفت بمصر وبالتالي فقد تشرّب هؤلاء روح الفوضى والفساد وهذا ما يجعل مهمة الملك بعودة العدالة والنظام صعبة لأن السعادة والاستقرار قيم أخلاقية بحاجة إلى معرفة شعب لتبرز للوجود ويمكن أن نجد ملخص الكلام السابق في عبارة بليغة نطق بها الملك (أمنمحات الأول) حينما قال:

"لا وجود للسعادة الكاملة بالنسبة لمن يجهل ما كان ينبغي أن يعرفه"(2)

إذاً المعرفة طريق السعادة والجهل طريق الشقاء والرذيلة، وهذا الكلام يتفق مع ما قاله الفيلسوف الشهير سقراط بعد ذلك بقرون عديدة حيث قال:

"الفضيلة علم والرذيلة جهل "(3)

إن وصايا الملك (أمنمحات الأول) قد بلغت درجة عالية من النضج السياسي والأخلاقي رغم ما كان يحيط به من ظروف سياسية واجتماعية مضطربة، حيث نجح في إدراك هذا الجوهر الثمين للقيم الأخلاقية والنظام السياسي، ألا وهو (الماعت) فكان بذلك عند حسن ظن تلك النبوءة التي ترددت قبل ظهوره والقائلة بأن:

"العدالة ستعود إلى مكانها والظلم ينتفي من الأرض"(4)

وقد تحققت بالفعل على يد ذلك الملك العادل.

---

(1) حسن : مرجع سابق ،ص٢١٦.
(2) النشار:مرجع سابق،ص٦٠.
(3) النشار:المرجع نفسه،ص٦١.
(4) النشار : المرجع نفسه، ص٦١.

٥- خطاب تنصيب الوزير(*):

جاء هذا الخطاب تتويجاً لما سبقه من تحذيرات (أيبوور) في فترة الاضطراب الأولى إضافة إلى نبوءة (نفررهو) التي سبق الحديث عنها فقد حلم هؤلاء بظهور مخلص يعيد تحقيق الاستقرار ويعيد إلى النظام السياسي والاجتماعي في الدولة المصرية قيم العدل بصورتيه السياسية والاجتماعية ويبدو أن هذه النبوءات قد أثمرت مع بداية عصر الدولة الحديثة (١٥٧٥)ق.م ملوك عادلون تشرّبوا روح النظام الذي كان قد تحقق في الدولة القديمة (٢٧٨١-٢٢٣٠)ق.م كما استفادوا من النصائح والتعاليم والحكم التي ترددت على لسان الملوك والحكماء الذين سبقوهم، كما استفادوا من خطاب النبوءة الذي تنبأ فيه حكماء فترة الاضطراب الأولى(٢٢٣٠-٢٠٥٠)ق.م بأنه من الضروري أن يأتي الملك العادل الذي يحقق مرة أخرى العدل والنظام ويعيد الاستقرار والأمن للبلاد، لقد استفاد ملوك عهد الدولة المصرية الحديثة (١٥٧٥-١٠٨٧)ق.م من كل ذلك فجاء خطابهم السياسي أكثر نضجاً وأكثر إدراكاً لأهمية سيادة الأخلاق وروح العدالة الاجتماعية ليس بين ورثة العرش من الأمراء فقط بل بين كل أفراد الكيان الحكومي والتنفيذي في الدولة.

من هنا تأتي أهمية خطاب تنصيب الوزير الذي يهدف الملك من ورائه لثلاثة أمور هي على قدر كبير من الأهمية:

١- أن يدرك الوزير الأعظم أهمية منصبه وخطورته.
٢- تحديد المهام الرئيسية له وما ينبغي أن يسود من روح تطبيق العدالة والنظام بين كل أفراد الحكومة والحاشية.
٣- بيان التبعات التي تُلقى على عاتق من يتولى الوزارة فإذا نجح الوزير في مباشرتها استحق التقدير وحصل على المجد في حياته وبعد مماته، وإن فشل في ذلك استحق التوبيخ والعزل.

يبدأ هذا الخطاب الملكي العائد تاريخه إلى عهد الدولة الحديثة() على الشكل التالي:

"اجتمع أعضاء المجلس في قاعة مجلس الفرعون له الحياة والفلاح والعافية، وقد أمر الواحد (الملك) بإحضار الوزير الأعظم الذي سوف ينصب حديثاً إلى قاعة المجلس "

(*) هو خطاب ملكي يرجع تاريخه إلى عهد الدولة الحديثة وتحديداً عهد الملك تحوتمس الثالث (١٤٦٨-١٤٣٦)ق.م، وقد وجه الخطاب إلى وزيره (رخ - مي - رع). (عطية عامر: الأدب الفرعوني، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة ١٩٩٥م، ص٢٣٠).

() مرحبا: مرجع سابق، ص١٦٦.

إن هذا الاستهلال يُشير إلى خطورة الأمر وهيبة الملك الفرعون إذ يتم التنصيب الرسمي للوزير الأعظم في حضرة المجلس المكون بالطبع من الأمراء وكبار الشخصيات في الحاشية الملكية وكبير الكهنة، حيث تبدأ المراسم بأن يُستدعى الوزير إلى القاعة التي سوف يتم فيها التنصيب، ويبدأ الملك بعد ذلك في إلقاء خطابه مركزاً على النقاط التي أشرت إليها فيما سبق، إنه يبدأ بالتنبيه إلى خطورة المنصب الذي سوف يتولاه الوزير فإنه الركن الركين لكل البلاد(١)، ولذلك طالبه باليقظة لكل ما يلقيه المنصب على عاتقه من مهام خطيرة ومسؤوليات جسيمة، وبالتالي هذه المسؤوليات تجعل من الوزارة مرة المذاق يقول الملك لوزيره:

"انظر الوزارة ليست حلوة إنها مرة

إن الوزير الأعظم هو النحاس الذي يحيط بذهب بيت سيده

انظر الوزارة لا تعني إظهار احترام أشخاص الأمراء والمستشارين وليس الغرض منها أن يتخذ بها الوزير لنفسه عبيد من الشعب"(٢)

هذا الكلام يكشف للوزير صعوبة منصبه وتبعاته، فالمسئولية مرة لأن الوزير هو الحارس الأعظم للذهب في بيت سيده أي أنه المسئول عن أموال الدولة وعن إنفاقها وتوزيعها بالعدالة، كما أنه المسئول عن تحقيق العدالة بين المواطنين، وليس معنى تولي الوزارة أنه أصبح المتصرف في كل شيء بدون رقيب أو بلا حساب، فإن كان تولي الوزارة مدعاة للوجاهة الاجتماعية واكتساب احترام الأمراء والمستشارين فإنه ليس من حق الوزير أن يستعبد الشعب أو يسخره لخدمته، ففرق كبير بين أن يستخدم الوزير الموظفين والعمال في تسيير الخدمات العامة للناس في البلاد وبين أن يستخدمهم في تسيير مصالحه الخاصة.

ويتابع الملك خطابه طالباً من الوزير تحقيق العدالة بين الأفراد حسب القانون وليس حسب الأهواء والغايات الشخصية مذكراً الوزير بأن الإله يرى أفعاله وسوف يحاسبه عليها:

"إن الإله يكره التحيز

تذكر إن الملك يحب الخائف الذي لا عون له أكثر من اللئيم

عامل من تعرفه كمن لا تعرفه

ومن يكون من أقارب الملك كمن يكون بعيد عنه

واعلم أن الوزير الذي يقوم بذلك سيستمر في مكانه"(١)

---

(١) برستد: مرجع سابق، ص٢٢٣.

(٢) سعد الله: مرجع سابق، ص٢١٢.

هكذا يؤكد الملك في خطابه للوزير بضرورة تحقيق العدالة الاجتماعية من خلال معاملة الناس على قدم المساواة دون تمييز وإن لم يفعل ذلك فإن الإله سوف يعاقبه يوم الآخرة والناس سوف تتناوله بالنقد وسيفقد بطبيعة الحال حقه بالمنصب.

كما يطلب الملك من وزيره عدم التسرع في الغضب من إي فرد ما لم يستحق الأمر الغضب من أجله إذ يقول الملك لوزيره:

"لا تغضبن على رجل لم تبلغ الصواب في أمره
بل اغضب على من يجب الغضب عليه"(1)

ويطلب الملك من وزيره أن يقوم بعمله محافظاً على ما بينه وبين الناس من مسافة تكسبه الهيبة في نفوسهم:

"اجعل نفسك مهاباً ودع الناس يهابونك
والوزير لا يكون وزيراً إلا إذا هابه الناس
واعلم أن الخوف من الوزير يأتي من إقامته العدل"(2)

إن الحديث عن الهيبة كصفة من صفات الوزير الأعظم مسألة ذات أهمية وضرورية، فالاحترام المتبادل بين القائد والمرؤوسين ضرورة يفرضها النظام السياسي فإذا افتقدها الوزير افتقد إحدى صفات نجاحه ولكن هناك فرق بين الهيبة وبث الخوف في نفوس المرؤوسين فيجب على الوزير أن ينتبه إلى ذلك ويفرق بينهم ، فالهيبة تأتي من إقامة العدل فقط ولا تأتي من العقاب وإثارة الرعب في نفوس المرؤوسين، كما أن العدالة تعني الاعتدال والحكم دون محاباة أو تحيز لطرف دون الأخر ويحذر الوزير من التطرف في إصدار الحكم ويذكر بذلك الوزير (ختي) الذي جار في حكمه على بعض أبناء عشيرته الأقربين منحازاً للغرباء خوفاً من أن يُتهم بمحاباة أقاربه ، اعلم إن ذلك يعد تخطياً للعدالة (ماعت) وينهي الملك تعاليمه وخطابه للوزير بكلمات موجزة معبرة هي :

"راع القانون الذي ألقي على عاتقك"(3)

إذا أمعنا النظر في هذه المبادئ الأخلاقية الرفيعة التي تحقق العدالة الاجتماعية كمسئولية يفرضها الملك وهو القائد الأعلى لسياسة الدولة على ضمير من يتولى منصب الوزارة وهو أعلى مناصب الدولة ليقوم هذا الوزير بتنفيذ هذه الوصايا الملكية مستعيناً بكبار الموظفين في الحكومة المركزية وفي كافة الأقاليم المصرية،

---

(1) فضل الله: مرجع سابق، ص١١٢.
(2) النشار:مرجع سابق،ص٧٢
(3) النشار: المرجع نفسه، ص٧٢.
(4) برستد : مرجع سابق ، ص٢٢٥.

فإننا نستنتج من ذلك أن الوزير نفسه كان يملي تعليمات مماثلة على هؤلاء الموظفين ليعاملوا الناس طبقاً لوصايا الملك بالمساواة المطلقة أمام القانون ولا شك أن مثل هذه التطورات تعد بحق نتاجاً أخلاقياً يسجل للحضارة المصرية وتقدماً مبكراً لم يسبقهم إليه أحداً من حضارات الشرق القديم و لا حتى الغرب وقد قام بعض المؤرخين بمقارنة هذا الخطاب الأخلاقي المؤسس على العدالة الاجتماعية والمساواة بين جميع الناس، بقانون حمورابي الذي صدر في مملكة بابل والذي يرجع تاريخه إلى عصر قريب من عصر الدولة الوسطى في مصر، فهذا القانون الأخير يفرق بين الناس حسب طبقاتهم الاجتماعية ويفرق بين العقاب على الجرائم التي يرتكبها النبلاء وأبناء الطبقة العليا في المجتمع البابلي والجرائم المماثلة التي يرتكبها أبناء الشعب العاديين(1).

(1) السويفي: مرجع سابق، ص٢٦٥.

الخاتمة:

من هذه الدراسة لموضوع القيم الأخلاقية في مصر الفرعونية يتضح لنا أن هذه القيم أخذت حيزاً كبيراً من تفكير الإنسان المصري القديم وقد كان للعامل الديني الأثر الأكبر في نشوء هذه القيم والتي بدأ ظهورها مع إيمان المصري القديم بعقيدة الملكية الإلهية التي وحدت بين شخص الملك الإله والمجتمع وكان لذلك أثره في ربط الفكر الديني بالمجتمع ونمت نتيجة لذلك مجموعة من القيم التي سادت بين أفراد الشعب المصري، فقد كان الملك هو المثل الأعلى الذي يقتدي به الإنسان المصري ويطيعه طاعة كاملة من أجل تحقيق الخير له ولمجتمعه، وقد أدى هذا الالتزام بالضرورة إلى نشوء مجتمع زراعي مستقر وآمن بحيث وجه المصري القديم كل طاقاته نحو انجازات كبيرة ما كانت لتتم لولا هذه العقيدة.

نتيجة لوجود مجتمع مستقر ونتيجة لملاحظة الإنسان للظواهر الطبيعية المتنوعة في بيئته وما اتسمت به من انتظام واستمرارية فقد آمن بعقيدة الخلود وبوجود عالم آخر ينتقل إليه الإنسان بعد الموت ولم يكن هذا الانتقال انتقالاً تلقائياً ولكنه بعد محاكمة لا يشفع فيها للإنسان إلا عمله الصالح وهذا يُعد تتطوراً كبيراً للقيم الأخلاقية حيث أدرك الإنسان المصري القديم ضرورة القيام بأفعال أخلاقية تضمن له الحياة الأبدية.

إن هذه التطورات الأخلاقية التي طرأت على تفكير المصري القديم كان ميدانها الأسرة التي أُعتُبرت الخلية الأولى التي ترعرعت في ظلالها هذه القيم لتتسع وتتطور بعد ذلك وتشمل كل أفراد المجتمع المصري.

كما كان للأسطورة دوراً عظيماً في ترسيخ القيم الأخلاقية فقد أبرزت النواحي الأسرية بكل ما تمثله من قيم طيبة ينبغي أن تسود أفراد الأسرة، كما أبرزت أيضاً قيمة العمل الصالح باعتباره السبيل الذي يُوصل صاحبه إلى الدار الأبدية.

لقد كان لفترة الاضطراب الأولى التي اجتاحت مصر والتي كان من أسبابها ضعف مكانة الملك حيث أدت بالضرورة إلى انهيار المبادئ الأخلاقية المتمثلة في شخص الملك الإله وقد استتبع ذلك أن زُعزعت القيم الأخلاقية لدى الإنسان المصري القديم حيث انتابه الشك في كل ما كان يُؤمن به مما هيأ المناخ لتطور أخلاق جديد في عقلية الإنسان المصري القديم ظهر على شكل تحذيرات نذكر منها تحذيرات الحكيم إيبوور وقد عبرت هذه النصوص أجمل تعبير عن وصف أحوال البلاد والعباد في ظل غياب الملك العادل وبالتالي غياب القيم الأخلاقية كما عبرت عن أمانيها في ظهور ملكٍ عادل يُعيد الأمور إلى نصابها بما يحقق الخير والعدالة الاجتماعية

بحيث أصبحت الحاجة إلى العدالة الاجتماعية أكثر إلحاحاً من أي قيمة أخرى ولم يعد الأصل الملكي في الاهتمام الأول ولأول مرة يجرؤ أحد أفراد الشعب على انتقاد الملك وتحميله تبعية ما يحدث وقد شمل هذا التطور كل فئات الشعب حتى أسفل السلم الاجتماعي وقد جاءت أحداث قصة الفلاح الفصيح خير مثال على ذلك، حيث بقية القيم والأفكار التي تضمنتها القصة تُتداول وتكتسب الذيوع والشهرة لأنها صورت المبادئ الإنسانية في شكل مواقف ملموسة ومنها نستنتج أن الإنسان المصري القديم قد أصر على حقه ولم يخشى في الحق ذا سلطة أو ذا ثراء وأصر على نقده وحتى لو كان موجهاً إلى شخص الملك الذي أخذ يسعى لتوطيد مكانته بل الاعتماد على إمكانياته البشرية وصفاته الإنسانية فبينما كانت أعمال ملوك الدولة القديمة تتم حسب التصورات الإلهية فإن تصرفات ملوك الدولة الوسطى والحديثة راجعة إلى مقدرة الملك الشخصية بما يحمله من قيم أخلاقية ترجع بالنفع على شعبه وهذا تطور كبير في مسيرة القيم الأخلاقية لدى الشعب المصري القديم.

يتضح لنا مما سبق مدى الاهتمام الكبير من كافة طبقات المجتمع المصري بالقيم الأخلاقية وذلك من خلال المحافظة عليها وتلقينها للأبناء وتطويرها والعمل بها، فقد كان الإنسان المصري القديم يُحاط منذ طفولته وخلال مراحل عمره بمجموعة لا حصر لها من القيم الأخلاقية، تتوارثها الأجيال المتعاقبة جيلاً بعد جيل، أو تُلقن له داخل المعابد، أو في المدارس، أو يُمليها عليه الآباء والحكماء ومن هم أكبر سناً ممن يتمتعون برجاحة العقل وخبرة الحياة وكان القصد الأول والأخير من ذلك كله هو أن يصبح الإنسان المصري مواطناً صالحاً يعيش في مجتمع متحضر تربطه علاقات طيبة مع أسرته وجيرانه وزملائه ورؤسائه وسائر المواطنين الآخرين من أهل بلده، كما يتضح لنا إدراك المصري القديم بأن الحياة لا يمكن أن تستمر بدون وجود الضوابط الأخلاقية، **لذلك يمكن القول بأنه لا يوجد شعب اتصف برقته وحسن طباعه والتزامه بالقواعد الأخلاقية الرفيعة وسلوكياته الاجتماعية الطيبة كالشعب المصري القديم، كما كان له الفضل في وضع القواعد الأخلاقية وأُسس علم الأخلاق بمفهومه الحديث.**

الملاحق:

ملحق رقم (١)

	الاسرة	اسماء الملوك: القوائم اليونانية	اسماء الملوك: القوائم المصرية	مدة الحكم	مجموع سنوات حكم الاسرة	التقويم الفرعونى «التحوتى»	المقابل فى التقويم الميلادى	التاريخ الزمنى فى قوائم المؤرخين
التاريخ الزمنى لقوائم الملوك والاسرات (مانيتون)								
العصر العتيق	١					ت	ق.م	ق ٠ م
		١ مينيس	نعرمر (مينا)	٦٢		٦٢-	٥٦١٩	٣٢٠٠
		٢ اتوتيس	حور عحا	٤٧		١+ ت	٥٥٧	
		٣ كنكنيس	دزر	٣١		٤٧	٥٥١١	
		٤ اوتيفاس	وادچى	٢٣		٧٨	٥٤٨٠	
		٥ اسفايدوس	أوديمو	٢٠		١٠١	٥٤٥٧	
		٦ مپيدوس	انزيت	٢٦		١٢١	٥٤٣٧	
		٧ سمريس	سمرخت	١٨		١٤٧	٥٤١١	
		٨ بليمشس	كاعا	٢٦	٢٥٣	١٦٥	٥٣٩٣	
	٢	١ بويسوس	حتب سخموى	٣٨		١٩١	٥٣٦٧	٢٩٨٠
		٢ كاينجوس	رع نب	٣٩		٢٢٩	٨٣٢٩	
		٣ بلوتريس	نتر . أن	٤٧		٢٦٨	٥٢٩٠	
		٤ تلاس	پرى . ابش	١٧		٣١٥	٥٢٤٣	
		٥ سثنس	سندچى	٤١		٣٣٢	٥٢٢٦	
		٦ شاريس	نتركا	١٧		٣٧٣	٥١٨٥	
		٧ نفركرس	نفركارع	٢٥		٣٩٠	٥١٨٦	
		٨	خع سخم	٤٨		٤١٥	٥١٤٣	
		٩ سيزوخريس	خع سخموى	٣٠	٣٠٢	٤٦٣	٥٠٩٥	
الدولة القديمة	٣	١ مخروفيس	سانا خت	٢٨		٤٩٣	٥٠٦٥	٢٧٨٠
		٢ تسور ثروت	دزوسر	٢٩		٥٢١	٥٠٣٧	
		٣ تيريوس	نخرفرس	٧		٥٥٠	٥٠٠٨	
		٤ سويفيس	دزوسر الثانى	١٧		٥٥٧	٥٠٠١	
		٥ تورسر تاسوس	تودورتس	١٦		٥٧٤	٤٩٨٤	
		٦ آخس		١٩		٥٩٠	٤٩٦٨	
		٧ سفورس	نب كارع	٤٢		٦٠٩	٤٩٤٩	
		٨ ميزوخريس		٣٠		٦٥١	٤٩٠٧	
		٩ كرفيرس	خونى	٢٦	٢١٤	٦٨١	٤٨٧٧	
	٤	١ سورس		٢٢		٧٠٧	٤٨٥١	
		٢ سوفس الاول	سنفرو	٦٣		٧٢٩	٤٨٢٩	٢٦٨٠
		٣ سوفس الثاني	خوفو	٦٦		٧٩٢	٤٧٦٦	٢٦٥٦
		٤ ملكريس	خفرع	٦٣		٨٥٨	٤٧٠٠	٢٦٢٥
		٥ راتويسزس	من كاورع	٢٥		٩٢١	٤٦٣٧	٢٦٠٠
		٦ بينخرس		٢٢		٩٤٦	٤٦١٢	
		٧ سير خيرس		٧		٩٦٨	٤٥٩٠	٢٥٦٦
		٨ تمفيلس	شبسكاف	٩	٢٧٧	٩٧٥	٤٥٨٣	

يتبع ملحق رقم (١)

						ت	ق.م.	ق.م.
الدولة القديمة	٥	١ اوسر خيرس	وسركاف	٢٨		٩٨٤	٤٥٧٤	٢٥٦٠
		٢ سفراس	ساحورع	١٣		١٠١٢	٤٥٤٦	٢٥٥٣
		٣ نفر خيرس	نفركاورع	٢٠		١٠٢٥	٤٥٣٣	٢٥٣٩
		٤ سيسيري	نفراف رع	٧		١٠٤٥	٤٥١٣	٢٥٦١
		٥ خيرس	نيورس رع	٢٠		١٠٥٢	٤٥٠٦	
		٦ راتورس		٤٤		١٠٧٢	٤٤٨٦	
		٧ منجرس	منكاوحور	٣٩		١١١٦	٤٤٤٢	
		٨ تانشيرس	جدكا رع	٤٤		١١٥٥	٤٤٠٣	٢٤٧٨
		٩ اونوس	اوناس	٣٣	٢٤٨	١١٩٩	٤٤٥٩	٢٤٥٠
	٦	١ اوتوبس	تيتى	٣٠		١٢٣٢	٤٣٢٦	٢٤٨٠
		٢ فيوپس الاول	پيبى الول	٥٣		١٢٦٢	٤٢٩٦	٢٤٠٢
		٣ منتو سوفيس	مرن رع	٧		١٣١٥	٤٢٤٣	٢٣٧٧
		٤ فيوپس الثانى	پيبى الثانى	١٠٠		١٣٢٢	٤٢٣٦	٢٣٦٧
		٥ منتى سوفيس		١		١٤٢٢	٤١٣٦	
		٦ نيتو كريس		١٢	٢٠٣	١٤٣٤	٤١٣٥	
عصر الاضمحلال الأول	٧	٧٠ توالى على الحكم	سبعون حاكما		٧٠ يوم	١٤٣٥	٤١٢٣	٢٢٨٠
	٨	٢٧ ملك من ملوك منف			١٤٦	١٤٣٥	٤١٢٣	٢٢٨١
	٩	١ اخيتوس ١٨ ملك من ملوك	هراكليوبوليس		٤٠٩	١٥٨١	٣٩٧٧	٢٢٤٢
	١٠	١٩ ملك من ملوك	هراكليوبوليس		١٨٩	١٩٩٠	٣٥٦٨	٢١٣٣
	١١	١٦ ملك من ملوك	ديوسپوليس		٤٣	٢١٧٩ ٢٢٢	٣٣٧٨ ٣٣٣٦	٢١٤٣ ١٩٩٨
نهاية كتاب مانيتون (الأول)								
الدولة الوسطى	١٢	١ امن امس	امنمحعت الاول	١٦		٢٢٢٢	٣٣٣٦	٢٠٠٠
		٢ سيزونخورس	سنوسرت الاول	٤٦		٢٢٣٨	٣٣٢٠	١٩٧٠
		٣ امن امس ٢	امنمحعت الثانى	٣٨		٢٢٨٤	٣٢٧٤	١٩٣٨
		٤ سيزوستريس	سنوسرت الثانى	٤٨		٢٣٢٢	٣٢٣٦	١٩٠٣
		٥ لاخاريس	سنوسرت الثالث	٨		٢٣٧٠	٣١٨٨	١٨٨٧
		٦ اميريس	امنمحعت الثالث	٨		٢٣٧٨	٣١٨٠	١٨٤٩
		٧ امن امس	امنمحعت الرابع	٨		٢٣٨٦	٣١٧٢	١٨٠١
		٨ سكمبو فريس	الملكة سبك نفرو	٤	١٦	٢٣٩٤	٣١٦٤	١٧٨٨

يتبع ملحق رقم (١)

عصر الاضمحلال الثانى	١٣	٦٠ ملك من ملوك	ديـويـولـيـس		٤٥٣	٢٣٩٨	٣١٦٠	١٧٧٨
	١٤	٧٦ ملك من ملوك	كـسـويـس		١٨٤	٢٨٥١	٢٧٠٧	١٦٥٢
	١٥	٤٣ ملك من ملوك ٤٣ ملك من ملوك	طيـبـة تـانـيـس		١٥١	٣٠٣٥	٢٥٢٣	١٦٧٠
	١٦	٣٢ ملك من ملوك	تـانـيـس		٥١٨	٣١٨٦	٢٣٧٢	١٥٦٧
	١٧	١ سـاليـتس	سـخم رع حـتب	١٩		٣٧٠٤	١٨٥٤	١٥٥٧
		٢ بـنـون بـايـون	انـتـف	٤٤		٣٧٢٣	١٨٣٥	
		٣ ابـا خـنـاس		٣٦		٣٧٦٧	١٧٩١	
		٤ سـتـاعين		٦١		٣٨٠٣	١٧٥٥	
		٥ سـيـتـوس	سـقبن رع الاول	٥٠		٣٨٦٤	١٦٩٤	
		٦ سـرنـوس	سـقبن رع الثـانى	٢٩		٣٩١٤	١٦٤٤	١٦٦٠
		٧ آسـت	كـامـس	٢٠	٢٥٩	٣٩٤٣	١٦١٥	١٥٧٨
الدولة الحديثة	١٨	١ آمـوس	احـمس الاول	٢٥		٣٩٦٣	١٥٩٥	١٥٧٥
		٢ خـبـروس	امنحـتب الاول	١٣		٣٩٨٨	١٥٧٠	١٥٤٦
		٣ امنوفـتـيس	تحـتـمس الاول	٢٤		٤٠٠١	١٥٥٧	١٥٢٥
		٤ امـنـزيـس	تحـتمس الثـانى	٢٢		٤٠٢٥	١٥٣٣	١٤٩٥
		٥ مـيـزا فـريس		١٣		٤٠٤٧	١٥١١	
		٦ سفر اجمو توزيس	حـتـشـبـسـوت	٢٦		٤٠٦٠	١٤٩٨	١٤٩٠
		٧ تـو تمـوزيـس	تحـتـمس الثـالث	٩		٤٠٨٦	١٤٧٢	١٤٦٩
		٨ امنو فـيس	امنحـتب الثـانى	٣١		٤٠٩٥	١٤٦٣	١٤٣٦
		٩ اوروس	تحـتـمس الرابع	٣٧		٤١٢٦	١٤٣٢	١٤١١
		١٠ اخـيـرس	امنحـتب الثـالث	٣٢		٤١٦٣	١٣٩٥	١٣٩٧
		١١ راثـوس		٦		٤١٩٥	١٣٦٣	
		١٢ خـبـرس	امنحتب الرابع أخناتون	١٢		٤٢٠١	١٣٧٧	١٣٧٠
		١٣ اخـيـرس	سـمنخ كـا رع	١٢		٤٢١٣	١٣٤٥	١٣٥١
		١٤ ارمـيـزيس	توت عنخ آمـون	٥		٤٢٢٥	١٣٣٣	١٣٤٨
		١٥ رمـسـيس	آى	١		٤٢٣٠	١٣٢٨	١٣٣٧
		١٦ امنوفـتـاح	حـور مـحب	١٩	٢٦٢	٤٢٣١	١٣٢٧	١٣٣٤

يتبع ملحق رقم (١)

						ت	ق.م.	ق.م.
الدولة الحديثة	١٩	١ سيوتس	سيتى الاول	٢١		٤٢٥٠	١٣٠٨	١٣٠٣
		٢ راپاكس	رمسيس الثانى	٦٦		٤٢٧١	١٢٨٧	١٢٩٠
		٣ اميتو فيتس	مرنبتاح الاول	١٠		٤٣٣٧	١٢٢١	١٢٢٣
		٤ امن امس	امنمس	٥		٤٣٤٧	١٢١١	١٢٠٢
		٥ ثوريس	مرنبتاح الثانى	٧	١٠٩	٤٣٥٢	١٢٠٦	١١٩٧
		٦	تاوسرت					١١٩٥
نهاية كتاب مانيتون الثانى								
	٢٠	١ ستناخت	ستنخت	٢		٤٣٥٩	١١٩٩	١١٩٢
		٢ اوسبمارى	رمسيس الثالث	٣٢		٤٣٦١	١١٩٧	١١٦٨
		٣ رمسيس الرابع	رمسيس الرابع			٤٣٩١	١١٦٥	١١٦٠
		٤ رمسيس الخامس	رمسيس الخامس					١١٥٤
		٥ رمسيس السادس	رمسيس السادس	١٠١				١١٥٠
		٦ رمسيس السابع	رمسيس السابع					١١٤٥
		٧ رمسيس الثامن	رمسيس الثامن					١١٣٧
		٨ رمسيس التاسع	رمسيس التاسع		١٣٥	٤٤٩٤	١٠٦٤	١١١٠
العصر المتأخر	٢١	١ سمندس	حريحور			٤٤٩٤	١٠٦٤	١٠٨٥
		٢ بوسنس	بيغنخس			٤٥٢٠	١٠٣٨	١٠٥٤
		٣ نفر خرس	ماساهدتا			٤٥٦١	٩٩٧	
		٤ امنو فيتس	بونس الاول			٤٥٦٥	٩٩٣	١٠٢٩
		٥ اوسر خور	سمندس			٤٥٧٤	٩٨٤	١٠٢٩
		٦ پسناخس	پتوزم			٤٥٨٠	٩٧٨	١٠٠٩
		٧ بوسنس	بونس الثانى		١٣٠	٤٥٨٩	٩٦٩	٩٨٤
	٢٢	١ سيسونخس	شيشنق الاول	٢١		٤٦٢٤	٩٣٤	٩٥٠
		٢ اوسرثون	اوسركون الاول	١٥		٤٦٤٥	٩١٣	٩٢٩
		٣ تاكيلوتس الاول	تاكيلوت الاول	٢٩		٤٦٦٠	٨٩٨	٨٩٣
		٤	اوسركون الثانى	١٣		٤٦٨٩		٨٧٠
		٥	شيشنق الثانى					٨٤٩
		٦ تاكيلوتس	تاكيلوت الثانى			٤٦٨٩	٨٦٩	٨٤٧
		٧ سيسونخس	شيشنق الثالث	٤٢		٤٧٠٢	٨٥٦	٨٣٢
		٨	پامى					٧٧٢
		٩ حوراسوس	حورسا ايزيس		١٢٠	٤٧٤٤	٨١٤	٧٦٧
	٢٣	١ پتوباتس	پادو باست	٤٠		٤٧٤٤	٨١٤	٨١٧
		٢ أوسرخو	اوسركون الثالث	٨		٤٧٨٤	٧٧٤	٧٥٧
		٣ بسامس	تاكيلوت الثالث	١٠		٤٧٩٢	٧٦٦	٧٤٨
		٤ زت	رود أمون	٣١	٨٩	٤٨٠٢	٧٥٦	٧٤٠

يتبع ملحق رقم(١)

	٢٤	١ بوخـــورس ٦	تفـــنـــحـت بوخـــاريس	٦	٦	ت ٤٩٠١	ق ٠ م ٧٢٥	ق ٠ م ٧٣٠ ٧١٥
	٢٥	١ ســاباكــوس	شـــبـكـا	٨		٤٨٩٣	٧١٩	٧١٦
		٢ ســپنجــوس	ســبـتـاكـا	١٤		٤٨٤٧	٧١١	٧٠١
		٣ تاركـــوس	تهـــارقـــا	٨	٤٠	٤٨٦١	٦٩٧	٦٩٠
	٢٦	١ بســفناتوس	بسـمـاتيك الاول	٧		٤٨٧٩	٦٧٩	٦٨٠
		٢ تخـبـزوس		٦		٤٨٨٦	٦٧٢	
		٣ نخـتـو الاول	نخـــاو الاول	٨		٤٨٩٢	٦٦٦	٦٦٦
		٤ بسـمـانيكوس	بسـماتيك الثـانى	٤٥		٤٩٠٠	٦٥٨	٦١٠
		٥ نخـاو الثـانى	نخـاو الثـانى	٦		٤٩٥٤	٦٠٤	
		٦ بسـامـونيس		٦		٤٩٦٠	٥٩٨	
		٧ وافـــريس	واج اب رع	١٩		٤٩٦٦	٥٩٢	
		٨ امـــوزيس	احـمس الثـانى	٤		٤٩٨٥	٥٧٣	٥٧٤
		٩ بسـمـاخـريتس	عنخ كـــا ان رع	٦ش	١٥٠	٥٠٢٩	٥٢٩	٥٢٨
العصر المتأخر	٢٧	١ كـامـيزس	قـمـبـيـز	٦		٥٠٢٩	٥٢٩	٥٢٩
		٢ داريـــوس	دارا الاول	٣٦		٥٠٣٥	٥٢٣	٥٢٢
		٣ كسركسى الاكبر	خـشـيـا رشـا	٢١		٥٠٧١	٤٨٧	٤٨٥
		٤ ارتـا پـانـوس		٧ اشهر		٥٠٩٢	٤٦٦	
		٥ ارتا كـسـركس	ارتكشـــاشـــا	٤١		٥٠٩٣	٤٦٥	٤٦٤
		٦ كـــسـركس	خستيارشا الثانى	٢ شهر		٥١٣٤	٤٢٤	
		٧ ســوديانوس		٧ شهر		٥١٣٤	٤٢٤	
		٨ داريوس الثـانى	دارا الثـــانى	١٩	١٢٤	٥١٣٥	٤٢٣	٤٢٣
	٢٨	٦ امـيـروتيـوس	امـــون حـــور	٦	٦	٥١٥٤	٤٠٤	٤٠٤
	٢٩	١ نفـــريتس	نفــريتس الاول	٦		٥١٦٠	٣٩٨	٣٩٨
		٢ إخـــوريس	هكر ـ اكـــوريس	١٣		٥١٦٦	٣٩٢	٣٩٢
		٣ بسامـوتس		١		٥١٧٩	٣٧٩	
		٤ نفـــريتس	نفـريتس الثـانى	٤ش	٢١	٥١٨٠	٣٧٨	٣٧٧
	٣٠	١ تخـتـانبس	تخـتـانبـو الاول	١٨		٥١٨٠	٣٧٨	٣٨٧
		٢ تـيـــوس		٢		٥١٩٨	٣٦٠	
		٣ تخـتـانبـوس	تخـتـانبـو الثـانى	١٨	٣٨	٥٢٠٠	٣٥٨	٣٥٨

نقلاً عن (سيد كريم: لغز الحضارة ، ص٢٧-٣٠)

ملحق رقم (٢):

كتب الحكمة المصرية الأحد عشر

الرقم	اسم الكتاب (باسم صحبه)	الشخص الموجه له الكتاب	الزمن التقريبي ق.م.	رقم الأسرة الملكية التي ظهر فيها	اسم الملك المعاصر له	جوهر تعاليمه
١	تعاليم كا أرسو	إلى ابنه كاجمني	حوالي ٢٧٠٤-٢٦٨٠	٣	حوني آخر ملوك السلالة٣	صفحتان من بردية : آداب الطعام بسلوك المعاشرة ، التواضع بعدم التفاخر بالقوة مثال : السكين تشحد لمن يحيد عن الطريق المستقيم
٢	تعاليم بتاح حتب	الى ابنه	حوالي ٢٤٨٠-٢٣٤٠	٥	إسيسي	٣٧ حكمة : آداب التواضع ، آداب المحادثة ، العدالة والحقيقة ، الوداعة ، آداب المائدة ، كيف تكون رسولاً أميناً ، عن الكرم ، الاحترام الواجب في حق حديث النعمة ، السعادة ، السلوك في حق الأبناء ، البروتوكول ، الاخلاص ، خطر النساء ، الجشع ، الفوز بالزوجة الصالحة ، النميمة ، ... الخ
٣	تعاليم إبور	الى الملك بيبي الثاني	حوالي ٢٣٧٤-٢٢٨٠	٦	بيبي	قول منثور وست قصائد شعرية في الحكمة : وصف الفساد ، مظاهر الفساد في ذلك العصر ، تصاعد مأساة الوصف ، التذكير بعبادة الآلهة ، وصف المستقبل السعيد .

يتبع ملحق رقم (٢)

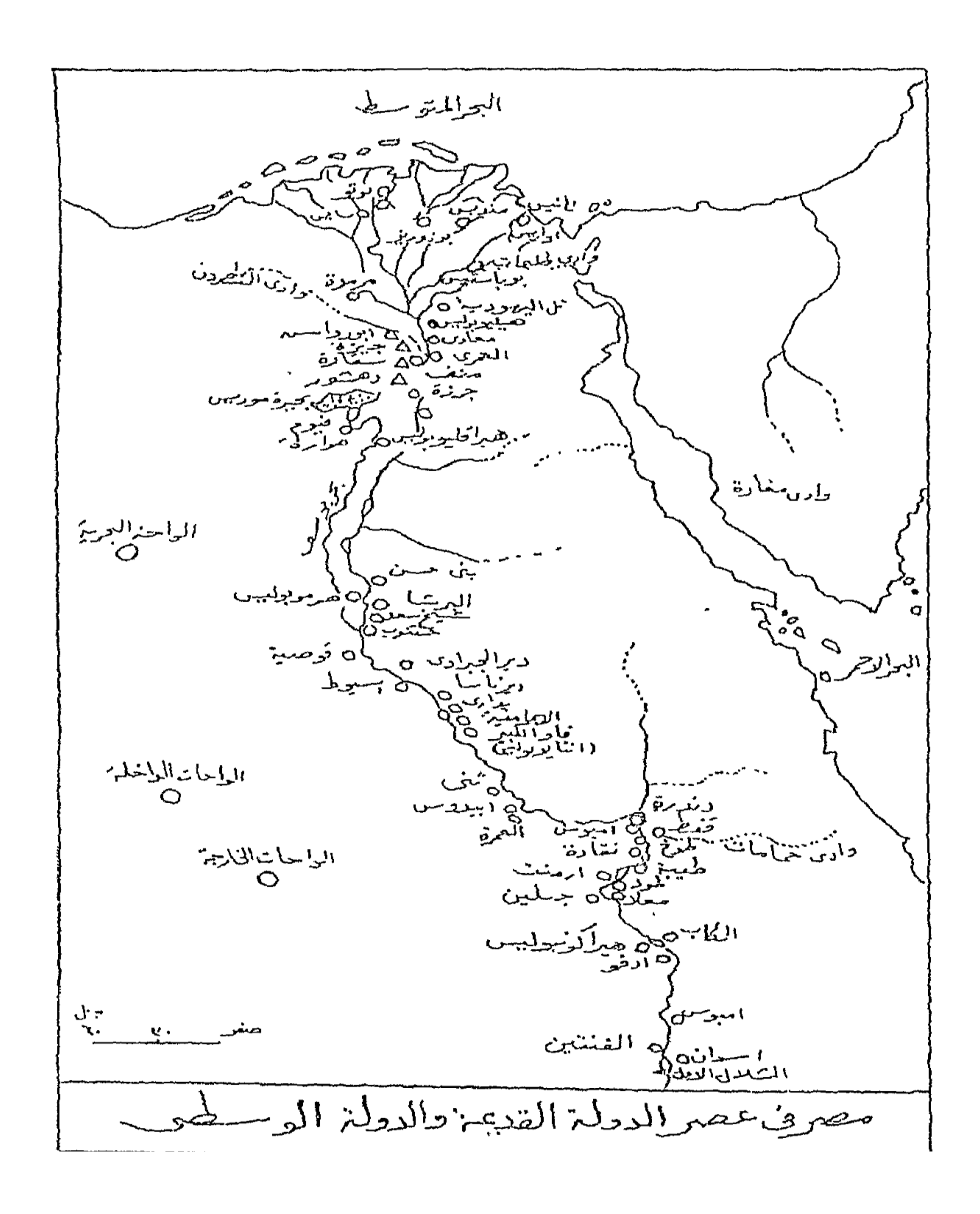
الرقم	اسم الكتاب (باسم صحبه)	الشخص الموجه له الكتاب	الزمن التقريبي ق.م.	رقم الأسرة الملكية التي ظهر فيها	اسم الملك المعاصر له	جوهر تعاليمه
						مثال : حقاً لقد أصبح النهر قبراً لرجالٍ كثيرين دفنوا فيه .
٤	تعاليم خيتي الكاتب	الي ابنه بيبي	حوالي ٢٣٠٠ ق.م	٩	ربما الملك خيتي الاول	تمجيد مهنة الكتابة واستعراض الجوانب المرهقة والسيئة في المهن الأخرى .
٥	تعاليم خيتي الملك	الى ابنه مريكرع	حوالي ٢١٣٣ ق.م	١٠	الملك خيتي الثالث	الحكمة السياسية وطريقة الحكم ، احترام الشعب ، إقامة العدالة ، إقامة العمران ، مخافة الإله واداء الطقوس .
٦	تعاليم نبكرع	الى ابنه مريكرع	حوالي ٢٠٠٠ ق.م	١١	مريكرع	تمجيد صناعة الكلام والمحادثة ، حب الخير ، الحذر واليقظة ، كبار الموظفين ، واجبات الحاكم ، التذكير بالعالم الآخر ويوم الحساب ، معاملة الجيل الجديد ، النشاط والعدل ، الحاكم .
٧	تعاليم امنمحات الاول	الى ابنه سنوسرت	١٩٥١-١٩٦٢ ق.م	١٢	امنمحات الأول	عدم الثقة بالاصدقاء ، التحذير من مؤامرات المقربين نصيحته عبارة عن سرد لمؤامرة حصلت والتحذير لإبنه .
٨	تعاليم أني	الى ابنه خنوم حتب	١٥٨٠-١٥٥٨ ق.م	١٨	الملكة احمس نفرتاري أوجة الملك أحمس	أداب السلوك ، الزواج المبكر ، أداب الزيارة التحذير من النساء والخطيئة ، تجنب كثرة الكلام ، تقوى الإله ، البر بالوالدين ، التحذير من الخمر التذكير بالموت ، احترام الغير ، فضل الأم ، العمل ، معاملة الرؤساء .

يتبع ملحق رقم (٢)

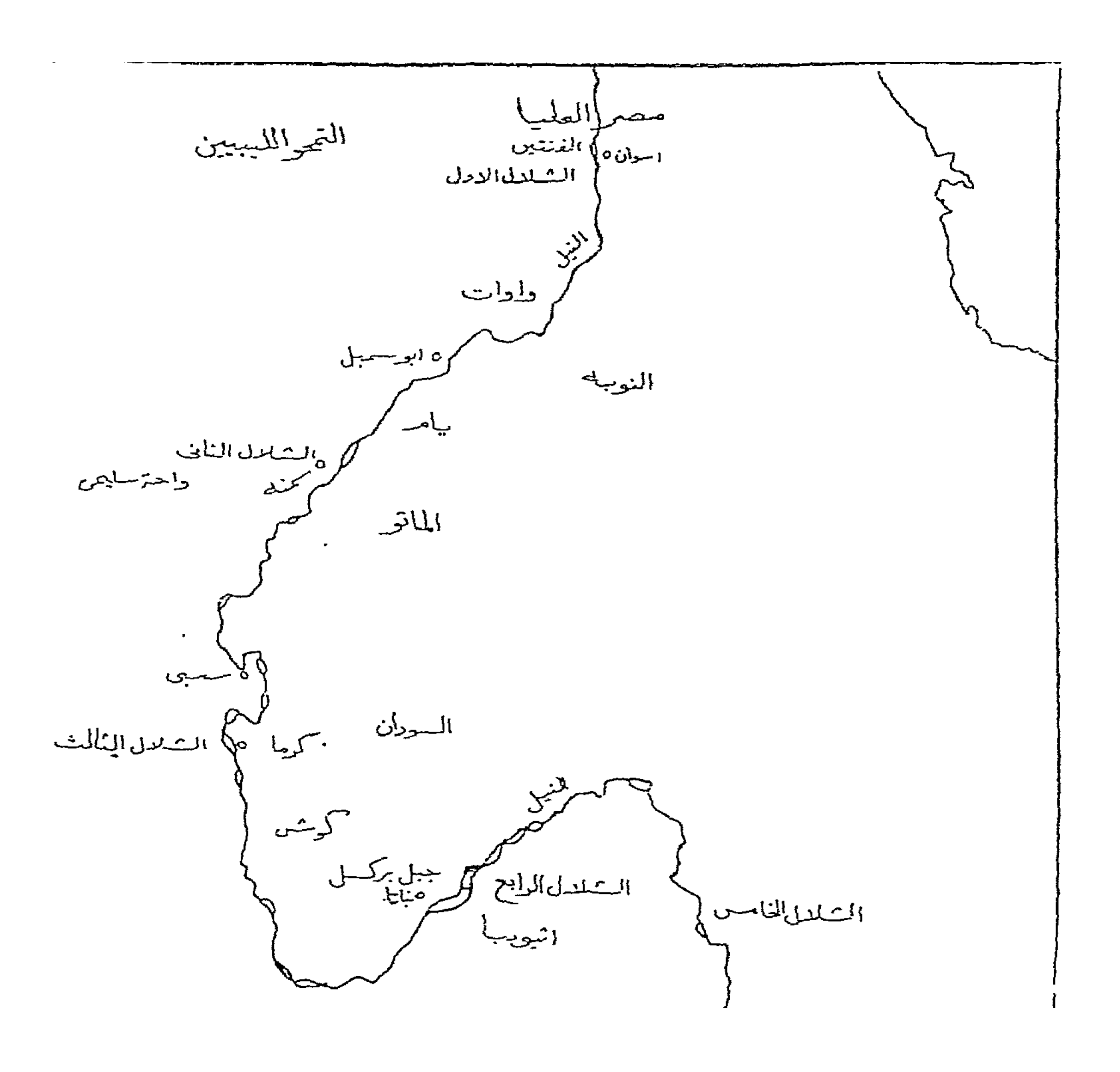
	اسم الكتاب (باسم صحبه)	الشخص الموجه له الكتاب	الزمن التقريبي ق م .	رقم الأسرة الملكية التي ظهر فيها	اسم الملك المعاصر له	جوهر تعاليمه
٩	تعاليم امنمؤني	الى ابنه حورماخر	حوالي ١٠٠٠ ق م .	٢١-٢٢	ــــ	فن الحياة : النجاح ، التحذير من السلب ، الأحمق والحليم . احترام أملاك المعبد ، التسليم لما قدر للإنسان . وتعاليمه من أرقى تعاليم الحكمة المصرية القديمة عدد فصولها (٣٠) فصلاً . أثرت على حكمة سليمان وسفر الامثال .
١٠	تعاليم عائلة بدي أورز (بتوزيريس)	مدونات : ١-شبسو ٢-بـــدي أورز ٣-جدجحوتي إن عـــنـــخ ٤-جدحر٥-بتوكم	٣٦٠ق م .	٣٠	الغــزو الفــارسي الثاني والاسكندر الاكبر	نصوص مدونة على جدران المقبرة التي شيدها بدي أورز وهي أشبه بـ (النداءات الى الأحياء) أو البيانات الاخلاقية للسير الذاتية وتتكون من عدة مدونات : وتحتوي على تعاليم أخلاقية للطريق المستقيم وتعاليم الآلهة والخير ، اخلاق الموت والدفن . . . الخ .
١١	تعاليم المدرسة	الى طلبـــة المدارس	عثر عليها ضـــمـــن مـــخطوطات التلاميذ في عصر الأسرة التاسعة عشر وما بعدها	١٩	ــــ	النصائح والتحذيرات الموجهة الى طلبة المدارس والتي تشمل : الحياة في المدرسة ، الاجتهاد ، نصائح معلم الى تلميذه ، وضع التلميذ في القيود تمجيد مهنة الكتابة ، لا تكن فلاحاً ، لا تكن فارساً ، كن موظفاً .

نقلاً عن (خزعل الماجدي: الدين المصري ، ص ٢٩٠)

أولاً: فهرس الخرائط:



مصر القديمة في عصري الدولتين القديمة والوسطى (نقلاً عن محمد علي سعد الله: تطور المثل العليا في مصر القديمة، ص ٢٤٣)



النوبة (نقلاً عن محمد علي سعد الله: تطور المثل العليا في مصر القديمة ، ص ٢٤٣)

ثانياً: فهرس الصور:

شكل رقم



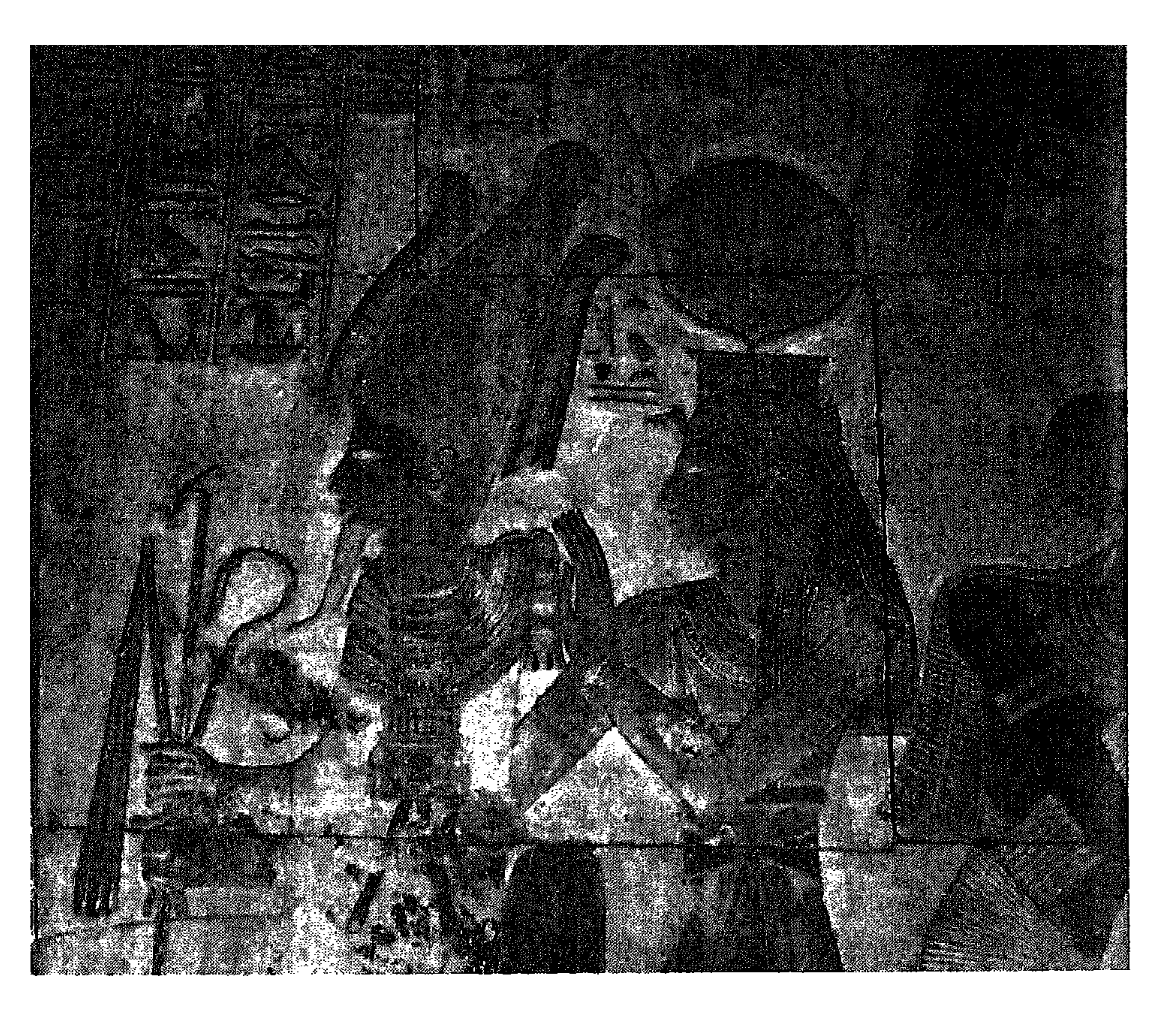
الاله «تحوت» اله الحكمة والكتابة .

نقلاً عن (محمد علي سعد الله: تطور المثل العليا في مصر القديمة، ص٢٧٥)



أسرار المعرفة

(نقلاً عن سيد كريم: لغز الحضارة، ص٣٨٠)

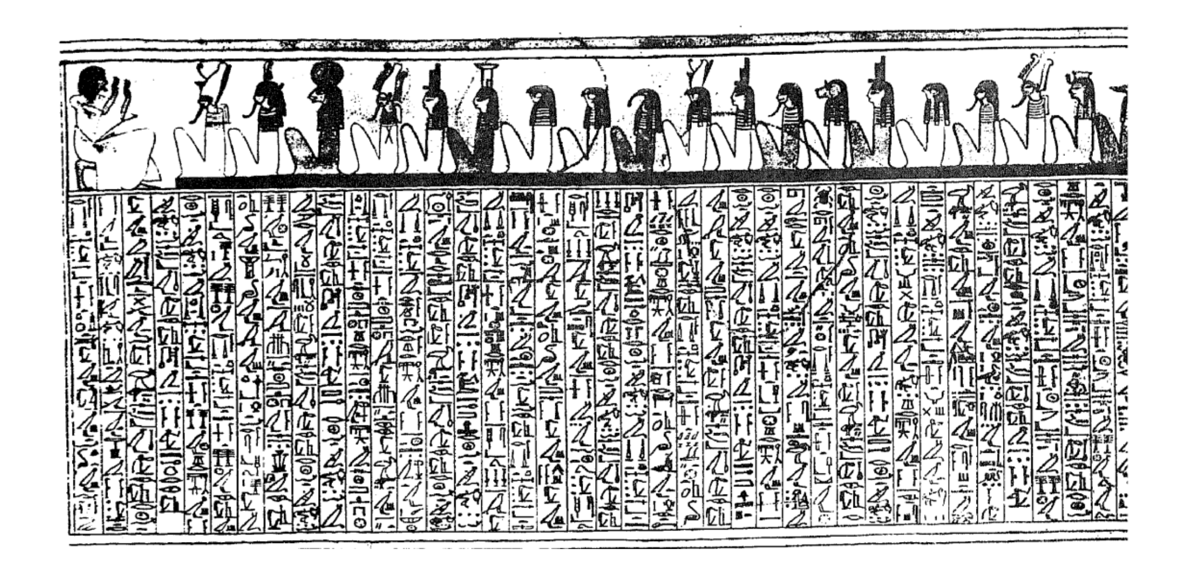


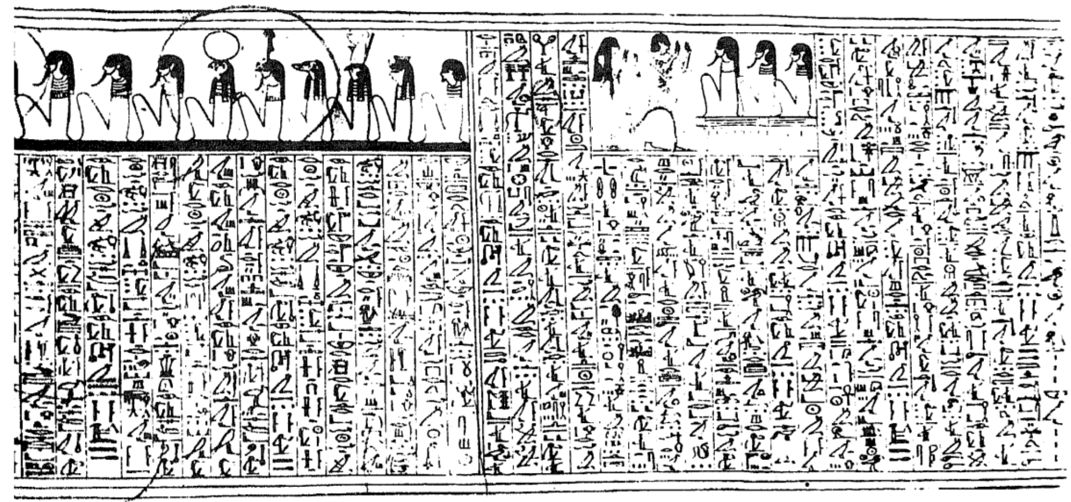
أسطورة إيزيس وأوزيريس كانت مثلا أعلى للحياة الزوجية
فى مصر القديمة فى كل عصورها التاريخية

نقلاً عن (مختار السويفي: أم الحضارات، ج٢، ص ٢٢)



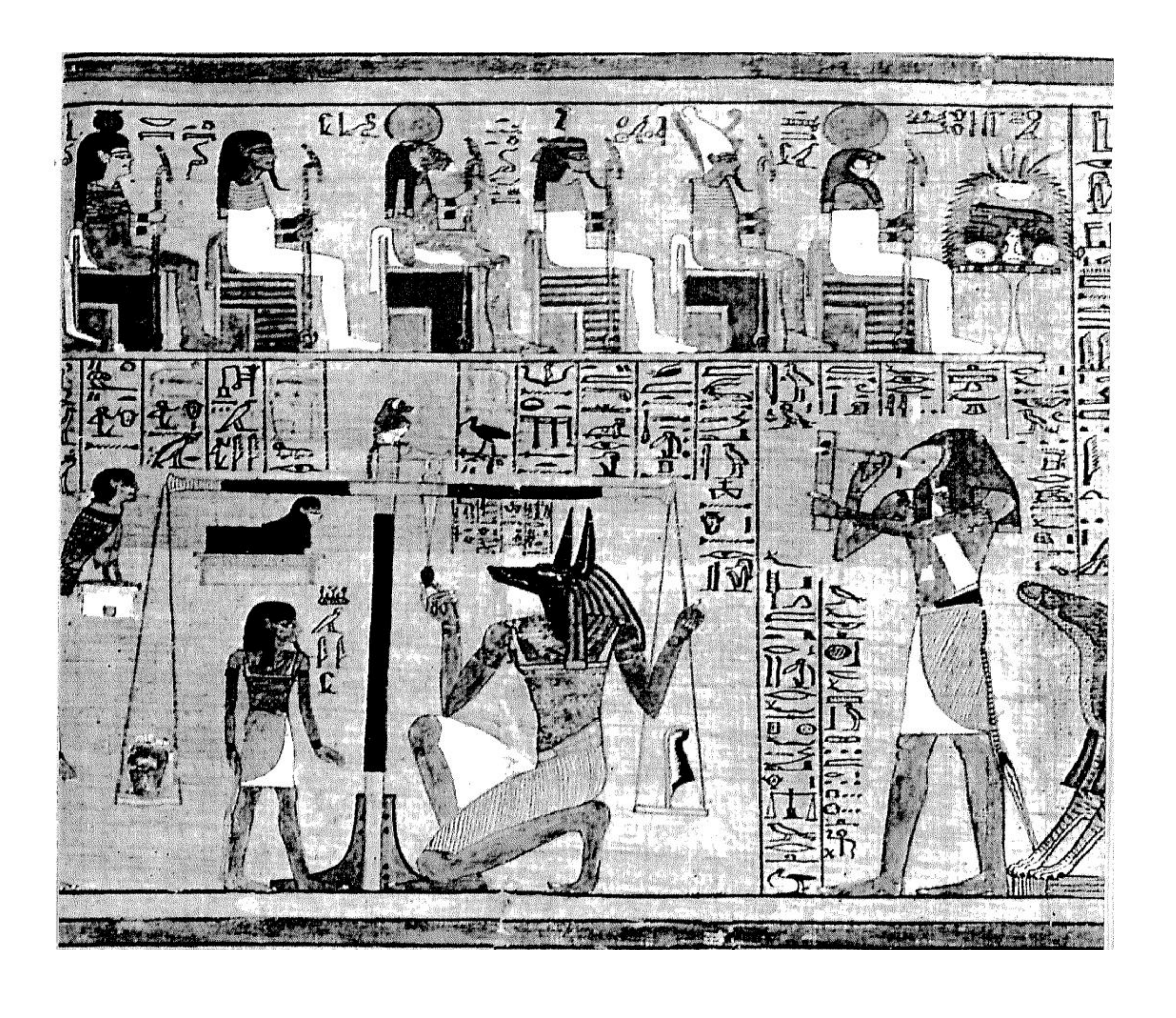
حورس يقود ((أني)) إلى عرش (أوزير) فصل المحاكمة كما ورد في كتاب الموتى، ص٢٧٧



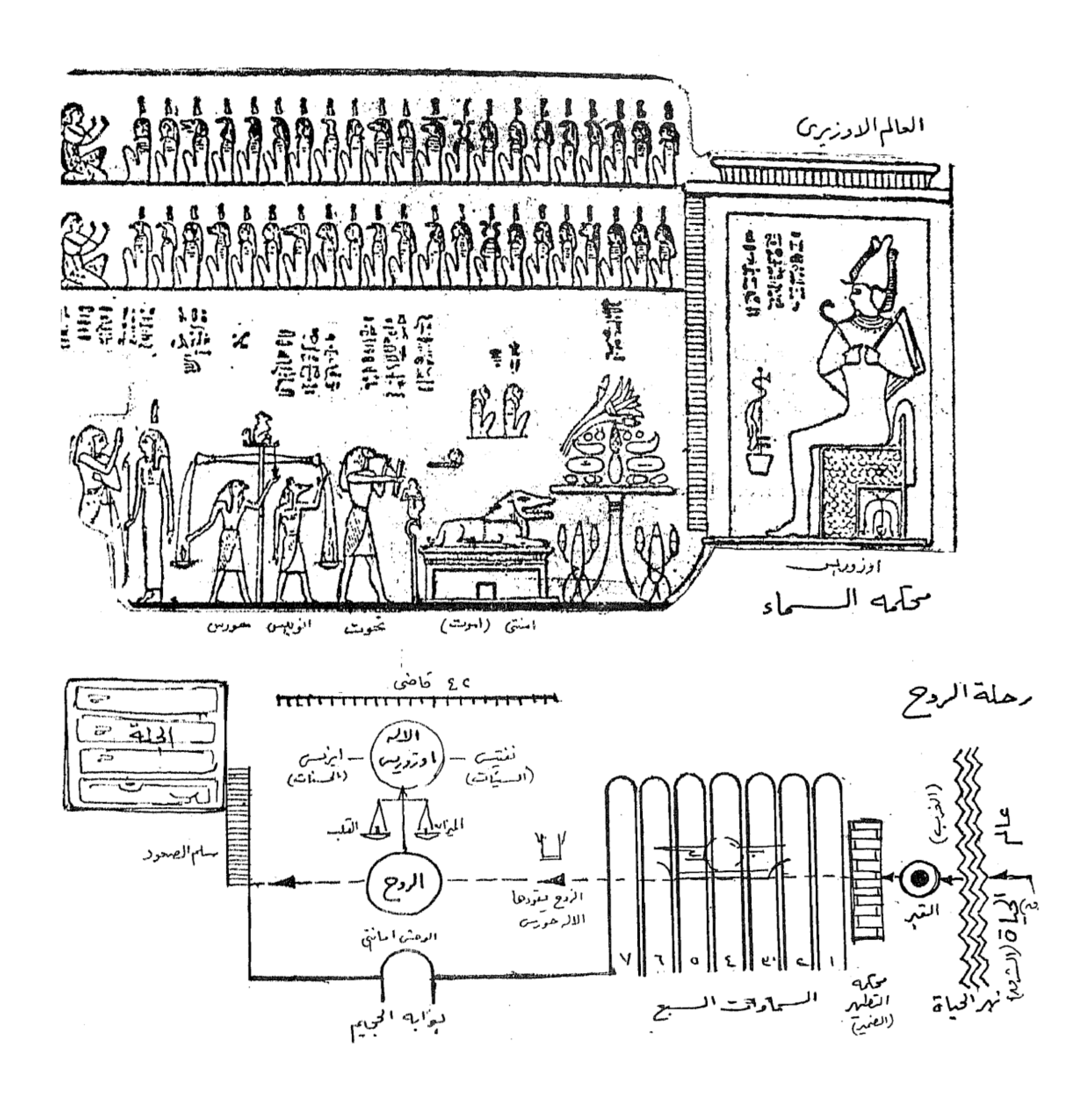


القضاة الاثنان والاربعون فى محكمة الاخرة وأسئلتهم كما وردت فى بردية (كتاب الموتى)

نقلاً عن (سيد كريم: لغز الحضارة الفرعونية، ص ٥٨)



وزن قلب ((أني)) في قاعة المحاكمة (كما ورد في كتاب الموتى ص ٢٧٦)

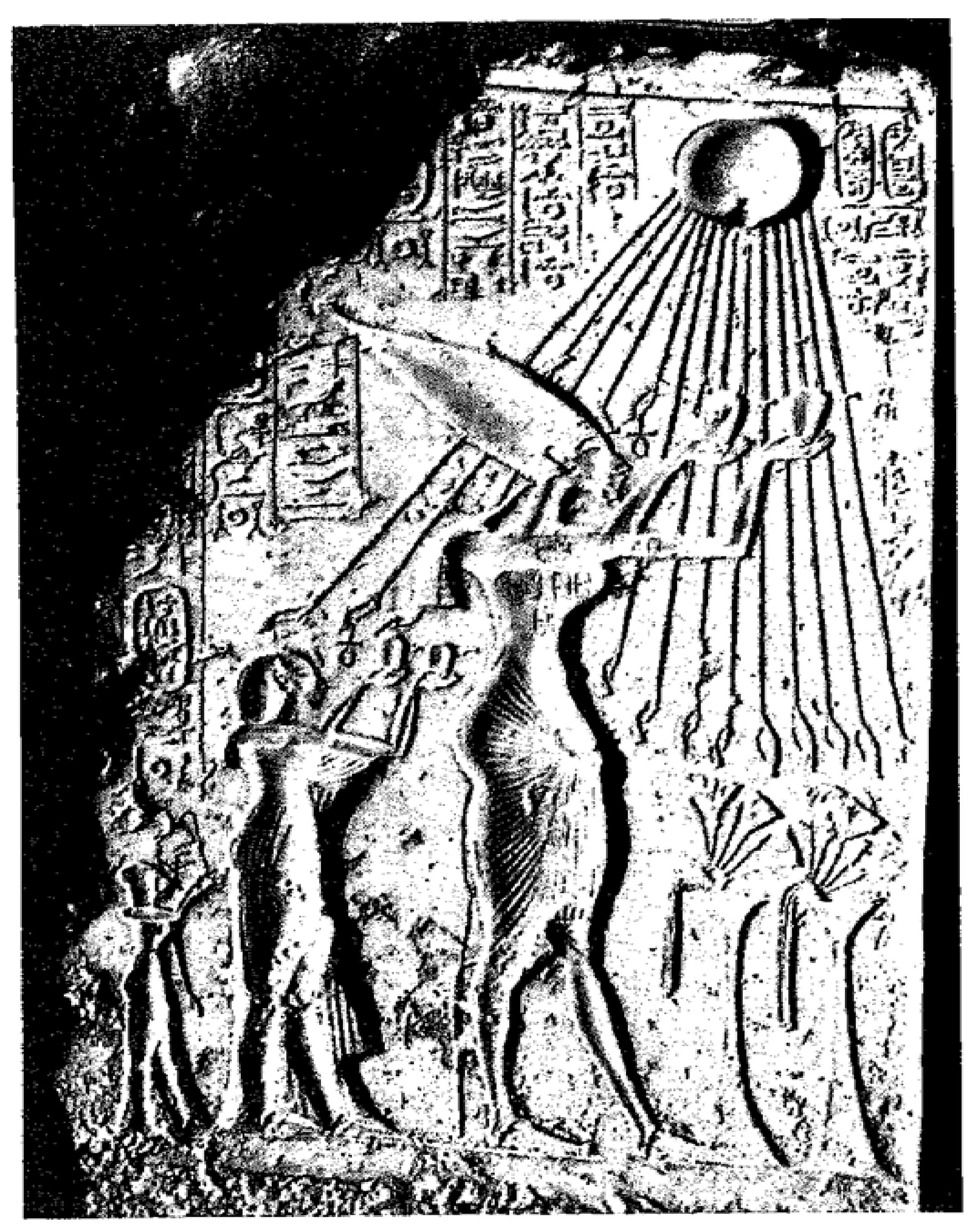


محكمة الأموات (الأوزيرية)، نقلاً عن (سيد كريم: لغز الحضارة، ص٥٢)



بردية ـ متحف ليدن ـ هولندا

نقلاً عن (سيد كريم : لغز الحضارة ، ص٣١٣)



إخناتون وزوجته نفرتيتي يتعبدان للشمس .

نقلاً عن (محمد فياض: المرأة المصرية القديمة، ص٤١)

قائمة المصادر و المراجع:

أولاً: المراجع المعربة:

١- أدولف أرمان،هرمان رانكه: مصر والحياة المصرية في العصور القديمة،ترجمة عبد المنعم أبو بكر،القاهرة ١٩٩٢م.
٢- أريك هـ . نونج: وادي الملوك أفق الأبدية، ترجمة محمد العزب، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٦م.
٣- أ.ف. توملين: فلاسفة الشرق، ترجمة عبد الحميد سليم، الطبعة الثانية ، القاهرة، د.ت.
٤- برت أم هرو: كتاب الموتى الفرعوني، ترجمة فليب عطيه، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٨م.
٥- ت.ج.ه.جيمز: كنوز الفراعنة ، ترجمة أحمد زهير أمين، القاهرة ١٩٩٩م.
٦- جان بول رزقبر: فلسفة القيم، ترجمة عادل العوا، الطبعة الأولى، بيروت ٢٠٠١م.
٧- جون ويلسون: الحضارة المصرية، ترجمة أحمد فخري، مصر، د.ت.
٨- جيمس هنري برستد: فجر الضمير، ترجمة سليم حسن، القاهرة ١٩٥٦م.
٩- ر. أنجلباخ: مدخل إلى علم الآثار المصرية، ترجمة أحمد موسى، القاهرة ١٩٨٨م.
١٠- سامي جبره: في رحاب المعبود توت، ترجمة عبد العاطي جلال، القاهرة ١٩٧٤م.
١١- سيرج سونيرون: كُهان مصر القديمة، ترجمة زينب الكردي، القاهرة ١٩٧٥م.
١٢- سيرو .م فلندرز بتري: الحياة الاجتماعية في مصر القديمة، ترجمة حسن جوهر، القاهرة ١٩٢٣م.
١٣- غوستاف لوبون: الحضارة المصرية، ترجمة صادق رستم، مصر، د.ت.
١٤- كلير لالويت: الأدب المصري القديم، ترجمة ماهر جويجاتي، دار الفكر للدراسات، القاهرة ١٩٩٢م.
١٥- ميرسيا إلياد: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ترجمة عبد الهادي عباس، الجزء الأول، د.ت.

١٦- هنري فرنكفورت: فجر الحضارة في الشرق الأدنى، ترجمة ميخائيل خوري، القاهرة ١٩٥٩م.
١٧- والاس بدج: آلهة المصريين، ترجمة محمد يونس، القاهرة ١٩٨٨م.
١٨- يان أسمان: مصر الفرعونية: ترجمة زكية طبوزادا، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٩٦م.
١٩- ياروسلاف تشرني: الديانة المصري القديمة، ترجمة أحمد قدري، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٦م.

ثانياً: المراجع العربية:

١- أحمد البربري: الأدب المصري القديم، مصر ٢٠٠٦م.
٢- أحمد سليم أمين: تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر، سورية القديمة)، دار النهضة، بيروت ١٩٨٩م.
٣- أحمد فخري: مصر الفرعونية، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٦٠م.
٤- أسامة حسن: مصر الفرعونية، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٨م.
٥- إمام عبد الفتاح إمام:الأخلاق السياسية، القاهرة ٢٠٠٢م.
٦- إيمان أبو بكر:النظافة في الحياة اليومية عند المصريين القدماء، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٩م.
٧- أنطوان بطرس: لغز الهرم الأكبر، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٨م.
٨- برهان الدين دلو:حضارة مصر والعراق، الطبعة الأولى ، لبنان ١٩٨٩م.
٩- جمال المرزوقي: الفكر الشرقي القديم، الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠٠١م.
١٠- حامد خليل: مشكلات فلسفية، الطبعة الثالثة، دمشق ١٩٨٩م.
١١- حربي عباس عطيتو:الفلسفة القديمة، كلية الآداب جامعة الإسكندرية ١٩٩٩م.
١٢- حسان حلاق: ملامح من تاريخ الحضارات، بيروت ١٩٩١م.
١٣- حسن السعدي: حكام الأقاليم في مصرالفرعونية، الاسكندرية١٩٩١م.
١٤- حسن طلب: أصل الفلسفة، الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠٠٢م.
١٥- خزعل الماجدي: الدين المصري، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٩١م.
١٦- رشيد الناضوري: التطور التاريخي للفكر الديني، بيروت ١٩٦٩م.

١٧- سليم حسن: الأدب المصري القديم، الجزء الأول، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٤٥م.
١٨- سيد القمني: رب الثورة أوزير، الطبعة الثانية' القاهرة ١٩٩٩م.
١٩- سيد عويس: الخلود في التراث الثقافي، القاهرة ١٩٩٩م.
٢٠- سيد كريم: لغز الحضارة الفرعونية، القاهرة ١٩٩٦م.
٢١- صلاح الدين بسيوني: القيم في الإسلام، القاهرة ١٩٩٠م.
٢٢- عادل العوا:المذاهب الفلسفية،دمشق ١٩٨٩م.
٢٣- عبد الحميد زايد: أبيدوس، القاهرة ١٩٦٣م.
٢٤- عبد العزيز صالح: الأسرة في المجتمع المصري القديم، دار القلم١٩٦١م.
٢٥- عبد العزيز صالح: التربية والتعليم في مصر القديمة،القاهرة ١٩٦٦م.
٢٦- عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم، الجزء الأول، القاهرة ١٩٦٧م.
٢٧- عبد العزيز نوار: تاريخ مصر الاجتماعي، دار الفكر العربي، د.ت.
٢٨- عزت السعدني: فجر الضمير المصري، القاهرة ٢٠٠٧م.
٢٩- عطيه عامر: الأدب الفرعوني، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٩٥م.
٣٠- كامل سعفان : كنانة الله يا فرعون، الطبعة الأولى ، دار الندى ١٩٩١م.
٣١- محرم كمال: الحكم والأمثال والنصائح عند المصريين القدماء، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٩٨م.
٣٢- محمد العزب: حكماء وادي النيل،القاهرة ١٩٩٠م.
٣٣- محمد بيومي مهران: الحضارة المصرية القديمة، الجزء الأول، الإسكندرية ١٩٨٩م.
٣٤- محمد جمال الدين مختار: مصر القديمة، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، بيروت ١٩٩٧م.
٣٥- محمد عبد الرحمن مرحبا: المرجع في تاريخ الأخلاق ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى، لبنان ١٩٨٨م.
٣٦- محمد عبد الله الشرقاوي: الفكر الأخلاقي، لطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٠م.

٣٧- محمد علي سعد الله: تطور المثل العليا في مصر القديمة، الإسكندرية ١٩٨٩م.
٣٨- محمد فياض: المرأة المصرية القديمة، الطبعة الأولى، دار الشروق، ١٩٩٥م.
٣٩- محمود عبد الحميد أحمد: دراسات في تاريخ مصر الفرعونية ، الطبعة السادسة، دمشق ٢٠٠٤م.
٤٠- محمود عبد الحميد أحمد: تاريخ وحضارة مصر الفرعونية، ج١+ج٢، دمشق ٢٠١١م.
٤١- مختار السويفي: أم الحضارات، الجزء الثاني، الطبعة الأولى ، لبنان ١٩٩٩م.
٤٢- مصطفى النشار: الخطاب السياسي في مصر الفرعونية، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٨٨م.
٤٣- مصطفى عبده: فلسفة الأخلاق، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٩٩م.
٤٤- مهدي فضل الله: بدايات التفلسف الإنساني،الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٩٤م.
٤٥- يوسف الشين: الفلسفة المثالية، الطبعة الأولى، بنغازي ١٩٩٨م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

1- BLEIBERY,E., ARTS & HUMANITIES Through the Eras, Ancient Egypt, 2675-332 B.C.E

2 - Breasted, J, H. A History of Egypt from the earliest Times to the Persian conquest, U.S.A., 1959.

3 – Breasted, J, H. Ancient Records of Egypt, Vol 1 Chicao, 1905.

4 – Frankfort, H., Kingship and the Gods, Chicago, 1948.

5 – Gardiner, A.H., Egyptian Grammar , London, 1927.

6 – Lichtheim, M., Ancient Egyptian Literature.

7 – Pirenne J., La religion et la Morle dans L 'Egypte antique, Suisse, 1965.

8 - Wilson, J., The Burden of Egypt, Chicago, 1951.

9 - Wilson, J., The Protests of the Eloquent Peasant, ANET, Newgersy, 1969.

الفهرس

رقم الصفحة

الفصل الرابع: